مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء السابع

ومعه القسم الأول من الفهارس العامة لجميع أجزاء الكتاب

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء





تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء السابع

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٧هـ = ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في أحساس أجناس الحيوان

اللهم إنّا نَعوذ بك من الشَّيطان الرجيم ، ونسألك الهداية إلى صراطك المستقيم[١] ، وصلّى الله على سيدنا محمد خاصَّة[٢] وعلى أنبيائه عامَّة . ونعوذ بالله أن تدعوَنا المحبَّةُ لإتمام هذا الكتاب إلى أنْ نَصِل الصِّدْقَ بالكذب ونُدْخِل الباطلَ في تضاعيف الحقّ ، وأن نتكثَّر بقول الزور ونلتمس تقوية ضعفِه[٣] باللفظ الحسن ، وستر قبحه بالتأليف المونِق[٤] ، أو نستعينَ على إيضاح الحقِّ إلا بالحق ، وعلى الإفصاح بالحجَّة إلاّ بالحجة[٥] ، ونستميلَ إلى دراسته واجتبائه[٦] ، ونستدعى إلى تفضيله والإشادة[٧] بذكره ، بالأشعار المولَّدة ، والأحاديث المصنوعة[٨] ، والأسانيد المدخولة ، وبما لاشاهد عليه إلاّ دعوى قائله ، ولا مصدِّق له إلاّ مَن لا يُوثَق بمعرفته . ونعوذُ بالله من فتنة القول وخَطَله ، ومن الإسهاب وتقحُّم أهله[٩] . والاعتمادُ فيما بيننا

---

(١) فيما عدا ل : « إلى الصراط المستقيم » .

(٢) ط ، هـ : « محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم خاصة » .

(٣) س ، هـ : « صفته » ل : « ويلتمس تمويه مافيه » .

(٤) هـ : « وشر » تحريف . ل : « قبيحة » . المونق : المعجب . س : « الموفق » .

(٥) فيما عدا ل : « وعلى إيضاح الحجة إلا بالحجة » .

(٦) الاجتباء : الاختيار والاصطفاء . ط : « واقتنائه » س ، هـ : « واحتبائه » صوابهما في ل .

(٧) فيما عدا ل : « والإشارة » ل : « والإسادة » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) ط ، س : « الموضوعة » ، وأثبت ما في ل ، هـ .

(٩) ل ، هـ : « وتفحم » س ، ط : « خطته » .

وبين كثيرٍ من أهل هذا الزمان على حسن الظنّ[١] ، والاتّكالُ فيهم على العُذر ؛ فإنّ كثيرًا ممّن يتكلّف قراءة الكُتب ، ومدارسةَ العلم ، يقِفون من جميع الكتب[٢] على الكلمة الضعيفة ، واللّفظة السّخيفة ، وعلى موضع من التأليف قد عرض له شيءٌ من استكراهٍ[٣] ، أو ناله بعضُ اضطراب[٤] ، أو كما يعرض في الكتب من سَقَطات الوهْم ، وفَلَتات الضَّجَر ، ومن خطأ النّاسخ ، وسوء تحفُّظ المعارِض[٥] على معنًى لعله لو تدبَّره بعقلٍ غير مفسَدٍ ، ونظرٍ غير مدخول ، وتصفّحَه وهو محترِسٌ من عوارض الحسد ، ومن عادة التسرُّع[٦] ، ومن أخلاقِ من عسى أن يتّسِع في القول بمقدار ضيق صَدره ، ويُرسل لسانَه إرسالَ الجاهل بِكُنْه ما يكون منه . ولو جعلَ بدلَ شُغله بقليلِ ما يرى من المذموم شغْلَهُ[٧] بكثيرِ ما يرى من المحمود — كانَ ذلك أشبهَ بالأدبِ المرضيّ والخيم الصّالح ، وأشدّ مشاكلَةً للحكمة ، وأبعد من سلطان الطّيش ، وأقربَ إلى عادة السّلف[٨] وسيرة الأوّلين ، وأجدَرَ أن يَهَبَ الله له السّلامةَ في كُتبه ، والدِّفاعَ عن حُجَّته يومَ مناضلةِ خصومه[٩] ومقارعةِ أعدائه .

(١) ط : « على من حسن الظن » هـ : « على ظن من حسن الظن » ، محرفتان .

(٢) فيما عدا ل : « من جميع هذا الكتاب » .

(٣) س : « الاستكراه » .

(٤) فيما عدا س : « وناله بعض الاضطراب » .

(٥) س : « المعاند » .

(٦) فيما عدا ل : « ومن عارض » ط فقط : « التبرع » تحريف .

(٧) ط ، س : « تنقله » هـ : « ينقله » صوابهما في ل .

(٨) ط ، هـ : « الصلف » تحريف .

(٩) ط ، هـ : « يوم مناضلته خصومه » .

وليس هذا الكتابُ — يرحمك الله — في إيجاب الوعد والوعيد فيعترض عليه المرجئُ ، ولا في تفضيل عليٍّ فينصب له العثمانيّ[1] ، ولا هو في تصويب الحكمَين ، فيتسخّطه الخارجيّ ، ولا هو في تقديم الاستطاعة فيعارضَه من يُخالف التقديم ، ولا هو في تثبيت الأعراض فيخالفَه صاحبُ الأجسام ، ولا هو في تفضيل البَصرة على الكوفة ، ومكة على المدينة ، والشَّام على الجزيرة ، ولا في تفضيل العجَم على العرب ، وعدنانَ على قَحْطان ، وعمرٍو على واصل[2] فيردّ بذلك الهذيلي عَلَى النّظّامي[3] ، ولا هو في تفضيل مالكٍ على أبي حنيفة ، ولا هو في تفضيل امرئ القيس على النّابغة ، وعامر ابن الطفيل على عمرو بن معد يكرب ، وعباد بن الحُصين[4] على عبيد الله ابن الحُرّ ، ولا في تفضيل ابن مُريج على الغَريض ، ولا في تفضيل سيبويه على الكسائيّ ، ولا في تفضيل الجعفريّ على العقيليّ[5] ، ولا في تفضيل حِلْم الأحنف على حِلم معاوية ، وتفضيل قتادة على الزّهري ، فإنّ لكلّ

---

(١) يقال نصب لفلان نصبا : إذا قصده وعاداه وتجرد له ، ومنه النواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون ببغضة علي عليه السلام . فيما عدا ل : « فينصب » ، وصواب النص من ل .

(٢) عمرو : هو عمرو بن عبيد المترجم في (١ : ٣٣٧) وهو صاحب العمرية . انظر الفرق بين الفرق ١٠٠ — ١٠٢ .

(٣) الهذيلي : واحد الهذيلية ، وهم أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف ، المعتزلي . انظر الكلام على مذهبه في الفرق بين الفرق ١٠٢ والملل (١ : ٦٢) والمواقف ٦٢١ ومفاتيح العلوم ١٨ . فيما عدا ل : « الهذلي » تحريف .

(٤) سبقت ترجمته في (٢ : ١٠٤) وترجمة عبيد الله بن الحر في (٢ : ١٠٣) ط ، هـ : « بن الحسين » صوابه في س . وفي ل : « بن حصين » ، وهو وجه جائز في العربية .

(٥) ل : « والجعدي على القاقلاني » .

صِنفٍ من هذه الأصناف شيعةً ، ولكلِّ رجلٍ من هؤلاء [الرجال] جُنداً وعدداً يخاصمون عنهم . وسفهاؤهم المتسرعون منهم كثير[1] ، وعلماؤهم قليل وأنصاف علمائهم أقلّ .

ولا تنكر هذا — حفظك الله — أنا رأيت رجُلين بالبصرة على باب مُويس ابن عِمران ، تنازعا فى العنب النَّيروزىِّ والرازقىِّ ، فجرى بينهما اللعين[2] حتى تواثبا ، فقطع الكوفىُّ إصبع البصرىِّ ، وفقأ البصرىُّ عينَ الكوفىِّ ، ثم لم ألبث إلّا يسيراً حتى رأيتهما متصافيَين متنادمين لم يقعا قطّ على مقدار ما يُغضب مِن مقدار ما يُرضى[3] ، فكيف يقعَانِ على مقادير طبقات الغضب والرضا[4] ؟ ! والله المستعان .

وقد ترك هذا الجمهورُ الأكبر ، والسَّوادُ الأعظمُ ، التوقفَ عند الشبهة ، والتثبُّتَ عند الحكومة جانبا ، وأضربوا عنه صَفْحًا[5] ، فليس إلّا لا أو نعم . إلّا أنَّ قولهم « لا » موصول منهم بالغضب ، وقولهم « نعم » موصولٌ منهم بالرِّضا . وقد عُزلت الحرِّيَّة[6] جانبا ، ومات ذِكرُ الحلال والحرام ، ورُفض ذكر القَبيحِ والحسن .

قال عَمرو بن الحارث : « كنَّا نُبغض من الرِّجال ذا الرياء والنَّفج[7] ، ونحن اليوم نَتمنَّاهما » .

---

(١) فيما عدا ل : « من مخاصميهم وسفهائهم والمتسرعون منهم كثير » .

(٢) أى الشيطان . ل : « العين » تحريف .

(٣) ل : « لم يقعا قط على مايغضب من ما يرضى » .

(٤) فيما عدا ل : « مقدار طبقات الغضب » .

(٥) فيما عدا ل : « وأعرضوا عنه صفحا » .

(٦) فيما عدا ل : « وقد عزل الحق جانبا » .

(٧) النفج : أن يفتخر بما ليس له . ماعدا ل : « النفخ » تحريف .

قد كتبْنا من كتاب الحيوان ستّةَ أجزاء ، وهذا الكتابُ السابع هو الذى ذكرنا فيه الفِيل بما حضَرنا من جُمْلة القولِ فى شأنه ، و [فى] جملة أسبابه ، والله الموفق .

وإنما اعتمدنا فى هذه الكتب على الإخبار عمّا فى أجناس الحيوان(١) من الحجج المتظاهِرة ، وعلى الأدلة المترادفة(٢) ، وعلى التنبيه على ماجلّلها الله تعالى من البرهانات(٣) التى لاتعرف حقائقُها إلا بالفكرة(٤) ، وغشّاها من العلامات التى لا تُنال منافعها إلا بالعبرة ، وكيف فرّق فيها من الحكم العجيبة(٥) ، والأحساس الدقيقة ، والصنعة اللطيفة ، وما ألهمها من المعرفة وحشاها(٦) من الُجبن والجرأة ، وبصَّرها بما يُقيتها(٧) ويُعيشها ، وأشعرها من الفِطنة لما يحاول منها(٨) عدوُّها ، ليكونَ ذلك سببا للحذر ، ويكونَ حذرُها سبباً للحِراسة ، وحراستُها سبباً للسلامة ، حتى تجاوزت فى ذلك مقدارَ حراسة المجرِّب من الناس ، والخائفِ المطلوب من أهل الاستطاعة والروِيَّة(٩) ، كالذى يروى من تحارُس الغرانيق والكراكى ، وأشكالٍ من ذلك كثيرة ، حتى صار الناسُ لايضرِبون المثلَ إلا بها ، ولا يذمّون

(١) فيما عدا ل : « وإنما اعتمادنا فى هذا الكتاب على أخبار ما فى أجناس الحيوان » .

(٢) ل : « من الحجج الظاهرة والأدلة المترادفة » . وكلمة : « الظاهرة » محرفة .

(٣) جللها : كساها . وفيما عدا ل : « خلفها » ، تحريف .

(٤) ط ، هـ : « لايعرف » . وفيما عدا ل : « إلا من الفكرة » .

(٥) فيما عدا ل : « من الحكمة » .

(٦) حشاها : ملأها ، على المثل . وأنشد ثعلب :

ولا تأنفا أن تسألا وتسلما   فما حشى الإنسان شرا من الكبر

فيما عدا ل : « كساها » تحريف .

(٧) فى الأصل : « يقيمها » .

(٨) فيما عدا ل : « بما تحاذر بها عدوها » .

(٩) س ، هـ : « والرؤية » تحريف .

ولا يمدحون إلا بما يجدون فى أصناف الوَحْش من الطَّير وغير ذلك ، فقالوا : أحذر من عقْعَق ، وأحذر من غراب ، وأحذَر من عصفور ، وأسمع من فَرْخ العُقاب[١] ، وأسمع من قُراد ، وأسمعُ من فَرَس ، وأجْبَنُ من صِفْرِد[٢] ، وأسخَى من لافِظَة[٣] ، وأصنع من تنَوِّط ، وأصْنَع من سُرْفة ، وأصنع من دَبْر ، وأهدى من قَطاة ، وأهدى من حمامٍ ، وأهدَى من جمل [وأزهى من غراب[٤]]، وأزهى من ذباب[٥] ، وأجرأ من اللّيث ، وأكسب من الذِّئب ، وأخدع من ضَبّ ، وأرْوَغ من ثعلب ، وأعقّ من ضَبّ ، وأبر من هِرَّة ، وأسْرع من سِمْع ، وأظلم من حيَّة ، وأظلم من وَرَلٍ ، وأكذبُ من فاخِتة ، وأصدق من قطاة ، وأمْوَق من رَخمة ، وأحزَم من فَرْخ العُقاب .

ونبَّهنَا تعالى وعزّ على هذه المناسبة ، وعلى هذه المشاركة[٦] ، وامتَحن ماعندنا بتقديمها علينا فى بعض الأمور ، وتقديمنا عليها فى أكثر الأمور[٧] وأراد بذلك ألاّ يُخْلِينَا من حُجة ، ومن النَّظر إلى عبرةٍ ، وإلى مايعود عند الفكرة[٨] موعظة . وكما كره[٩] لنا من السهو والإغفال ، ومن

---

(١) فيما عدا ل : « وأحذر من فرخ العقاب » . وانظر ما سيأتى فى ص ١٥ ، وأمثال الميدانى فى قولهم : « أسمع من حية . . . » الخ ، كما أنه سبق فى (٦ : ٤٣٩) قول الراجز :

* أسمع من فرخ العقاب الأسحم *

(٢) ط ، هـ : « صافرة » تحريف . وفى س : « صافر » وهذه صحيحة ؛ فإن الصافر مما يضرب به المثل فى الجبن . انظر لجبن الصافر (٣ : ٤٠٥) ولجبن الصفرد (١٠ : ٢١٣ س ٢)

(٣) ويقال أيضا : « أسمح من لافظة » . وانظر المثل فى (٢ : ١٤٨ — ١٤٩) .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) هذا المثل ساقط من س .

(٦) فيما عدا ل : « عن هذه المناسبة وعن هذه المشاركة » .

(٧) فيما عدا ل : « ببعض الأمور وتقديمها علينا فى أكثر الأمور » ، تحريف .

(٨) ط ، هـ : « عند الفطنة » .

(٩) فى الأصل : « ولما » .

البطالة والإهمال ، فجعلنا في كلِّ أحوالنا لاتُفتَح أبصارُنا إلا وهي واقعةٌ على ضربٍ من الدلالة ، وعلى شكل من أشكال البرهانات ، وجعل ظاهرَ مافيها من الآيات داعيا إلى التفكير فيها ، وجعل ما استخزنها من أصناف الأعاجيب يُعرف بالتكشيف عنها[1] ؛ فمنها ظاهرٌ يدعوك إلى نفسه[2] ، ويشير إلى مافيه ، ومنها باطنٌ يَزيدك بالأمور ثقةً إذا أفضيتَ إلى حقيقته ، لتعلم أنَّك مع فضيلة عقلِك ، وتصرُّف استطاعتِك إذا ظهر عجزُك عن عمل ماهو[3] أعجز منك — أنَّ الذي فضَّلك عليه بالاستطاعة والمنطق ، هو الذي فضَّله عليك بضروبٍ أُخَر ، وأنكما ميسَّران لما خلِقتُما له ، ومُصَرَّفان لما سُخِّرْتما له ، وأن الذي يعجِز عن صَنعة السُّرْفة ، وعن تدبير العنكبوت في قلّتهما ومَهانتهما وضُعفهما وصِغَر جُرمهما[4] ، لاينبغي أن يتكبّر في الأرض ولا يمشِيَ الخُيَلاء ، ولا يتهكَّمَ في القول ، ولا يتألَّى ولا يستأمر[5] . وليعلم أنَّ عقله منيحة من ربه[6] ، وأن استطاعتَه عاريَّةٌ عنده ، وأنه إنما يستبقي النِّعمة بإدامة [الشُّكْر[7] ، والتعرُّض لسلبها بإضاعة] الشكر .

ثم حبَّب إليها طلب الذَّرء والسِّفاد الذي يكون مَجْلَبَةً للذرء[8] ، وحبَّب إليها أولادَها ونجلَها وذَرءها ونسلها ، حتى قالوا : أكرم الإبل أشدُّها حنيناً ، وأكرم الصَّفايا أشدُّها حبًّا لأولادها . [وزَاوَجَ بين أكثرها]

---

(١) فيما عدا ل : « بالكشف عنها » .
(٢) ل : « نصه » .
(٣) فيما عدا ل : « من هو » .
(٤) فيما عدا ل : « صورهما » .
(٥) ل : « يستثني » .
(٦) فيما عدا ل : « منحة من ربه » .
(٧) في الأصل ، وهو هنا ل : « الشكر » .
(٨) فيما عدا ل : « للولد » .

وجعل تألُّفَها معَ بعضها من الطَّروقة[١] إذا لم يكن الزِّواج لها خَلقا ، وجعل إلف العِرْس لها عادةً ، وقوَّاها على المسافَدة ، لتتمَّ النعمة ، وتعظُم المنة[٢] ، وألهمها المبالغةَ فى التربية ، وحُسْنَ التعبُّد ، وشدَّة التفقُّد ، وسوَّى فى ذلك بين الجِنس الذى يُلَقِّم أولاده تلقيما ، وبين الذى يُرْضِعُها إرضاعا ، وبين الذى يزقُّه زَقًّا ، وبين مايحضُن ومالا يحضن . ومنها ما أخرجها من أرحام البَيض وأرحام البطون كاسيةً ، ومنها ما أخرجها كاسيةً كاسِبة ، وأمتَعَها والدَّها[٣] ، وجعلها نِعمةً على عباده ، وامتحانا لشكرهم ، وزيادةً فى معرفتهم ، وجِلاءً لما يتراكم من الجهل على قلوبهم . فليس لهذا الكتاب ضدٌّ من جميع مَن يشهد الشهادة ، ويصلِّى إلى القبلة[٤] ، ويأكل الذَّبيحة ولا ضدٌّ من جميع الملحدين ممَّن[٥] لايقرُّ بالبعث ، وينتحل الشرائع وإن ألْحَدَ فى ذلك وزاد ونقص ، إلا الدَّهرىَّ ، فإن الذى ينفى الربوبيَّة[٦] ، ويُحيل الأمرَ والنَّهىَ ، ويُنكر جواز الرِّسالة ، ويجعل الطِّينة قديمة ، ويَجحد الثوابَ والعِقاب ، ولا يعرف الحلالَ والحرام ، ولا يقرُّ بأن فى جميع العالَم برهانا يدلّ عَلى صانعٍ ومصنوع ، وخالق ومخلوق ، ويجعلُ الفلكَ الذى لايعرف نفسه من غيره ، ولا يفصل بين الحديث والقديم ، وبين المحسن والمسىء ، ولا يستطيع الزيادةَ فى حركته ، ولا النُّقصانَ مِن دورانه ،

---

(١) الطروقة ، بالفتح : الأنثى التى بلغت الضراب . ل : « وكثر لبعضها من الطروقة » .

(٢) فيما عدا ل : « وتتم المنة » .

(٣) فيما عدا ل : « وأمتعها وأولادها » .

(٤) فى الأصل : « ويصلى القبلة » .

(٥) ط ، هـ : « من » .

(٦) ط ، هـ : « الرب » ل : « الربوبة » وهذه محرفة .

ولا مُعاقبةً للسُّكون بالحركة[١] ، ولا الوقوفَ طرْفةَ عين ، ولا الانحرافَ عن الجهة — هو[٢] الذى يكون به جميع الإبرام والنَّقض ، ودقيقُ الأمور وجليلها ، وهذه الحِكمُ العجيبة ، والتدابير المتْقنة ، والتأليف البديع[٣] ، والتَّركيب الحكيم ، على حسابٍ معلوم ، ونسَق معروف ، على غايةٍ من دقائق[٤] الحكمة ، وإحكام الصَّنعة .

ولا ينبغى لهذا الدهرىّ أيضاً أن يعرِض لكتابنا هذا وإن دلَّ على خلافِ مذهبه ، ودعا إلى خِلافِ اعتقاده ، لأن الدَّهرىّ ليس يرى أنَّ فى الأرض ديناً أو نِحلةً أو شريعةً أو مِلة ، ولا يرى للحلال حُرْمَةً ولا يعرفه ولا للحرام نهايةً ولا يعرفه ، ولا يتوقَّع العقابَ على الإساءة ، ولا يترجّى[٥] الثوابَ على الإحسان . وإنما الصواب عنده والحقُّ فى حُكْمه ، أنه والبهيمةَ سِيّانِ ، وأنه والسَّبُعَ سِيّان ، ليس القبيحُ عنده إلاّ ما خالف هواه [وليس الحسَن عنده إلاّ ما وافق هواه] ، وأن مدار الأمر على الإخفاق والدَّرَك ، وعلى اللذّة والألم ، وإنما الصواب فيما نال من المنفعة[٦] ، وإن قتلَ ألفَ إنسانٍ صالحٍ لِمَنالةِ درهم ردىء[٧] . فهذا الدهرىّ لا يخاف إن ترك

(١) ل : « السكون الحركة » .
(٢) هو ، أى الفلك ، الذى تقدم ذكره .
(٣) فيما عدا ل : « والتآليف البديعة » .
(٤) فيما عدا ل : « من حقائق » .
(٥) فيما عدا ل : « يتوخى » تحريف .
(٦) س : « نال به منفعة » .
(٧) ط : « لنالة » س ، ه : « لناله » صوابهما فى ل . والمنالة : الحصول على الشىء ، مصدر ميمى .

الطّعْن على جميع الكتب عقابا ولا لائمة ، ولا عذاباً [دائما] ولا منقطعا ولا يرجو إنْ ذمّها ونَصَبَ لها(١) ثواباً في عاجل ولا آجل .

فالواجبُ أن يسلم هذا الكتابُ على جميع البريّة ، إذ كان موضِعُه على هذه الصِّفة ، ومُجراه إلى هذه الغاية . والله تعالى الكافي الموفِّق بلطفه وتأييده(٢) ، إنه سميع قريب ، [فعال لما يريد] .

ثم رجع بنا القولُ إلى الإخبار عن الحيوان ، وبأىِّ شيء تفاضلتْ وبأىِّ شيء خُصّت ، وبماذا أبينتْ(٣) . وقد عرَفنا ما أعطيت في الشَّمِّ والاستِرْواح . قال الرّاجز(٤) وذكر الذئب :

يستخبِرُ الرِّيحَ إذا لم يسمَعِ بمِثل مِقْراعِ الصَّفا الموقَّعِ(٥)

وقد عرفنا كيف شمُّ السّنانيرِ والسِّباع والذئاب . وأعجبُ من ذلك وِجدانُ الذَّرّة لرائحةِ شيءٍ لو وضعْتَه على أنفك لَمَا وجدْتَ له رائحةً كرجل جرادةٍ يابسة منبوذةٍ ، كيف تجدُ رائحتها من جوف جُحرها حتى تخرج إليها ، فإذا تكلّفَتْ حملَها فأعجزَتْها كيف تستدعى إليها سائر الذَّرّ ، وتستعينُ بكلِّ ما كان منها في الجُحر ، ونحوِ شمِّ الفَرَس رائحةَ الحِجْر

---

(١) نصب لها : عاداها وتجرد لها . انظر ما سبق في التنبيه الأول من ص ٧ . ط ، س : « نصب إليها » ﻫ : « لقب لها » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « والموفق بتأييده » .

(٣) فيما عدا ل : « أنست » .

(٤) هو أبو الرديني العكلي ، كما سبق في (١ : ٣٤) والبيان (١ : ٨٢) . وانظر الحيوان (٤ : ١٣٢) .

(٥) الموقع : المحدد . فيما عدا ل : « المرقع » تحريف . وروايته في اللسان (مخر) : « يستمخر » ؛ استمخر الريح : قابلها بأنفه ليكون أروح لنفسه .

من مَسيرة ميل . والفرس يسير قدما[1] والحِجر خلفه بذلك المقدار ، من غير تلفُّتٍ ولا معايَنةٍ من جهة من الجهات . وهذا كثيرٌ ، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع[2] .

فأمّا السَّمع فدعنا من قولهم : « أسمعُ من فَرس » و : « أسمع من فَرْخ العقاب » وأسمع من كذا ، وأسمع من كذا . ولكنّا نقصد إلى الصَّغير الحقير في اسمه وخطَره ، والقليلِ في جسمه وفي قَدْره

وتقول العرب : « أسمع من قُراد » ، ويستدلون بالقِردان التي تكون حَوْل الماء[3] والبئر . فإذا كان ليلة ورود القَرَب[4] ، وقد بعث القومُ من يصلح لإبلهم الأرشيةَ وأداةَ السقي ، وباتت الرجال [عند الماء[5]] تنتظر مجيء الإبل ، فإنها تعرف قربَها منهم في جوف الليل بانتفاش القِرْدان[6] وسرعة حركتها وخشخشتها ، ومرورها نحو الرعاء ، وزجر الرعاء[7] ، ووقع الأخفاف على الأرض ، من غير أن يُحسّ أولئك الرجالُ حسًّا[8] أو يشعروا بشيء من أمرها . فإذا استدلوا بذلك من القِردان نهضوا [فتلبَّبوا] واتّزَرُوا[9] وتهيئوا للعمل .

(١) سار قدما : مضى لم يعرج ولم ينثن . ط ، س : « قدما » .

(٢) انظر ما سبق في (٢ : ١٤١ / ٤ : ٤٠٢) .

(٣) فيما عدا ل : « المياه » .

(٤) القرب ، بالتحريك : أن يسير القوم إبلهم وهم في ذلك يسيرون نحو الماء ، فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجلوا نحوه ، فتلك الليلة ليلة القرب . ط ، س : « العرب » تحريف .

(٥) هذه التكملة من ل ، س . وفي س زيادة « لها » في آخر هذه العبارة .

(٦) ل : « بانتعاش للقردان » .

(٧) فيما عدا ل : « نحو الراعي وزجر الراعي » .

(٨) فيما عدا ل : « تحس أولئك الرجال حسها » .

(٩) التلبب : أن يتحزم بثوبه عند صدره . والاتزار : لبس الإزار ، في لغة —

فأمّا إدراك البصر[١] فقد قالوا: « أبصر من غراب » و: « أبصر من فرس » ، و : « أبصر من هدهد » و: « أبصر من عقاب ».

والسَّنانير والفأرُ والجِرذان والسِّباع تُبصر بالليل كما تبصر بالنهار ؛ فأمّا الطُّعم فيظنّ أنها بفرط الشَّرَه والشّهوة[٢] وبفرط الاستمراء وبفرط[٣] الحِرص والنَّهم ، أن لذّتها تكون عَلى قَدْر شرهها وشهوتها ، وتكون على قدر ماترَى من حركتها[٤] ، وظاهر حرصها . ونحن قد نرى الحمار إذا عاين الأتان ، والفرس إذا عاينَ الحِجْر والرمكة[٥] ، والبغلَ والبغلةَ ، والتيسَ والعنز[٦] فنظن [أن اللذة] على قدر الشهوة ، والشهوة على قدر الحركة ، وأن الصِّياحَ على قدر غلبة الإرادة . ونجد الرجال إذا اعتراهم ذلك لايكونون كذلك إلاّ فى الوقت الذى هم فيه أشدُّ غُلْمة وأفْرَط شهوة .

فإن قال قائل : إن الإنسان يغشى النِّساء[٧] فى كلِّ حالٍ من الفصلين الصَّميمين[٨] ، وإنما هَيْجُ السِّباع والبهائم فى أيام من السنة[٩]

= من يدغم الهمزة فى التاء ، كما تقول اتّمنه فى ائتمنه . فيما عدا ل : « وبرزوا ». وانظر العلاقة بين الإبل والقردان ما مضى فى (٥ : ٤٣٣) .

(١) فيما عدا ل : « درك البصر » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . ط ، هـ : « فيظنون أن لفرط الشهوة » س : « فظن أنه لفرط الشره فى الشهوة » .

(٣) فيما عدا ل : « ولفرط » .

(٤) فيما عدا ل : « ويكون » تحريف . ط ، هـ : « ما يرى » .

(٥) فيما عدا ل : « والرمك » .

(٦) أى إذا عاين البغل البغلة والتيس العنز . اكتفى بالفعل المتقدم .

(٧) فيما عدا ل : « يعشق النساء » تحريف . وانظر ما سبق فى (٥ : ٢١٨) .

(٨) يراد بالصميمين الصيف والشتاء فى أشد حالاتهما . انظر (٢ : ٢٣٥) .

(٩) فيما عدا ل : « فى فصل معلوم » .

[ثم يسكن] هيج التَّيس والجمل . فالإنسان[1] المداوم أحسن حالا .

قلنا : إنّا لم نكن[2] فى ذكر المخايرة بين نصيب الإنسان فى ذلك مجموعًا ومفرَّقا ، وبين نصيب كلِّ جنسٍ من هذه الأجناس مجموعا ومفرَّقا ، وإنما ذكرنا نفس المخالطة فقط[3] . ومايدريكم أيضاً لعلها أنْ تَسْتَوْفِىَ[4] فى هذه الأيَّام اليسيرة أضعافَ ما يأتى الإنسان فى تلك الأيَّام الكثيرة .

وعلى أنَّا قد نرى ممّا يعترى الحمارَ والفرسَ والبغلَ وضروباً كثيرة إذا عاينوا الإناث فى غير أيام الهيج . وها هنا أصنافٌ تُديم ذلك كما يُديمه الإنسان ، مثل الحمام والدِّيَكَةِ وغير ذلك . وقد علمنا أنّ السَّنانيرَ وأشباهَ السنانير لها وقتُ هيجٍ ، ولكنَّ ذلك يكون مرارًا فى السَّنة على أشدَّ مِن هَيج الإنسان ، فليس الأمر على ما يظنّون . فإن كان الإنسانُ موضعُ ذهنهِ من قلبه أو دماغه يكونُ أدقَّ وأرقَّ وأنفذَ ، وأبصر ، فإنّ حواسَّ هذه الأشكال أدقّ وأرقّ وأبصر وأنفذ . وإن كان الإنسانُ يبلغُ بالرويّة والتصفُّح ، والتحصيل والتمثيل ما لا يبلغه شىءٌ من السِّباع والبهائم ، فإنّ لها أمورًا تدركها ، وصنعةً تحذقها تبلغُ منها بالطبائع سهوًا وهويًّا[5] ما لا يبلغ[6] الإنسان فى ما هو بسبيله إلا أن يُكرِه نفسَه على التفكير ، وعلى إدامة التنقير والتكشيف والمقاييس فهو يستثقله .

(١) فيما عدا ل : « والإنسان » .

(٢) فيما عدا ل : « إذا لم يكن » .

(٣) الكلام بعد هذا إلى نهاية البيت الذى صدره : « وإن قيل احملى » فى ص ٢٠ ساقط من ل .

(٤) ط ، هـ : « تستوى » ، صوابهما فى س .

(٥) الهوى : السقوط . عنى به الوقوع على الصنعة بدون إرادة وإدراك .

(٦) ط ، هـ : « ما لا يبلغ » .

ولكلِّ شيءٍ ضربٌ من الفضيلة وشكلٌ [من(١)] الأمور المحمودة، لينفىَ تعالى وعز عن الإنسانِ العُجْب ، ويقبّح عنده البَطر ، ويعرِّفه أقدار القَسْم .

وسنذكر من فطن البهائم وأحساس الوَحْش وضروب الطير أموراً تعرفون بها كثْرَةَ ما أودعها الله تعالى من المعارف ، وسخّر لها من الصنعة(٢) ، ثم لا نذكر من ذلك فى هذا الموضع إلاّ كلَّ طائر(٣) منسوبٍ إلى الموق ، وإلاّ(٤) كلَّ بهيمةٍ معروفةٍ بالغثاثة ، بعِدَّةِ ما فيه أشكالها من المعرفة والفطنة . ولو أردنا الأجناسَ المعروفةَ بالمعارف الكثيرةِ ، والأحساسِ اللَّطيفة ، لذكرنا الفيلَ والبعير ، والذّرة والنملة ، والذئب ، والثعلب ، والغرنوق ، والنحلة ، والعنكبوت ، والحمامَ والكلب .

وسنذكر عَلَى اسم الله تعالى بعضَ مافىالبهائم والسِّباع والطير من المعرفة ، ثم نخصُّ فى هذا الكتابِ المنسوباتِ إلى المُوق ، والمعروفاتِ بالغباوةِ وقِلة المعرفة ، كالرَّخمة والزنبور ، والرُّبَع ِمن أولاد الإبل ، والنَّسر من عظام الطير .

وقال المفضَّل الضبيّ : قلت لمحمد بن سهل راوية الكميت : ما معنى قول الكميت فى الرَّخمة :

وذات اسمين والألوانُ شتّى   تحمَّق وهى كيِّسة الحَويل(٥)

لها خِبٌّ تلوذُ به وليست   بضائعة الجَنين ولا مَذُول(٦)

---

(١) هذه من س .

(٢) ط ، ه : « وسخرها فى الصنعة » .

(٣) فى الأصل : « إلا من كل طائر » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها فى ط ، ه : « وإلى » .

(٥) فى اللسان : « حاولت الشيء : أى أردته ، والاسم الحويل » . وأنشد هذا البيت .

(٦) المذول : وصف من المذل : بالتحريك ، وهو الضجر والقلق . س : « بضائعة » ه : « الحنين » محرفتان .

قال[١] : كأنَّ معناه عندى حفظُ فراخها ، أو موضع بيضها ، وطلب طعمها ، واختيارها من المساكن ما لا يَطُوره سبع طائر[٢] ولا ذو أربع . قال: فقلتُ : فأيُّ كيس عند الرّخمة إلاّ ما ذكرت ، ونحن لا نعرف طائرا الأم لؤما ولا أقذر طُعْمةً ، ولا أظهر مُوقا منها ، حتى صارت فى ذلك مثلا ؟ ! فقال محمد بن سهل : « وماحمقُها وهى تحضن بيضها ، وتحمى فِراخها ، وتحبُّ ولدها ، ولا تمكِّنُ إلاّ زوجها ، وتقطع فى أوّل القواطع وترجع فى أوّل الرواجع ، [ولا تَطير فى التحسير ، ولا تغترّ بالشكير ، ولا تُرِبُّ بالوكور ولا تسقط على الجفير » .

أما قوله : « تقطع فى أول القواطع ، وترجع فى أوّل الرواجع[٣] »] فإنَّ الرُّماة وأصحابَ الحبائلِ والقُنّاصَ إنّما يطلبون الطير بعد أن يعلموا أنَّ القواطع قد قَطَعَتْ ، فبِقطع الرّخمة يستدلُّون . فلا بدَّ للرَّخَمَةِ مِنْ أن تنجوَ سالمةً إذا كانت أوّلَ طالعٍ عليهم .

وأمَّا قوله : « ولا تُرِبُّ بالوُكور[٤] » [فإنّه[٥]] يقول: الوكر لا يكون إلا فى عُرْض الجبل ، وهى لا تَرضى إلا بأعالى الهضاب ، ثم مواضعِ الصّدوع وخِلالِ الصخور ، وحيث يمتنعُ على جميع الخلقِ المصيرُ إلى فراخها . ولذلك قال الكميت :

---

(١) فى الأصل : « قال للمفضل » ، وإنما القائل هو محمد بن سهل .

(٢) يطوره : يقرب ويدنو منه . ط ، هـ : « طائرا » ، صوابها فى س .

(٣) هذه التكملة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) حيث نقل من الحيوان .

(٤) وأما قوله ، ساقطة من هـ . وفى ط ، س : « وأما قولهم » تحريف . وترب ، من قولهم أرب بالمكان يرب به إربابا : أقام به فلم يبرحه . وفى الأصل : «تراب»، تحريف .

(٥) ليست فى الأصل .

ولا تجعلونى فى رَجائى ... وُدَّكم ... كراجٍ على بيضِ الأنوق احتبالَها[١]

والأنوقُ هى الرَّخمة . وقال ابن نوفل[٢] :

وأنتَ كساقط بينَ الحشايا ... يَصيرُ إلى الخبيثِ مِن المَصيرِ

ومثلُ نَعامةٍ تُدعَى بعيرًا ... تعاظُمِها إذا ما قيل طِيرِى[٣]

وإن قيل احملى قالت فإنِّى ... من الطَّير المُرِبَّة فى الوكورِ[٤]

وأما قوله : [ولا تطير فى التَّحسيرِ[٥]] ، ولا تغترُّ بالشَّكير[٦] » فإنها [تدعُ الطيرانَ أيام التحسير ، فإذا نبت الشَّكير – وهو أول ما ينبت من الريش – فإنها] لا تَنهض[٧] حتى يصير الشكير قَصَبا . وأمّا قوله : « ولا تسقط عَلَى الجَفِير » ، فإنمـا يعنى جعبة السِّهام[٨] ، [يقول : إذا رأته علمت أنّ هناك سهاماً ، فهى لا تسقط فى موضع تخاف فيه وقع السِّهام[٩]] .

---

(١) الاحتبال : أخذ الصيد بالحبالة ، وهى المصيدة . وفى الأصل : «احتيالها» صوابه من نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) .

(٢) هو يحيى بن نوفل . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٧/٤ : ٣٢٢) .

(٣) انظر روايات البيت فى (٤ : ٣٢٢) .

(٤) روى فى (٤ : ٣٢٢) : « بالوكور » .

(٥) هذه التكملة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) .

(٦) فيما عدا ل : « تغير » ، صوابه فى ل ونهاية الأرب .

(٧) فيما عدا ل : « تنهض بالشكير » . وكلمة « بالشكير » مقحمة .

(٨) الجعبة ، بالفتح : كنانة النشاب فى أعلاها اتساع ، يفرج أعلاها لئلا ينتكث ريش السهام . والوفضة أصغر منها ، وأعلاها وأسفلها مستو . فيما عدا ل : « قائما عنى » .

(٩) كلمة « فيه » ليست فى الأصل ، وهو هنا ل ؛ وإثباتها من نهاية الأرب .

(اتباع الرخم والنسور والعقبان للجيوش)

والرَّخم والنّسور والعِقبان تتبع الجيوشَ لتوقع القتال وما يكون لها من الجيف ، وتتبع أيضا الجيوشَ والُحجَّاج لما يسقط من كَسير الدَّواب[١] ، وتتبعها أيضاً فى الأزمنة التى تكون فيها الأنعام والُحجور حواملَ ، لِمَا تؤمِّل من الإجهاض والإخداج[٢] . قال النابغة[٣] :

وثِقت له بالنَّصر إذْ قِيلَ قد غدَتْ كتائبُ من غسّان غير أشائبِ[٤]

بنو عمِّـه دُنْيا وعمرُو بن عامر أولئك قومٌ بأسهُم غير كاذب

[إذا ما غَزَوْا بالجيش حلَّقَ فوقهمْ عصائب طيرٍ تَهتدى بعصائب]

جوانح قـد أيقنَّ أنّ قبيله إذا ما التقى الجمعان أوّلُ غالبِ

تراهُنّ خَلْفَ القَوْمِ خُزْرًا عيونُها جُلوس شيوخٍ فى مُسوك الأرانبِ[٥]

فأخذ هذا المعنى حميد بن ثور الهلالى فقال :

إذا ما غزا يوما رأيتَ عِصابةً

من الطّير ينظُرْنَ الذى هو صانِـعُ[٦]

---

(١) الكسير : المكسور . وفى نهاية الأرب : « كسرى » وهو جمع كسير ، وفى ل : « حسرى » وهو جمع حسير ، أى مجهد معى . وفى س ، ه : « كثير » وهذه محرفة .

(٢) الإخداج : أن تجيء بولدها ناقص الخلق .

(٣) من أول قصيدة فى ديوانه يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر .

(٤) ل : « وثقت لهم بالنصر إذ قيل قد غزوا » . وفى الديوان : « وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت » . الأشائب : الأخلاط من الناس ، جمع أشابة بالضم .

(٥) هذه رواية ل . وفيما عدا ل : « الشيوخ فى ثياب المرانب » . وانظر ما مر من الكلام على هذه الأبيات فى (٦ : ٣٢٢ - ٣٢٣) .

(٦) انظر ما مضى فى (٦ : ٣٢٤) . والبيت ساقط من ل .

وقال آخر[1] :

يكسُو السيوفَ نفوس النّاكثين به ... ويجعل الرُّوسَ تيجَانَ القنا الذبُلِ

قد عوَّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وَثِقن بها ... فهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فى كلِّ مُرْتَحَل

فقال الكميت كما ترى[2] :

* تحمّق وهى كيِّسةُ الحويلِ *

[فزعم أن النّاس يحمقونها وهى كيِّسة] .

(قول بعض الأعراب)

وقال بعضُ أصحابنا : قيل لأعرابىٍّ : أتحسن أنْ تأكل الرَّأسَ ؟ قال : نعم . قيل : وكيف تصنع به ؟ قال : « أبخصُ عينيه[3] ، وأسْحا خدَّيه[4] ، وأعفص أذنيه[5] ، وأفكُّ لحيَيْه ، وأرْمى بالمخِّ[6] إلى مَن هو أحوجُ منِّى إليه » . قيل له : إنك لأحمق من رُبَع[7] . قال : و « ماحمق الرُّبَع ؟ ! والله إنه ليَجْتَنبُ العُدَوَاء[8] ويتبع أمّه فى المرعى ، ويُرَاوِحُ بين ١٠ الأطْباء ، ويعلم أن حنينها رُغاء ، فأين حمقُهُ » .

---

(١) هذا الإنشاد ساقط من ل . والبيتان لمسلم بن الوليد كما سبق فى (٦ : ٣٢٤)

(٢) ل : « كما مر » . وانظر ص ١٨ س ١٦ .

(٣) بخص عينه يبخصها ، بفتح الخاء : قلعها مع شحمتها . فيما عدا ل : « أعض عينيه » ، تحريف .

(٤) سحاه يسحوه ويسحيه ويسحاه ، سحوا وسحيا : قشره . وهذه العبارة ساقطة من ل .

(٥) العفص : الثنى والعطف . ط ، س : « أعقص » بالقاف ، صوابه بالفاء . والخبر رواه صاحب اللسان فى مادة (عفص) . وهذه العبارة وتاليتها ساقطة من ل .

(٦) فى الأصل : « بالدماغ » ، والوجه ما أثبت من اللسان .

(٧) الربع ، بضم ففتح . يقال فرس ذو عدواء إذا لم يكن ذا طمأنينة وسهولة . فيما عدا ل : « ليجنب » تحريف ، و « العدوى » تحريف كذلك .

(قتل المكاء للثعبان)

وحدث ابنُ الأعرابيّ عن هشام بن سالم ، وكان هشام من رهْط ذي الرُّمّة ، قال : أكلتْ حَيّةٌ بيضَ مُكّاء[١] فجعل المُكّاءُ يشرشِر على رأسها ويدنو منها ، حتى إذا فتحت فاها تريده [وهمّتْ به] ألقى فيه حَسَكة ، فلم يزل يُلقى فيه حسكةً بعد حسكة[٢] ، فأخذَتْ بحلقها حتى ماتت .

وأنشد ابن الأعرابيّ عند هذا الحديث قولَ الشاعر :

كأنّ لكلِّ عند كُلّ سخيمةً ... يُريد بتخْريق الأديم استلالهَا

وأنشد أبو عمرو الشيباني بيت شعر ، وهو هذا المعنى بعينه ، وهو قول الأسديِّ الدُّبيريّ[٣] :

إنْ كنتَ أبصَرْتنى فذًّا ومُصْطَلَمًا ... فرُبّما قَتَلَ المُكّاءُ ثُعبانا[٤]

يقول : قد يظفر القليل بالكثير[٥] . والقليلُ الأعوانِ بالكثير الأعوان ؛ والمُكّاء من أصغر الطير وأضعَفِه ، وقد احتال للثُّعبان حتّى قتله .

---

(١) المكاء ، بالضم والتشديد : طائر مثل القنبرة إلا أن في جناحيه بلقا ، سمي بذلك لأنه يمكو ، أي يصفر صفيرا حسنا . والمكاء مخفف : الصفير ، وفي التنزيل العزيز : (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) .

(٢) الكلام من : « فلم يزل » إلى هنا ليس في ل .

(٣) الدبيري : نسبة إلى « دبير » وهو أبو قبيلة من أسد ، كما في القاموس (دبر) : ط ، هـ : « الزبيري » س : « الزبيدي » صوابهما في ل .

(٤) الفذ : الفرد : ط ، ل : « قذا » س : « فظا » ، صوابهما في هـ .

(٥) ط ، هـ : « قد يظهر » ، تحريف .

(قول جالينوس فى معرفة أنثى الطير)

وقال جالينوس فى الإخبار عن معارف البهائم والطير ، وفى التعجُّب من ذلك وتعجب الناس منه : قولوا لى : مَن علَّمَ النسرَ الأنثى إذَا خافت على بيضها وفراخها الخفافيش أن تفرِش ذلك الوَكْر بورق الدُّلْب[1] حَتى لاتقربه الخفافيش : وهذا أعجب[2] ، والأطباء والعلماء لايتدافعونه . والنُّسور هى المنسوبة إلى قلّة المعرفة والكيس والفطنة .

(حزم فرخ العقاب)

وقال ابن الأعرابىّ وأبو الحسن المدائنى : قال رجلٌ من الأعراب : « كان سنان بن أبى حارثة أحزَم من فرخ العقاب[3] » . وذلك أنَّ جوارح الطير تتخذ أوكارها فى عُرْض الجبال[4] ، [فربّما] كان الجبلُ عموداً ، فلو تحرَّك الفرخ إذا طلب الطعم وقد أقبل إليه أبواه أو أحدهما وزادَ فى حركته شيئاً من موضع مَجثِمه هَوَى من رأس الجبل إلى الحضيض ، وهو يعرف مع صِغره وضُعْفه وقلّة تجربته ، أنّ الصواب فى ترك الحركة .

---

(١) الدلب ، بالضم : شجر يعظم ويتسع ولا نور له ولا ثمر ، وهو مفرض الورق واسعه ، شبيه بورق الكرم . وقال داود : « يعظم عند المياه جدا ، حتى رأيت شجرة منه تظل نحو عشرين فارسا . وورقه كورق التين لكنه أدق ، وأحسنه وجهيه مزغب » .

(٢) ط ، ل : « أعجب » .

(٣) انظر المثل فى كتاب البغل ص ٣٧٥ والميدانى ١ : ٢٠٢ .

(٤) ل : « الجبل » .

(اختلاف عادات صغار الحيوان)

ولو وُضِع فى أوكار الوحشيَّاتِ فرخٌ من فراخ الأهليَّات لتهافتن تهافُتاً كفراخ القطا والحجَل والقَبج والدُّرَّاج والدَّجاج ؛ لأنَّ هذه تدرج على البَسيط [1] وذلك لها عادة ، وفراخ الوحشيّة لا تجاوز الأوكار ؛ لأنها تعرِف وتعلم أنّ الهلَكةَ فى المجاوزة . وأولادُ الملاّحين للذين وُلدوا فى السفن الكبار ، والمنشآت العظام [2] لا يخاف الآباءُ والأمَّهات عليهم إذا درجوا ومَشوا أنْ يقعوا [3] فى الماء . ولو أن أولاد سُكان القصور والدّور صاروا مكان أولادِ أرباب السفن لتَهافتوا [4] . ولكلّ شىء قَدر ، وله موضعٌ وزمانٌ ووجهةٌ وعادةٌ .

فإذا استوى قصب ريش [فرخ] العقاب ، وأحَسَّ بالقوة طار .

وأبَوَا فَرخ الخطّاف يعلمانه الطيرانَ تعليما .

(الختان عند اليهود والمسلمين والنصارى)

وزعم ناسٌ من أطبَّاء النصارى وهم أعداءُ اليهود ، أن اليهود [5] يختِنون أولادَهم فى اليوم الثّامن ، وأن ذلك يَقَع [6] ، ويوافِق أَنْ يكون

---

(١) تدرج : تمشى . والبسيط : المنبسط من الأرض . فيما عدا ل : « تدر على البسيط » تحريف .

(٢) المنشآت ، بفتح الشين : السفن المرفوعة الشرع ؛ وبكسرها : الرافعة الشرع ، وبهما قرئ قول الله عز وجل : (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) . ل : « والشاهرات » تحريف .

(٣) ط : « أن يقع » ل : « أن يقعوا » ، صوابهما فى س ، هـ .

(٤) فيما عدا ل : « تهافتوا » .

(٥) فيما عدا ل : « أنهم » .

(٦) ط ، س : « نفع » صوابها فى ل ، هـ .

فى الصَّميمين ، كما يوافق الفصلين[1] ، وأنّهم لم يرَوْا قطّ يهوديًّا أصابه مكروه من قِبَل الختان ، وأنهم قد رأوْا من أولاد المسلمين والنصارى ما لا يُحصى مِمَّنْ لقى المكروهَ فى ختانه[2] إذا كان[3] ذلك فى الصَّميمين من ريح الحمرة[4] ، ومن قطع طَرَف الكمرة ، ومن أن تكون المُوسَى حديثةَ العَهْد بالإحداد وسَقْى الماء ، فتشيط[5] [عند] ذلك الكَمَرة ويعتريها بَرَص . والصبىّ[6] ابن ثمانية أيام أعسر [ختاناً] من الغُلام الذى قد شَبَّ وشدن وقَوىَ ؛ إلاّ أنْ ذلك البرصَ لا يتَفشى[7] ولا يعدو مكانَه ؛[وهو فى ذلك] كنحو البرص الذى يكون من الكىّ وإحراق النار ، فإنهما يفحشان ولا يتسعان[8] .

(ختان أولاد السفلة وأولاد الملوك وأشباههم)

ويختن من أولاد السِّفْلة والفقراء [الجماعة الكثيرة] فيؤمَن عليهم خطأُ الخاتن ، وذلك غير مأمون على أولاد الملوك وأشباهِ الملوك ، لفِرط الاجتهاد و [شدّة] الاحتياط ، ومع ذلك يَزْمَعُ[9] ، ومع الزَّمَع[10]

---

(١) سبق الكلام على الصميمين فى ص ١٦ . فيما عدا ل : « كما وافق » .
(٢) فيما عدا ل : « ممن لا يحصى من لقى من المكروه فى ختانه » .
(٣) فيما عدا ل : « إن » .
(٤) الحمرة : داء يعترى الناس فيحمر موضعها ، وهو من جنس الطواعين .
(٥) شاط يشيط : هلك ، واحترق . فيما عدا ل : « فيسقط » .
(٦) فيما عدا ل : « ويظن أن » .
(٧) يتفشى : ينتشر . فيما عدا ل : « برص لاينفشر » تحريف .
(٨) فيما عدا ل : « وإن كان لا ينبتان » لكن فى هـ : « لا ينسقان » ، والصواب ما أثبت من ل .
(٩) أى يز مع الخاتن . والزمع : الدهش ، ورعدة تعترى الإنسان إذا هم بأمر . فيما عدا ل : « يزيع » ، تحريف .
(١٠) فيما عدا ل : « الزيع » ، تحريف .

والرِّعدة يقعُ الخطأُ ، وعلى قدر رعدة اليد[1] ينال القلب من الاضطراب على حسَب ذلك .

(حسن التدبير فى الختان)

وليس من التدبير أن يحضُر الصبىّ والخاتنَ إلاّ سفلة الخدم ، ولا يحضره من يهاب .

(قدم ختان العرب)

وهذا الختان فى العرب فى النِّساء والرجال من لدُنْ إبراهيم وهاجر إلى يومنا هذا . ثم لم يُولَد صبىٌّ مختونٌ قط[2] أو فى صورةِ مختون .

(ختان الأنبياء)

وناسٌ يزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم وعيسى بن مريم وُلِدَا مختونين . والسَّبيلُ فى مثل هـذا الرُّجوعُ إلى الرواية الصحيحة ، [والأثر القائم] .

(أثر الختان فى اللذة)

قال : والبظراء تجد من اللذة ما لا تجدُه المختونة ، فإنْ كانت مُستأصَلة مستوعَبةً كان على قدر ذلك . وأصل ختان النساء لم يُحاوَلْ به الحسنُ دونَ التماس نُقصان الشهوة ، فيكون العفاف عليهنَّ مقصورًا[3] . قال :

---

(١) فيما عدا ل : « وعلى قدر الاحتياط إليه » ، تحريف .

(٢) ل : « قط مختونا » .

(٣) ل : « مقصورا عليهن » .

ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم [للخاتنة] : « يا أم عطيّة أشِمِّيه ولا تَنْهَكِيه[١] ، فإنه أَسْرَى للوَجْه[٢] ، وأحظَى عند البعل » . كأنه أراد النبىُّ صلى الله عليه وسلم أن ينقُص من شهوتها بقدر ما يردّها إلى الاعتدال ؛ فإن شهوتها إذا قلَّتْ ذهبَ التمتّع ، ونقَصَ حُبُّ الأزواج ، وحبُّ الزَّوج قَيْدٌ دون الفجور[٣] : والمرأة لا تكونُ فى حالٍ من حالات الجماع أشدَّ شهوةً منها للكَوْم الذى لقحت منه[٤] .

وقد كان رجلٌ من كبار الأشراف عندنا يقول للخاتنة : لا تقرضى إلاّ ما يظهر فقط . ١٢

(أثر الختان فى العفاف والفجور)

وزعم جَناب بن الخشخاش[٥] القاضى ، أنه أحصى فى قرية [واحدة] النساء المختونات والمُعْبَرَات[٦] ، فوجد أكثر العفائفِ مستوعَبات[٧] وأكثر الفواجر مُعْبَرَات[٨] ، وأن نساء الهند والروم[٩] وفارس إنما صار الزنى وطلبه

---

(١) الإشمام : أن تأخذ منه قليلا . فيما عدا ل : « شمه » تحريف .

(٢) أسرى : أجلى . ط : « أسر » هـ : « أسرا » . ويروى : « أضوأ للوجه » .

(٣) فيما عدا ل : « فيه دون الفجور » .

(٤) ط ، هـ : « للكرم » .

(٥) جناب بن الخشخاش العنبرى ، ترجم له فى لسان الميزان (٢ : ١٣٨) وقال : « روى منه عبد الله بن معاوية الجمحى » . وذكره الذهبى فى المشتبه . ل : « جناب بن الخشقاش » محرف ، كما حرف فى سائر النسخ ، ففى ط : « حباب بن حسان » س : « حباب بن جساس » هـ : « حباب بن حساس » .

(٦) معبرة ، بفتح الباء المخففة : لم تخفض . فيما عدا ل : « مبظرات » ، وهو خلاف الصواب ؛ إذ أن المبظرات المختونات المخفوضات .

(٧) ل ، س : « موعبات » .

(٨) فيما عدا ل « مبظرات » . وانظر التنبيه السادس .

(٩) فيما عدا ل : « الروم والهند » .

الرِّجال فيهنَّ أعم ، لأنَّ شهوتهنَّ للرجال أكثر ، ولذلك اتخذ الهند دورًا للزَّوانى ، قالوا : وليس لذلك علّة إلاّ وفارةَ البَظْر[١] والقُلْفة .

والهند توافِق العربَ فى كلِّ شىء إلاّ فى ختانِ النِّساء والرجال . ودعاهم إلى ذلك تعمُّقهم فى توفير حظ الباه . قالوا : ولذلك اتخذوا الأدوية ، وكتبوا فى صناعة الباه كتباً ودَرَسُوها الأولاد[٢] .

(السَّحْق)

قالوا : ومن أكبر[٣] ما يدعو النساء إلى السحق [أنهنَّ] إذا ألصقن موضع مَحَزِّ الختان وجَدْنَ هناك لذَّةً عجيبة ، وكلما كان ذلك منها أوفرَ كان السَّحقُ ألذّ . قال : ولذلك صار حُذّاق الرِّجالِ يضعون أطراف الكمر ويعتمدون بها على محزِّ الختان ، لأنَّ هناك مجتمَعَ الشهوة .

(ظمأ الأيِّل إذا أكل الحيات)

ومن هذا الباب الذى ذكرنا فيه صِدقَ إحساس الحيوان ثم اللاتى يضاف منها إلى المُوق وينسب إلى الغثارة[٤] . قال داود النبى عليه السلام فى الزبور : « شوقى إلى المسيح مثل الأيِّل إذا أكل الحيَّات[٥] »

---

(١) فيما عدا ل : « قارة البظر » ، وإنما هى الوفارة بمعنى التمام والوفرة .

(٢) فى اللسان : « ابن جنى : ودرسته إياه وأدرسته . ومن الشاذ قراءة ابن حيوة : (وبما كنتم تدرسون) .

(٣) فيما عدا ل : « أكثر بالثاء » .

(٤) الغثارة : الحمق ، ولم تصرح المعاجم بهذا المصدر ، لكن فيها : الأغثر : الأحمق الجاهل . فيما عدا ل : « الغباوة » وليس يريدها الجاحظ .

(٥) النص فى المزامير (٤٢ : ١) : « كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسى إليك يا الله » .

[والأيّل إذا أكل الحيّات[1]] فاعتراه العطش الشديد تراه كيف[2] يدور حَول الماء ويحجزه من الشرب [منه] علمُه بأنَّ ذلك عطبُه ، لأن السموم حينئذٍ تجرى مع [هذا] المـاء ، وتدخل مداخلَ لم يكن لِيبلغها الطَّعامُ بِنفسه[3] . وليس علم الأيِّل بهذا كان عن تجربةٍ متقدِّمة[4] ، بل هذا يوجد[5] فى أوّل ما يأكل الحيّاتِ وفى آخِره[6] .

(تعلُّق رؤوس الحيات فى بدن الأيِّل)

وربما اصطيد الأيِّل فيجد القنَّاصُ رؤوس الأفاعى وسائرِ الحياتِ ناشبةَ الأسنان فى عنقه وجلد وجهه ؛ لأنه يريدُ أكلها فربّما بدرته الأفعى والأسود وغيرهما من الحيات فتعضُّه ، وهو يأكلها ويأكل ما ينال منها [ويفوته ما تعلق به منها] بالعضِّ ، فتبقى الرُّءوس مع الأعناق معلَّقةً عليه إلى أن تنقطِع .

(نصول قرن الوعل)

[قالوا: وليس شىءٌ من ذوات القرون ينصل قرنه[7] فى كلِّ عام إلا الوعل ، فإذا علم أنَّه غير ذى قرن ، وأنه عديم السلاح ، لم يظهر من مخافة السباع . فإذا طال مُكثُه فى موضعه سمن ؛ فإذا سمن علم أن حركته تفقد

(١) بمثل هذه يلتئم الكلام .
(٢) فيما عدا ل : « فكيف تراه » .
(٣) ط ، هـ : « نفسه » تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « وليس علمى بهذا علما عن تجربة » ، تحريف.
(٥) فيما عدا ل : « هكذا يوجد » .
(٦) فى الأصل : « وفى آخرها » .
(٧) ينصل قرنه : يسقط . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « ينصب » تحريف .

وتمطى ، فزاد ذلك فى استخفائه وقلّة تعرُّضه ، واحتالَ بألاّ يكون أبدا على علاوة الريح ، فإذا نجم قرنه[١] لم يجد بُدًّا من أن يمظِّعه[٢] ويعرِّضه للشمس والريح ، حتى إذا أيقن أنه قد اشتد أكثر المجىء والذهاب التماسا أن يذهب شحمه ، ويشتد لحمه ، وعند ذلك يحتال فى البعد من السِّباع ، حتى إذا أمكنه استعمال قرنيه فى النزال[٣] والاعتماد عليهما ، والوثوب من جهتهما ، رجَع إلى حاله من مراعيه وعاداته . ولذلك قال عصام بن زفر :

تَرجو الثَّوَاب من صبيح يا حَمَلْ   قد مصَّه الدهر فما فيه بَلَلْ

إن صبيحًا ظاعِنٌ فمحتَمِلْ   فلائذٌ منك بشِعبٍ من جَبَلْ

* كما يلوذ من أعاديه الوَعِلْ *

فضرب به المثل كما ترى فى الاحتيال والهربِ من أعدائه . وقال الراجز :

لما رأيتُ البرقَ قد تبسَّما   وأخرج القَطْرُ القَرُوعَ الأعصَما

قال ابن الأعرابىّ : إنما سمَّوا الوعلَ القَروع لأنه يقرع عَجْب ذنبه من الناحيتين جميعاً] .

(بيوت الزنابير)

وقال ابن الكلبى : قال الشرقى بن القطامى ذات يوم : أرأيتم لو فكَّر رجل منكم عُمرَه الأطولَ فى أن يتعرَّف الشىء الذى تتَّخذ الزنابيرَ بيوتها المخرَّقة بمثل المحاوب[٤] ، المستوية فى الأقدار ، المتحاجزة بالحيطان ، السخيفة

---

(١) نجم قرنه : ظهر . وفى الأصل : « لحم » تحريف .

(٢) يمظعه : يعرضه للشمس ، وفى الأصل : « يعطعه » بالمهملة ، تحريف ، قال أوس :

فظمها حولين ماء لحائها   تعالى على ظهر العريش وتنزل

(٣) فى الأصل : « النزول » .

(٤) س ، هـ : « الحلقة » ط : « المحلقة » . ط ، س : « بمثل المجالس » ، هـ : « المجارف » تحريف . والمجوب ، بكسر الميم : آلة الجوب وهو الخرق والقطع .

فى المنظر ، الخفيفة فى المحمل ، المستديرة المضمر بعضها ببعض ، المتقاربة الأجزاء . وهى البيوت التى تعلم أنها بُنيت من جوهرٍ واحد وكأنها من ورق أطباق صِغار الكاغد المزرّرة[1] . قولوا لى : كيف جمعته ؟ ومن أى شىء أخذتْه ، وهو لا يشبه البناء ولا النَّسجَ ولا الخياطة .

١٣ ولم يفسر ابن الكلبى والشرقىّ فى ذلك شيئا ، فلم يصِرْ فى أيدينا منهما[2] إلا التعجُّب والتعجيب . فسألت بعد ذلك مشايخ الأكَرَة[3] فزعموا أنها تلتقطه من زَبَد المُدود[4] . فلا يدرى أمِن نَفْس الزَّبَدِ تأخذ ، أم مِن شىء يكون فى الزَّبد .

والذى عرَّف الزنابير مواضع تلك الأجزاء ، ودلها على ذلك الجوهر هو الذى علَّمَ العنكبوتَ ذلك النسج . وقد قال الشاعر :

كأنَّ قفا هارون إذ يَعْتَلونَهُ ... قفا عَنْكبُوتٍ سُلَّ من دُبْرها غَزْلُ

وقد قال بلا علم .

وأما دودة القزّ فلا نشك[5] أنها تخرجه من جوفها .

(معرفة الحُقنة من الطير)

وتزعم الأطباء أنهم استفادوا معرفة الحُقنة من قِبل الطائر الذى إذا أصابه الحُصْر أتى البحرَ فأخَذَ بمنقاره من الماء المالح ، ثم استدخله فمجَّه فى جوفه ، وأمكنَه ذلك بطول العنق والمنقار ، فإذا فعل ذلك ، ذَرَق فاستراحَ

(١) انظر للكاغد ما مضى فى (٤ : ٣٧٤) .
(٢) فيما عدا ل : « منها » ، والضمير لابن الكلبى والشرقى .
(٣) الأكرة ، بالتحريك : جمع أكار ، كشداد ، وهو الحراث .
(٤) المدود : السيول ، جمع مد . فيما عدا ل : « الممدود » تحريف .
(٥) ل : « فبلا شك » .

(ما يتعالج به الحيوان)

والقنفذ وابن عِرسٍ إذا ناهشا الأفاعيَ والحيَّاتِ الكبارَ تعالَجا بأكل الصَّعتر[١] البرّيّ .

والعقاب إذا اشتكت كبدَها مِن رَفْعها الأرنبَ والثعلبَ في الهواء وحَطِّها لها مِرَارًا فإنها لا تأكل إلاَّ من الأكباد حتى تبرأَ من وجَع كبدها .

(رغبة الثعلب في القنفذ)

[قال : وسألتُ القُنَّاصَ : ما رغبة الثعلب في أكل القنفذ وإن كان حشو إهابه شحماً سميناً ، وفي[٢] ظاهر جلده شوك صلابٌ حدادٌ متقاربٌ كتقارُب الشعر في الجسد ؟ فزعموا أنَّ الثعلبَ إذا أصابه قلبَه لظهره ثم بال على بطنه فما بين مغرزِ عَجْبه إلى فكَّيه ، فإذا أصابه ذلك البولُ اعتراه الأسَنُ[٣] فأسبَطَ[٤] وتمدَّد ، فينقر عن بطنه . فمن تلك الجهة يأكل جميعَ بدنه ومسلوخِه الذي يشتمل عليه جلدهُ .

(صيد الظربان للضب)

وقالوا : وبشبيهٍ بهذه العلّة يصيد الظَّرِبانُ الضبَّ في جوف جُحْره حتى يغتصبه نفسَه ؛ وذلك أنّه يعلم أنّه أنتن خلق الله فَسوة ، فإذا دخل

---

(١) الصعتر ، ويقال أيضا « السعتر » : نبت من خواصه طرد الهوام . ط : « الصقر » ل : « الصمير » ، صوابهما في س ، هـ .

(٢) هذه الكلمة ليست في الأصل ، وهو هنا ل .

(٣) الأسن ، بالتحريك : الدوار والغشي ، ويقال للذي غشي عليه من رائحة البئر أسن ، قال زهير :

يغادر القرن مصفرا أنامله ... يميد في الرمح ميد المائح الأسن

(٤) أسبط إسباطا : امتد على وجه الأرض وانبسط ؛ ومثله اسبطر .

عليه جُحره سَدَّ خَصاصَه وفُروجَه ببدنه ، وهو فى ذلك مستدبِرٌ له ، فلا يفسو عليه ثلاثَ فَسَوَاتٍ حتى يُغْطِىَ بيده فيأكله كيفَ شاءَ .

قالوا : وربّما فسا وهو بقرْب الهَجْمة وهى باركةٌ فتتفرّق فى الصحراء فلا يجمعُها راعِيها إلاّ بجهد شديد ، ولذلك قال الشاعر :

لاتمنحـوا صقـرًا ، فما لمنيحةٍ
أتت آلَ صقرٍ من ثوابٍ ولا شُكْرِ
فما ظَرِبانٌ يُوبِسُ الضبَّ فَسْوُهُ بِألأَمَ لؤما قد علمناه مِن صقْرِ [1]

ولذلك قال الراجز ، وهو يذكر تكسُّب الظربان بفسوه لِطُعْمِهِ [2] وقوته ، كما يتكسَّب الناس بالصِّناعات والتِّجارات ، فقال :

باتا يُحَكَّان عراصِيفَ القَتَبْ [3] مستمسِكَيْنِ بالبِطانِ وَالحقَبْ [4]
كما يُحَكُّ القِينُ أطرافَ الخشَبْ [5] وابن يزيدَ حَرَبٌ من الحَرَبْ [6]
لاينفع الصاحبَ إلاّ أن يَسُبّ كالظَّرِبان بالفُسَاء يكتسِبْ

(١) يؤبسه : يقهره . وفى الأصل : « يؤنس » تحريف . وفى اللسان : « وأبسه أبسا : قهره . عن ابن الأعرابى . وأبسه : غاظه وروعه » . وفى الأصل : « بآلم لؤما » .

(٢) فى الأصل : « وطمعه » ، تحريف .

(٣) العراصيف : أربعة أوتاد يجمعن بين رءوس أحناء الرحل ، الواحد عرصاف وعرصوف ، وتسمى أيضا العصافير ، واحدها عصفور . انظر المخصص (٧ : ١٤٠) واللسان (١١ : ١٤٨ - ١٤٩) . وفى الأصل : « غضاريف » تحريف .

(٤) البطان ، بالكسر : حزام الرحل . والحقب ، بالتحريك : حبل يشد به الرحل فى بطن البعير لئلا يؤذيه التصدير .

(٥) فى الأصل : « كما يحل » ، تحريف .

(٦) الحرب : الخصومة والغضب ، وصفه بالمصدر .

(ما قيل فى بلاهة الحمام)

قال ابن الأعرابىّ : قلت لشيخ من قريش : مَن علّمك هذا ، وإنما يُحسِن من هذا أصحابُ التجارات والتكسُّب ، وأنتَ رجلٌ مكفىٌّ مودّع [1] ؟ قال : علّمنى الذى علم الحمامةَ على بَلَهها تقليبَ بيضها كى تعطى الوجهين جميعاً نصيبَهما من الحضْن ، ولخوف طباع الأرض إذا دام على الشِّقِّ الواحد .

والحمام أبله ؛ ولذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : « كونوا بُلْهًا كالحمام » . ألا ترى أنّ الحمام فى الوجه الذى ألهمه الله مصالح ما يُعيشه ، ويُصْلِح به شأنَ ذَرْئه ونسله — ليس بدونِ الإنسان فى ذرئه ونسله ، مع ما خُوِّل من المنطق ، وأُلهِمَ من العقل ، وأُعطى من التّصريف فى الوجوه [2]] ؟ !

(حيلة الفأرة للعقرب)

وإذا جَمَعَ بعضُ أهل العَبث وبعضُ أهل التّجرِبة بين العقرب وبين الفأرة فى إناءِ زجاج ، فليس عندَ الفأرة حيلةٌ أبلغُ من قرض إبرة العقرب فإمّا أنْ تموتَ من ساعتها ، وإمّا أنْ تتعجل السَّلامةَ منها ، ثم تقتلَها كيف شاءت ، وتأكلَها كيف أحبَّت .

(علم الذرة)

قال : ومَن علَّم الذَّرَّة أن تفلق الحبَّةَ فتأكل [3] موضع القِطمير لئلا

---

(١) المكفى : الذى كفى أموره ، وفى الأصل : « يتكفى » تحريف . والمودع : المرفه ، يقال ودعه توديعا فهو مودع ، وموادوع على غير قياس .

(٢) إلى هنا تنتهى التكملة التى بدأت فى ص ٣٣ س ٧ .

(٣) فيما عدا ل : « وتأكل » .

تنبتَ فتفسُدُ . فإذا كانت الحبَّة من حبّ الكزبُرة[١] ففلقتها أنصافا لم ترض[٢] حتى تفلِقها أرباعا ؛ لأن الكُزبُرة من بين جميع الحبّ[٣] تنبُت وإنْ كانت أنصافا . وهذا عِلْمٌ غامضٌ إذَا عرَفه الشّيخُ الفلّاح المجرِّب ، والفاشكار[٤] الرئيس والأكّار الحاذِق ، فقد بلغوا النهاية في الرِّياسة .

(معرفة الدبّ)

وقال جالينوس[٥] : ومن علْم الدبّ الأنثى إذا وضعت ولدَها أنْ ترفعَه في الهواء أياما تهرُب به من الذَّرِّ والنمل ، لأنها تضعه كفِدْرة[٦] من لحمٍ ، غيرَ متميِّز الجوارح ، فهي تخاف عليه الذَّرَّ ، وذلك له حتفٌ . فلا تزالُ رافعةً له وراصدة ، ومُتفقِّدَةً ومُحوِّلةً [له[٧]] من موضعٍ إلى موضع ، حتى يشتد وتنْفرج أعضاؤُه .

(شعر لبشار)

وقال بشّار الأعمى :

أما الحيَاة فكلُّ النَّاسِ يحفظُها ... وفي المعيشةِ أبلاءٌ مناكيرُ[٨]
وكلٌّ قسمٍ فللعقبان أكثَرُهُ ... والحظُّ شيءٌ عليه الدهر مقصورُ

---

(١) فيما عدا ل : « وإذا أخذت الحبة من حبة الكزبرة » .
(٢) فيما عدا ل : « فلقتها أنصافا فلم ترض » .
(٣) فيما عدا ل : « البزور » .
(٤) الفاشكار ، لفظة فارسية معربة ؛ مأخوذة من « بشكارى » الفارسية ، بمعنى الزراعة والفلاحة : (Agriculture, tillage) . انظر استينجاس ١٨٩ .
(٥) س ، هـ : « الجالينوس » .
(٦) الفدرة ، بالكسر : القطعة من اللحم إذا كانت مجتمعة. فيما عدا ل : « كجذوة » ، تحريف .
(٧) فيما عدا ل : « وتفقده وتحوله » .
(٨) فيما عدا ل : « أما الجياد » تحريف . والأبلاء : جمع بلو ، بالكسر ، يقال رجل بلو شر وبلو خير ، أي قوى عليه . فيما عدا ل : « أشياء » موضع : « أبلاء » .

(أُمْنِيَّة بشر أخى بشار)

وقال بشر أخو بشّار — وكانوا ثلاثةً ، واحد حنفىٌّ ، وواحد سدوسىٌّ وبشّار عُقيلىٌّ ، وإنما نزل فى بنى سدوس لسبب أخيه[1] — وقد كان قيل لأخيه : لو خيَّرك الله أنْ تكون شيئاً من الحيوان أىَّ شىءٍ كنتَ تتمنى أن تكون ؟ قال : عُقاب . قيل : ولِمَ تمنّيت ذلك ؟ قال : لأنّها تَبيتُ حيثُ لاينالها سَبُعٌ ذو أربعٍ ، وتَحِيدُ عنها سباعُ الطَّير . ١٤

(معرفة فى العقاب)

وهى لاتعانى الصَّيد إلّا فى الفَرْط ، ولكنّها تسلُب كلّ صَيُودٍ صَيْدَه . وإذا جامع[2] صاحبُ الصقر وصاحبُ الشّاهين وصاحبُ البازى [صاحبَ العقاب ، لم يرسلوا أطيارهم خوفاً من العُقاب . وهى طويلة العمر ، عاقّة بولدها] . وهى لاتحمِل على نفسها فى الكَسْبِ ، و [هى] إنْ [شاءتْ] كانت فوقَ كلِّ شىءٍ ، وإن شاءتْ كانت بقُرْبِ كلِّ شىء ، وتتغدّى بالعِراق وتتعشّى باليمن . وريشُها الذى عليها هو فَروُها فى الشتاء ، وخَيْشُها فى الصيف . وهى أبصرُ خلق الله .

هذا قولُ صاحب المنطق فى عُقوق العقاب وجفائها بأولادها ، فأمّا أشعار العرب فهى تدلُّ على خلاف ذلك ، قال دريد بن الصِّمَّة[3] :

---

(١) فيما عدا ل : « فى بنى عقيل لمكان أخيه » . وفى الأغانى (٣ : ٥٣) : « وكان بشار مجاورا لبنى عقيل وبنى سدوس فى منزل الحيين » .

(٢) فيما عدا ل : « وإذا رآها الجامع » ، تحريف .

(٣) كذا ، والمعروف نسبة الشعر إلى المعقر البارق ، واسمه سفيان بن أوس ، وبالبيت الثانى سمى « معقرا » . انظر الأغانى (١٠ : ٤٤ — ٤٥) والمزهر (٢ : ٢٧٣) . وقصيدته فى الأغانى . وقبل البيتين :

قفرج عنا كل ثغر مخافة   مسح كسرحان القصيمة ضامر

وكلُّ لَجُوجٍ فى العِنانِ كأنَّها إذا اغتمست فى الماءِ فَتْخَاءُ كاسِرُ[١]
لها ناهض فى الوكر قد مَهَدَتْ له كما مَهَدَتْ لِلْبَعْلِ حسناءُ عاقرُ[٢]

(المحمق من الحيوان)

والحيوان المحمّق الرَّخَمة والحُبارَى . قال عثمان بن عفّان رضى الله عنه : «كلُّ [شىءٍ] يحبُّ ولدَه حتّى الحبارى» .

وأنثى الذئاب ، وهى التى تسمَّى جَهِيزة[٣] ، والضبع ، والنَّعجة والعنز[٤] ، هذه من الموصوفات بالمُوق [جدًّا] .

قال : ومن الحيوان ماليس عنده إلّا الجمالُ والحسن [كالطاوس ؛ وهو من الطير المحمَّق] ، وكذلك التُّدْرُجُ[٥] مع جماله وحُسنه وعجيب وَشْيه ، والزرافةُ ، وهى أيضا موصوفة بالمُوق ، وليس عندها إلا طَرَافة الصُّورة[٦]

---

(١) عنى الفرس . اغتمست فى الماء أى عرقت عرقا شديدا من الجرى . والفتخاء : العقاب ، سميت بذلك للين جناحيها . والكاسر : المنقضة . فيما عدا ل : « فى العناق » تحريف . وفى الأغانى واللسان (١٤ : ٨) : « وكل طموح » وفى اللسان : « إذا اغتسلت بالماء » قال : « ويقال للفرس إذا عرق قد غسل وقد اغتسل » .

(٢) الناهض : فرخ العقاب الذى وفر جناحاه ونهض للطيران . ل : « ناحض » ، وفيما عدا ل : « ناهد » ، صوابهما ما أثبت من الأغانى والمزهر والمقاييس (عقر) . قال أبو الفرج : « وإنما خص العاقر لأنها أقل دلا على الزوج من الولود فهى تصنع له وتداريه » . وبعد البيت :

تخاف نساء يبتدرن حليلها محردة قد حردتها الضرائر

(٣) فيما عدا ل : « جهيرة » صوابه بالزاى . وجهيزة علم ممنوع من الصرف ، لكن نقل فى اللسان عن الجاحظ أنه مصروف ، وهو نقل عجيب ؛ إلا أن يكون اعتمد الناقل فى ذلك على نسخة من الحيوان ، وليست النسخ بحجة فى الضبط .

(٤) فيما عدا ل : « والبقر » تحريف . وانظر ماسبق فى (١ : ٣٥٤ / ٥ : ٤٧٠) .

(٥) انظر حواشى (٥ : ٢٠٩) .

(٦) الطريف : العجيب ، يقال طرف طرافة . فيما عدا ل : « ظرافة » وهى صحيحة أيضا ، وفى القاموس : « ظرف ككرم ظرفا وظرافة قليلة » . وانظر ما سبق فى (٣ : ١٦٣) .

وغرابة النِّتاج . وهى من الخَلْق العجيب مَواضِع الأعضاء ، ويتنازعها أشباهٌ كثيرة .

والفيل عجيب[1] ظريف ، ولكنه قَبيحٌ مَسيخ[2] ، وهو فى ذلك بهىٌّ [نبيلٌ] ، والعين لاتكرهه . والخنزير قبيح مَسيخٌ ، والعين تكرهه[3] . والقرد قَبيحٌ مليح .

وعند البَبْغاء[4] والمُكَّاء والعندبيل[5] وابن تَمْرة[6] مع صغر أجْرامها ولَطافة شُخوصها ، وضَعْف أسْرِها[7] ، من المعرفة والكَيس والفِطنة والخُبث ماليسَ عند الزَّرافة والطاووس. والببغاء عجيب الأمر[8] .

ويقولون : عندليب[وعندبيل[9]] ، وهو [من] أصغر الطير .

(ماقيل فى حمق الأجناس المائية وفطنتها)

فأما الأجناس المائية من أصناف السَّمك ، والأجناس التى تُعايش[10] السَّمك ، فإنَّ جماعتَها موصوفَةٌ بالجَهل والُموق وقِلَّة المعرفة ، وليس فيها خُلُقٌ مذكور ، ولا خَصْلة من خِصال الفِطَن ، إلا كنحو ما يروى من صَيد الجرِّىِّ

(١) ط ، س : « عجب » .

(٢) المسيخ : الذى لاملاحة له ؛ وقد مسخ مساخة . فيما عدا ل : « سمج » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل . وكلمة « نسخ » هى فى الأصل « سمج » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ل : « السقاء » .

(٥) انظر (٥ : ١٤٩ / ٦ : ٢٩٢ ، ٤٠٩) . ولم أجد معتمدا لصحة هذه الكلمة . وفيما عدا ل : « عندليب » .

(٦) سبق الكلام عليه فى (٥ : ١٤٩ / ٦ : ٤٠٩) . فيما عدا ل : « ابن غرة » تحريف .

(٧) الأسر ، بالفتح : القوة . فيما عدا ل : « أمرها » .

(٨) ل : « والسقاء عجيبة الأمر » .

(٩) هذه الكلمة من ل ، س ، هـ . وانظر التنبيه الخامس .

(١٠) فيما عدا ل : « تعاشر » .

١٥ للجِرْذَان ، وحَمْل تلك الدابة للغَرْق حتّى تؤدِّيَهم إلى الساحل[١] .

(شدة بدن السمكة والحية)

والسمكة شديدة البدن ، وكذلك الحيّة . وكلُّ شيء لايستعينُ بيدٍ ولا رجلٍ ولا جَنَاحٍ ، وإنما يستعمل أجزاءَ بدنه معاً فإنه يكونُ شديد البدن .

(حيلة الشبوط فى التخلص من الشبكة)

وخبَّرنى بعضُ الصيّادين أنَّ الشبوطة تنتهى فى النهر[٢] إلى الشَّبكة فلا تستطيع[٣] النفوذ منها ، فتعلم أنها لايُنجيها إلا الوثوب فتتأخّر قدرَ قابِ رُمح[٤] ، ثم تتأخَّر جامعةً لجراميزها[٥] حَتَّى تثِب ، فربّما كان ارتفاعُ وثْبتِها فى الهواء أكثرَ من عَشْرِ أذرُع . وإنما اعتمدَتْ على ماوصفنا[٦] . وهذا العملُ أكثرُ ما روَوْه من معرفتها ، وليس لها فى المعرفة نصيبٌ مذكور .

---

(١) لم يذكر الجاحظ اسم تلك الدابة البحرية ، وقال أيضا فى ص ١٣٠ : « وقد ذهب عنى اسمه » . وتلك الدابة هى « الدخس » . انظر الحاشية التاسعة من (٥ : ٥٤٥) والثامنة من (٦ : ٢٧) .

(٢) فيما عدا ل : « إلى النحيز » تحريف .

(٣) ط : « نستطيع » س : « يستطيع » محرفتان .

(٤) القاب : القدر . وكلمة « قدر » ليست فى ل . وإضافة الاسم إلى مرادفه وردت كثيرا فى كلام العرب . وفى قول الله : (ولدار الآخرة) و : (حق اليقين) و : (حب الحصيد) . وانظر شرح الأشمونى للألفية (٢ : ٢٣٨) .

(٥) الجراميز : الجسد والأعضاء ، يقال جمع جراميزه ، إذا تقبض ليثب . فيما عدا ل : « بجراميزها » تحريف .

(٦) ل : « على ماء » ، ولها وجه .

(مايغوص من السمك فى الطين)

وأنواعٌ من السمك يغوصُ فى الطِّين ، وذلك أنها تَنْخَر[١] وتتنفَّس فى جوفه ، وتلزم أصول النبات إذا لم يرتفع[٢] ، وتلتمس الطُّعم والسِّفاد .

ونحن لم نر قَطُّ فى بطن دِجلةَ والفراتِ وجميع الأودية والأنهار ، عند نضوب الماء ، وانكشاف الأرض وظهور [وجه] الطين وعند الجزْر والنُّقصان فى الماء فى مَوَاخِر الصَّيْف[٣] وأيَّامِ مجاورة الأهلّة والأنْصاف[٤] جُحْرًا قَطُّ ، فضلاً على مايقولُون[٥] ، أنّ لها فى بُطونِ الأنهار بيوتاً .

(جحرة الوحش)

ورأيتُ عجَبا آخرَ ، وهو أنّى فى طَولِ مادخلت البَرارىَّ ، ودخلت البُلدان ، فى صحارى جزيرة العرب والرُّوم والشّام والجزيرة وغير ذلك ، ما أعلمُ أنّى رأيتَ على لَقَمِ طريقٍ[٦] أو جادةٍ ، أو شَرَكٍ مُصَاقِبٍ ذلك[٧]

---

(١) ل : « لها مسخر » س ، هـ : « أنها تسخر » ط : « أنها تسحر » والوجه ما أثبت .

(٢) ل : « إذا لم ترتع » من الارتعاء ، وهو الرعى .

(٣) جمع مؤخر بالتسهيل . وفى ل : « أواخر » .

(٤) أى أنصاف الشهور . ط ، هـ : « وما نأمن مجاورة الأبلة » س : « وما أنا من محاورة الأبلة » مع إسقاط كلمة : « والأنصاف » . وانظر المد والجزر ماسبق فى (١ : ٤٧ س ٣ — ٤ / ٥ : ٢٨٧ ، ٤٧٩) .

(٥) فيما عدا ل : « فضلا عما يقولون » .

(٦) لقم الطريق ، بالتحريك : متنه ووسطه ومعظمه .

(٧) شرك الطريق : جواده ، وقيل هى الطرق التى لاتخفى عليك ولا تستجمع لك ، فأنت تراها وربما انقطعت ، غير أنها لاتخفى عليك . والمصاقب : المجاور . فيما عدا ل : « سرك » وفى ل : « شراك » صوابهما ما أثبت . ط ، هـ : « مصافت » ، محرفة ، وفى ل : « يصاقب » .

أو إذا جانبتَ الطُّرُق[١] ، وأمعنْتَ فى البَرارى ، وضربتَ إلى المَوْضِع[٢] [الوحشى ـ جُحرا واحدًا يجوز أن يدخله ضبع أو تيس ظباء ، أو بعض هذه الأجناس] الوحشيّة . وما أكثر ما أرَى الجِحَرَةَ ، ولكنى لم أرَ شيئاً يتسعُ للثّعلب[٣] وابنِ آوى ، فضلا على هذه الوحوش الكِبار[٤] مما هو مذكور بالتَّوْلَج والوِجار ، وبالكِناس والعَرِين .

وجُحْرالضبّ يسمَّى عريناً ، وهو غيرالعَرين الذى يضاف إلى الشَّجَر[٥] .

(حيلة الضب واليربوع)

وأمّا حِفظ الحياةِ والبصَر بالكَسْبِ ، والاحتراسُ مِنالعدوّ والاستعدادُ بالحِيَل ، فكما أعدَّ الضبُّ واليَربوع[٦] .

(أوقات اختفاء الفهد والأيل)

والفهد إذا سِمِنَ عَرَف أنه مطلوب ، وأنّ حركته قد ثقُلت ، فهو يُخفى نفسَه بجهده حتى ينقضِيَ ذلك الزمان الذى تسمن فيه الفهود ، ويعلم أنّ رائحة بدنه شهيَّةٌ إلى الأسد [والنَّمِر . وهو ألطفُ شمًّا لأرابيح السباع

---

(١) فيما عدا ل : « وأنا جاريت الطرق » .

(٢) فيما عدا ل : « المواضع » .

(٣) فيما عدا ل : « يسع الثعلب » .

(٤) فيما عدا ل : « عن » موضع « على » .

(٥) إذ العرين جماعة الشجر والشوك والعضاه ، كان فيه أسد أو لم يكن .

(٦) أما الضب فانه يعد لمحترشه عقربا . انظر (٦ : ٤٥ ، ٥٨) . وأما اليربوع فانه يحتال بالنافقاء . انظر (٥ : ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٤٤٧) .

القويَّة من شمّ السباع للرائحة الشهيّة] ، فهى لاتـكاد تكون [إلّا] على عُلاوةِ الريح[1] :

والأيّلُ ينصُل قَرْنُه فى كلّ عام ، فيصير كالأجَمّ ، فإذا كان ذلك الزمانَ استخفَى وهربَ وَكَمَن ، فإذا نبت قرنُه[2] عرَّضَهُ للرِّيح والشَّمْسِ فى الموضع الممتنع ، ولا يظهرُ حتى يَصْلُب قرنه ويَصيرَ سلاحًا يمتنع به . وقرنُه مُصمَتٌ ، وليس فى جوفه تجويفٌ ، ولا هو مصمتَ الأعْلَى أجوف الأسفل .

(معرفة الإبل بما يضرها وما ينفعها)

والبعير يدخل الرَّوضة والغيضة ، وفى النبات ماهو غذاءٌ ، ومنه[3] ١٦ ماهو سمٌّ عليه خاصة ، و [منه] ما يخرج من الحالين[4] جميعاً ، ومن الغِذاء مايريده فى حالٍ [ولا يريده فى حالٍ] أخرى ، كالحَمْضِ وَالخَلَّة ، ومنه مايغتذيه غيرُ جِنسِه فهو لايقرَبُه وإن كان ليس بقاتل ولا مُعْطِب . فمن تلك الأجناس مايَعرفه برؤية العين دون الشمّ ، ومنها مالا يَعرفه حتّى يَشمَّه ، وقد تغلَطُ فى البِيش فتأكلُه ، كصُنْع الحافرِ فى الدِّفْلَى[5] .

---

(١) يقال : كن فى علاوة الريح أو سفالتها. فعلاوتها : أن تكون فوق الصيد ، وسفالتها : أن تكون تحت الصيد لئلا يجد الوحش رائحتك . فكلمة « إلا » التى أثبتها ضرورية لاستقامة الكلام .

(٢) فيما عدا ل : « شب قرنه » .

(٣) فيما عدا ل : « فيعرف ماينفعه من النبات و » .

(٤) فيما عدا ل : « الحالتين » .

(٥) انظر ماسبق فى (٥ : ٢١١ — ٢١٢) .

(معرفة الإبل بالزجر)

والناقة تعرفُ قولَهم : حَل ، والجمل يعرف قولهم : جاه . قال الراجز وهو يحمّق رجلاً هَجاه :

يقولُ للنـاقة قَوْلاً للجمَلْ يقُولُ جَاهِ ثم يَثْنِيهِ بحَلْ[1]

(قدرة الحيوان على رفع اللبن وإرساله)

وممّا فضلت به السِّباعُ على بنى آدمَ أنّ الله جعَلَ فى طِباع إناث السباع والبهائم ، من الوحشيّة والأهلية ، رَفْعَ اللّبن[2] وإرسالَه عند حضور الولد ، والمرأةُ لاتقدر أن تدرّ على ولدها وترفَعَ لبنها[3] فى صدرها إذا كان ذلك المُقَرَّبُ منها غيرُ ولدِها[4] .

والذى أعطى الله البهائم من ذلك مثل ماتعرف به المعنى وتتوهّمه[5] .

اعلم أنّ الله تعالى قد أقدر الإنسانَ[6] على أن يحبس بولَه وغائطه إلى مقدارٍ ، وأن يخرجهما ، مالم تكن هناك عِلّةٌ من حُصْرٍ وأُسْر ، وإنما يخرج منه بولُه ورَجِيعه بالإرادة والتوجيه والتهيؤ لذلك[7] . وقد جعل الله حبْسَه

---

(١) انظر كتاب البغال ٢٧٤ . وحل ، بإسكان اللام وبكسرها منونة .

(٢) فى الأصل : « فى رفع اللبن » وكلمة « فى » مقحمة .

(٣) فيما عدا ل : « ولدها » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « إذا كان القرب منها لغير ولدها » .

(٥) ل : « والذى أعطى الله البهائم فى ذلك مثل تعرف به المعنى فتوهمه » .

(٦) فيما عدا ل : « قدر » صوابه « أقدر » وفى ل : « قد أمكن » .

(٧) ل : « ورجمه » ؛ والرجع والرجيع : النجو . ط ، هـ : « والتوجه » ، وأثبت ما فى س ، ل .

وإخراجَه وتأخيرَه وتقديمَه على ما فسَّرْنا . فعلى هذا الطريق [طوْقُ[1]] إناثِ السِّباع والبهائم ، فى رفْع اللّبَن .

(حشر الحيوان فى اليوم الآخر)

وقد قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . فالكلمة فى الحشر مطلقة [عامّة] ، ومرسلةٌ غيرُ مستثنًى منها . فأوجب فى عموم الخبرَ على [الطَّير[2]] الحَشْرَ[3] ، والطير أكثر الخلق . والحديث[4] : « إنَّ أكثرَ الخلْقِ الجراد » .

(مايطرأ عليه الطيران)

ومن العقارب طيَّارة قاتلة . وزعم صاحب المنطق أنَّ بالحبشَة حياتٍ لها أجنحةٌ .

وأشياءُ كثيرةٌ تطيرُ بعد أن لم تكن طيَّارة ، مثل الدعاميص ، والنَّمْلِ ، والأرَضةِ ، والجِعلانِ .

والجرادُ تنتقل فى حالاتٍ قبلَ نبات الأجنحة .

(جعفر الطيار)

قالوا : وحين عظَّم الله شأن جعفر بن أبى طالب ، خلق له جناحين

---

(١) الطوق : القدرة والإطاقة .

(٢) هذه من ل ، س .

(٣) ط ، هـ : « الشر » تحريف .

(٤) كذا فى الأصل ، ولها وجه .

يطير بهما فى الجنّة ، كأنه تعالى ألحَقَه بشبه الملائكة فى بعض الوُجوه[١] .

(مايطير ولا يسمى طيرا)

وذكر الله الملائكةَ فقال ﴿ أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

ولا يقال للملائكة طيرٌ ، ولا يقال إنها من الطَّير ، رفعاً لأقدارها .

ولا يقال للنمل والدعاميص والجِعلان والأَرَضةِ إذا طارت : من الطَّير ، كذلك لايقال للجِرجِس والبَعُوضِ وأجناس الهَمَج إنها من الطير ، وضعاً لأقدارها عن أقدار ما يسمَّى طَيْرًا . فالملائكةُ تطير ولايسمُّونها طيْرًا لرفْع أقدارِها عن الطير . [والهمج يطير[٢]] ولا يسمّى طيْرًا لوضع أقدارها عن الطَّير .

(ملائكة العرش)

وفى الرواية أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم أُنْشِدَ قولَ أميّةَ بن أبى الصَّلْت :

رَجُلٌ وثورٌ تحتَ رِجْلِ يَمينِه والنَّسرُ للأُخرَى وليثٌ مُرْصِدُ[٣]

فقال : «صدَق[٤]» . وقوله «نسر» يعنى فى صورة نسر ، لأنَّ المَلَكَ لايقال له نَسْرٌ ولا صقرٌ ولا عُقابٌ ولا بازٍ .

---

(١) انظر ماسبق فى (٣ : ٣٨ ، ٢٣٣ / ٦ : ٢٢٢) .

(٢) التكملة من س ، هـ . والكلام من : « والهمج » إلى كلمة « الطير » الثانية ساقط من ل .

(٣) فيما عدا ل : « موصد » ، تحريف . وانظر الخزانة (١ : ١٢٠) .

(٤) فى الخزانة : « صدق . وهذه صفة حملة العرش » . ونقل عن شرح ديوانه لمحمد ابن حبيب : يقال إن حملة العرش ثمانية : رجل ، وثور ، ونسر ، وأسد . هذه أربعة ، وأربعة أخرى ، فأما اليوم فهم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة أخرى .

(ما جاء فيه الأثر من الطير)

وذكروا غرابَ نوح وحمامة نوح[1] : وهدهد سليمان[2] ، والنحل والدرّاج[3] ، وما جاء من الأثر فى [ذلك] الديكِ الذى يكون فى السماء[4] .

وقال الناس : غراب نوح ، وهدهد سليمان ، وحمامة نوح : ورووا فى الخطاف والصُّرَد[5] .

(أشرف الخيل والطير)

ولا نعرف شيئاً من الحيوان أشْرَفَ اسماً من الخَيل والطَّير ، لأنّهم يقولون فرس جواد ، وفرس كريم ، [وفرسٌ وسيم] ، وفرس عَتيق ، وفرس رائع . وقالوا فى الطير لذوات المخالب المعقَّفة ، والمناسر المحدَّبة : أحرار ، ومَضْرِحيَّات[6] ، وعِتاق ، وكواسب ، وجوارح . وقال لبيدُ بنُ ربيعةَ :

فانتضَلْنَا وابنُ سَلْمَى قاعدٌ   كَعتيقِ الطَّير يُغْضِى ويُجَلّ[7]

---

(١) فيما عدا ل : « وذكروا أن » وكلمة . « أن » مقحمة . وانظر لغراب نوح مامضى فى (٢ : ٣٢٥) ، ولحمامة نوح ماسبق فى (١ : ٢٩٨ / ٣ : ١٩٥ / ٤ : ١٩٧) .

(٢) انظر لهدهد سليمان مامضى فى (١ : ٩٧ ، ٢٩٨/٣:٥١٣/٤ : ٧٧/ ٦:٣١٠) .

(٣) ل : « والرماح » .

(٤) انظر مامضى فى (٢ : ٢٥٩) .

(٥) بعدها فى ل : « والضوضية » .

(٦) المضرحيات ، بالضاد المعجمة ، وأصل معناه فى الناس السيد الكريم والطويل. ومما جاء فى تسمية عتاق الطير بالمضرحية قول طرفة :

كأن جناحى مضرحى تكنفا   حفافيه شكا فى العسيب بمسرد

ل : « المصرحيات » وفيما عدا ل : « المصرحات » ، والوجه ما أثبت .

(٧) ابن سلمى ، هو النعمان بن المنذر . وجلى ببصره تجلية ، إذا رمى به كما ينظر الصقر إلى الصيد . انظر اللسان (٢٠ : ١٦٤) وديوان لبيد ١٩٥ .

وقال الشّاعر :

حُرٌّ صَنَعْنَاهُ لِتُحْسِنَ كفُّهُ عَملَ الرفِيقة واستلابَ الأَخْرقِ[١]

ولولا أنا قد ذكرنا شأن الهدهُد والغراب والنمل وما ذكرها به القرآنُ ، والخصالَ التى فيهـا من المعارف ومِنَ القَوْلِ والعمَل[٢] ، لذكرناه فى هذا الموضع .

[[٣] ما جاء فى ذكر الطير

قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ . وقال الله : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِى[٤] وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِى ﴾ . وقال : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . وقال الله : ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾ . وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ .

---

(١) الرفيقة : الطيفة الصنعة الحسنتها . وفيما عدا ل : « الرقيقة » بقافين ، تحريف .

(٢) كلمة : « لولا » ساقطة من ل .

(٣) انفردت نسخة كوبريلى بإثبات هذا السقط الذى يبدأ هنا وينتهى فى ص ٥٤ .

(٤) هذه قراءة نافع وأبى جعفر ويعقوب ، وزاد أبو جعفر فقرأ : (كهيئة الطائر) ، وقرأ سائر القراء : (فتكون طيرا) .

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ . وقال الله : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ .

ولم يذكر منطق البهائم والسباع والهمج والحشرات .

وقال الله : ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ؛ لأنك حيثما تجد المنطقَ تجد الرُّوح والعَقل والاستطاعة .

وقالوا : الإنسان هو الحيُّ الناطقُ . وقال الله : ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ . وقال : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ ، ثم قال : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ ولم يذكر شيئاً من جميع الخلق . وقد كان الله سخّر له جميعَ ذلك . ثم قال : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ .

ولم يتفقد شيئا ممّا سخّر له ، ولا دلَّ سليمانَ على مَلِكة سبأ إلّا طائرٌ .

وقال الله : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ . وقال الله : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ . فلما ذكر داود قال : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ . وقال الله : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . وقال : ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ .

وقالوا : « مَنطِق الطير » ، على التشبيه بمنطق الناس ، ثم قالوا بعدُ : الصَّامت والناطق ، ثم قالوا بعد للدار : تنطق .

وقال الله : ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا

تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ .

وقال اللهُ : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ ﴾ .

وكان عبدُ الله بن عبّاسٍ يقول : ليس يعنى بقوله : تُكَلِّمُهُمْ من الكلام ، وإنما هو من الكَلْم والجِراح . وجمع الكَلْم كُلوم ، ولم يكن يجعلُه من المنطق ، بل يجعله من الخُطوط والوسم ، كالكتاب والعلامة اللذين يقومان مقام الكلام والمنطق .

وقال الآخرون : لانَدعُ ظاهرَ اللفظ والعادةَ الدالّة فى ظاهر الكلام ، إلى المجازات ، قالوا : فقد ذكر الله الدابّة بالمنطق ، كما ذكروا فى الحديث كلام الذئب لأهبان بن أوس[1] . وقولُ الهدهد مسطورٌ فى الكتاب بأطول الأقاصيص ، وكذلك شأن الغراب[2] .

وقال الله : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ، وجعل الله مقالة النملة قرآنا ، وقال : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ ، وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَافَرَّطْنَا فِى الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . وقال فى مكان آخر : ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ . وقال : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ . وذكر الملائكة فقال : ﴿ أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

---

(١) انظر الإصابة ٣٥٠ والحيوان (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ — ٤ : ٨٠) . وفى الأصل : « لأوس بن أهبان » ، تحريف .

(٢) انظر لكلام الغراب مع الديك ما سبق فى شعر أمية بن أبى الصلت (٢ : ٣٢٥) .

وأنشدوا النبىَّ صلى الله عليه وسلم قول أميّة بن أبى الصَّلت[1] :

رَجُلٌ وَثَوْرٌ تحتَ رِجْلِ يَمِينِهِ   والنَّسْرُ لِلأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدُ

فقال : « صدق » .

وخلق الله لجعفرٍ جناحَين فى الجنّة عوضاً من يديه المقطوعتين فى سبيل الله[2] .
قالوا : ولو كانت فى الأرض يدٌ تفضل الجناحَ لجعلها الله بدل الجناح .
وسمّاه المسلمون « الطيّار » .

ويقال : « ما هو إلا طائر » ، إذا أرادوا مديح الإنسان فى السُّرعة .

وقال الفرزدق :

جاءُوا مع الرِّيح أو طارُوا بأجنحةٍ   وخَلَّفوا فى جُؤاثَا سيِّدَىْ مُضَرَا[3]

والأمم كلُّها تضرب المثلَ بعَنقاءِ مُغْرِبٍ . وقد جاء فى نسر لقمان ما قد جاء من الآثار والأخبار . وقال الخزرجي[4] :

إنّ مُعاذَ بنَ مُسلمٍ رَجُلٌ   قد ضجَّ مِن طُول عُمره الأبَدُ
قد شابَ رأسُ الزَّمانِ وَاخْتَضَبْ الـ   ـدَّهْرُ وأثوابُ عُمْرِه جُدُدُ
يا نَسْرَ لقمانَ كَمْ تَعيشُ وكم   تسحَبُ ذَيلَ الحياةِ يا لُبَدُ
قد أصبحتْ دارُ آدمٍ خَرِبَتْ   وأنتَ فيها كأنَّكَ الوتِدُ
تسألُ غِرْبانَها إذا حجَلَتْ   كيفَ يكونُ الصُّداعُ والرَّمدُ

وقال النابغة :

أضحَتْ خَلاءً وأضْحَى أهلُها احْتَمَلوا   أخنَى عليها الذى أخنى عَلَى لُبَدِ

---

(١) انظر ماسبق فى ص ٤٦ .

(٢) انظر مامضى فى (٣ : ٢٣٣) .

(٣) جؤاثا : موضع بالبحرين . وفى الأصل : « مضر » تحريف . والبيت ملفق من بيتين . انظر الديوان ٣٨٦ .

(٤) فى الأصل : « الخارجى » ، تحريف . وانظر ماسبق من التحقيق فى حواشى (٣ : ٤٢٣ / ٦ : ٣٢٧) .

وقال الله : ﴿ وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ، لأن ذلك الصنم كان على صورة النَّسر .

وقالوا : أحرار فارسَ ، وأحرار الرَّياحين ، وأحرار البقول ، وأحرار الطير . وهى الأحرار ، والعتاق ، والكواسبُ ، والجوارح ، والمضرحِيّات .

وقال الله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَـكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ .

أسماء ما فى النجوم والبروج

والفَرَسِ والنّاس وغير ذلك ، من أسماء الطير

مما يُعدّ فى الفَرَسِ من أسمــاء الطير : الفَرَاش وهو المنخر[1] . والذُّباب ، وهو ذُباب العَين . والصُّلْصُل ، وهو الدائرة فى الجبهة[2] . والعصفور ، وهو الجلدة تحت الناصية والحدأة ، وهو أصــل الأذن . والهامة ، وهو الجلدة التى فيها الدماغ والفَرْخ موضع الفَهْقَة[3] . والنّاهضان فى المنكبين . والصُّرَد : عرق تحت اللسان . والسَّمامة[4] : الدائرة فى عرض العنق والقَطاة : موضع الرِّدف . والغرابان : العظمان

---

(١) كذا . والذى فى المعاجم أن الفراش طرائق دقاق من القحف ، وقيل هى العظام التى تخرج من رأس الإنسان إذا شج وكسر .

(٢) والصلصل فى الطير طائر تسميه العجم الفاختة .

(٣) الفهقة : عظم عند مركب العنق ، وهو أول الفقار .

(٤) السامة : واحدة السمام ، بالفتح ، وهو ضرب من الطير نحو السمانى دون القطا فى الخلقة .

الناتئان بين الوركين ؛ ويقال الغُراب طرف الوَرِك . والساق : ساق الفرس ، وهو ذكر الحمام . والخطّاف : موضع الرِّكاب من جنبه . والرُّخَمة : البَضْعة الناتئة فى ظهر الفخذ . والأصقع : الأبيض الناصية[١] .

وقال الله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ .

وفى السماء النَّسر الطائر ، والنَّسر الواقع .

وفى الأوثان القديمة وَثَنٌ كان يسمَّى نَسرا ، ويزعمون أنه كان على صورة نسر . وقال الله : ﴿ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ . وقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ . وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ .

وفى أسماء الناس : غُراب ، وصُرَد . وفى أسماء النساء : فاختة وحمامة . وفى أسماء الناس : يَمام ويمامة ، وسَمامة ، وشاهين . وفى أسماء النِّساء : عقاب ، وقطاة ، وقُطَيَّة ، ودَجاجة يكون للرِّجال والنساء . ويسمُّون بعصفور ، ونقّاز ، وحَجَل[٢] ، ويسمُّون الرجال بِقُطَامِىّ ، مثل أبى الشرقِىّ ابن القُطامى الشاعر[٣] . وإذا كانت امرأةً قالوا قَطامِ مثل حَذَامِ . وقال امرؤ القيس بن حجر :

---

(١) الأصقع : طائر كالعصفور فى ريشه ورأسه بياض . وانظر الكلام على ساق الفرس من أسماء الطير ، كتاب الخيل لأبى عبيدة ص ٤٦ .

(٢) فى الأصل : « حجاف » .

(٣) أى مثل ماسمى والد الشرقى بن القطامى . وفى الأصل : « أبو الشرقى » . وقد سبقت ترجمة الشرقى فى (٥ : ٢٠٢) .

وأنا الذى عرَفَتْ مَعدٌّ فضْلَه ونشدتُ حُجرًا ابنَ أُمِّ قَطَامِ [١]

ويسمون بمضرحِيٍّ . وكبار الطير هى المضرحِيَّة [٢] ؛ وأكثر ما يستعمل ذلك فى عِتاق الطير وأحرارها ، ويسمون بحُرٍّ ، وليس الحر من الطير إلاّ العتيق . وقال الشاعر :

حُرٌّ صَنعناه لتَحْسِنَ كَفُّهُ عَمَلَ الرَّفِيقَةِ وَاسْتِلَابَ الأَخْرَقِ [٣]

ويسمُّون صَعْوة وسُمَانَى ، وسَمامَة ، ويسمُّون بجَناح ، ويلقّبون بمنقار ، ويسمون بفرخ وفرَيخ ، وصقر وصُقير وأبى الصَّقر ، وطاوُس وطويس . وفى الألقاب يُؤْيُؤ وَزُرَّق [٤] وفى الأسماء حَيْقَطان وهو الدُّرَّاج الذَّكر ، ويسمُّون بحَذَف [٥] وَحُذَيفة ، وأبى حذيفة ، وفى الألقاب أبو الكراكىّ ، وفى الصفات الغرانيق والغُرنوق [٦]] .

---

(١) حجر بن أم قطام ، هو والد امرئ القيس . وقد سجل هذه النسبة الحارث ابن حلزة فى معلقته إذ يقول :

ثم حجرا أعنى ابن أم قطام وله فارسية خضراء

وفى الأصل : « حجرا وابن أم قطام » ، تحريف . وفى الديوان : « ونشدت عن حجر بن أم قطام » . قال الوزير أبو بكر : « يروى أشدت ، أى رفعت ذكره وناديت به وفخرت به وشهرته . . . وخص معدا من بين العرب لأن امرأ القيس من اليمن . ولا نسبة بينه وبين معد ، فإذا أقرت البعداء بفضله واعترفت به ، فسائر العرب أقرب إلى ذلك وأجدر به » .

(٢) فى الأصل : « بمضرجى » ، و « المضرجية » ، صوابهما بالحاء المهملة.

(٣) سبق البيت فى ص ٤٨ .

(٤) فى الأصل : « درق » تحريف . وانظر الزرق فى (٣ : ١٨٢ / ٤ : ٢٢٩ / ٥ : ٣٦٩) .

(٥) فى القاموس : « الحذف محركة طائر ، أو بط صغار : وغنم سود صغار حجازية أو جرشية بلا أذناب ولا آذان ، والزاغ الصغير الذى يؤكل » . والزاغ : غراب صغير إلى البياض .

(٦) الغرنوق فى الصفات ، هو الشاب الأبيض الجميل . وهو طائر من طيور الماء . انظر ما مضى فى (٥ : ٤١٩ ، ٥٣٨) .

وإلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ فى ص ٤٨ س ٦ .

(نطق الطير)

وقال أميَّة أبي الصَّلْت :

فاسمَعْ لِسانَ اللهِ كيفَ شُكُولُه   عجبٌ ويُنْبيكَ الذى تَسْتَشْهِدُ
والوحشُ والأنعامُ كيفَ لُغاتُها   والعلمُ يُقْسَمُ بينهمْ وَيُبَدَّدُ[1]

وقال الله عزّ وجل مخبرًا عن سليمان [أنّه قال] : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ وقال الشاعر[2] :

يا لَيلةً لى بحُوَّارِينَ ساهرَةً   حَتَّى تَكَلَّمَ فى الصُّبح العَصَافيرُ

وقال الشَّاعر :

وَغَنَّتِ الطَّيرُ بعدَ عُجْمَتِها   واستوفَت الخمرُ حَوْلَها كَمَلا[3]

وقال الكميت :

كالناطقات الصادقا   ت الواسِقاتِ من الذَّخائر[4]   ١٨

(تدبير الحيوان)

قال : ولكلِّ جنسٍ من أجناس الحيوان احتراف[5] وتكسُّب ، وَرَوَغانٌ من الباغى عليه ، واحتيالٌ لما أراد صيده ؛ فهو يحتالُ لما [هو]

---

(١) يبدد : يفرق .
(٢) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، كما سبق فى (٢ : ٢٩٦ / ٥ : ٢٢٧) . وانظر العمدة (١ : ١٧٩) والموشح ٢٩٣ .
(٣) حول كمل ، بفتح الكاف والميم : أى كامل . وفيما عدا ل : « بعد ما كملا » تحريف .
(٤) انظر (٥ : ٢٨٧) والعمدة (٢ : ٢٣) .
(٥) فيما عدا ل : « احتراس » ، تحريف

دونه ، ويحتال فى الامتناع مما فوقه[١] ، ويختار الأماكنَ الحصينةَ ما احتملته[٢] ، والاستبدالَ بها إذا أنكرَها .

(منطق الطير)

ولها منطقٌ تتفاهم بها [حاجاتِ بعضها إلى بعض . ولا حاجة بها إلى أن[٣]] يكونَ لها فى منطقها فضْلٌ لا تحتاج إلى استعماله . وكذلك معانيها [فى[٤]] مقادير حاجاتها .

(بعض ما قيل فى العقل)

وقيل لرجل من الحكماء[٥] : متى عقَلْتَ ؟ قال : ساعةَ وُلِدْتُ . فلما رأى إنكارَهم لكلامه قال : أمّا أنا فقد بكيت حين خِفْتَ ، وطلبت الأكل حين جُعْتُ ، وطلبت الثّدْى حين احتَجْت ، وسكتُّ حين أُعطيت . يقول: هذه مقاديرُ حاجاتى . ومن عرَف مقادير حاجاته إذا مُنِعَها ، وإذا أُعْطِيَها ، فلا حاجة به فى ذلك الوقت إلى أكثرَ من ذلك العقل . ولذلك قال الأعرابىّ :

سَقَى اللهُ أرضاً يعلم الضّبُّ أنّها بَعِيدٌ من الآفات طيبةُ البَقْلِ[٦]

---

(١) فيما عدا ل : « لما فوقه » .

(٢) فى ط بعد « يختار » : « به حاجات بعضها ولا بد أن » . وهو كلام مقحم . وفيما عدا ل : « من الأماكن الحصينة وما احتمله » بزيادة « من » . وفى ل : « مما حمله » ، والوجه ما أثبت .

(٣) فى س بدل هذه التكملة : « حاجات بعضها ولا به أن » ؛ وما أثبت من ل أكمل وأقوم .

(٤) التكملة من ل ، س .

(٥) ل : « الخطباء » .

(٦) سبق البيت فى (٦ : ٥٧) برواية : « عذبة بطن القاع » .

بنى بيته منهــا عَلَى رأس كَذْيةٍ
وكلُّ امرئٍ فى حِرْفة العَيش ذُو عَقْلِ (١)

(منطق الطير وعقله)

فإن قال قائل : ليس هذا بمنطق ، قيل له : أما القرآن فقد نطَق بأنّه منطِقٌ ، والأشعارُ قد جعلته مَنطِقا ، وكذلك كلامُ العرب ، فإن كنتَ إنما أخرجتَه من حدِّ البيان ، وزعمتَ أنّه ليس بمنطقٍ لأنّك لم تَفهم عنه ، فأنتَ أيضاً لا تفهم كلامَ عامّةِ الأمم ؛ وأنتَ إن سمَّيْتَ كلامَهم رَطانةً وطَمْطمة فإنّك لا تمتَنِعُ (٢) من أن تزعم أنّ ذلك كلامُهم ومنطقُهم ، وعامّة الأمم أيضا لا يفهمون كلامَك ومنطِقَك ، فجائزٌ لهم أن يُخرِجوا كلامَك من البيان والمنطِق . وهل صــار ذلك الـكلامُ منهم بياناً ومنطقاً [إلاّ لتفاهمهم حاجةَ بعضهم إلى بعض ، ولأنّ ذلك كان صوتاً مؤلّفا خرج من لسانٍ وفمٍ ، فهلاّ كانت أصواتُ أجناس الطير والوحش والبهائم بياناً ومنطقاً] إذْ قد عامتَ أنّها مقطعة مصوّرة ، ومؤلّفة منظمة (٣) ، وبها تفاهموا الحاجات ، وخرجت من فمٍ ولسان ، فإن كنتَ لا تفهم من ذلك إلاّ البعض ، فـكذلك تلك الأجناس لا تفهَمُ من كلامك إلاّ البعض . وتلك الأقدارُ من الأصوات المؤلّفة هى نهايةُ حاجاتِها والبيان عنها ، وكذلك أصواتُك المؤلَّفةُ هى نهايةُ حاجاتك وبيانِك عنها . وعلى أنّك قد تعلِّم الطّيرَ

---

(١) ل (٦ : ٥٧) : « يرود بها بيتا » .

(٢) ط فقط : « تمنع » .

(٣) فيما عدا ل : « منطقة » .

الأصواتَ فتتعلّم ، وكذلك يُعلَّم الإنسانُ الكلامَ فيتكلَّم[١] ، كتعليم الصبيّ والأعجميّ . والفرقُ بين الإنسان والطير أنّ ذلك المعنى معنًى يسمَّى منطقاً وكلاما على التشبيه بالنَّاس ، وعلى السبب الذى يجرى[٢] ، [و] النَّاسُ ذلك لهمْ على كلّ حال .

وكذلك قال الشاعر الذى وصفَها بالعقل ، وإنما قال ذلك على التَّشْبيه ، فليس للشاعر إطلاق هذا الكلام لها ، وليس لك أن تمنعها ذلك من كلِّ جهةٍ وفى كلّ حال . فافهم فهَّمك الله ، فإنَّ الله قد أمرك بالتفكّر والاعتبار ، وبالتعرُّف والاتِّعاظ .

وقد قال الله عزَّ وجلَّ مخبِرًا عن سليمان : ﴿ يٰأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ فجعل ذلك منطقا ، وخصَّ الله سليمانَ بأنْ فهَّمه معانىَ ذلك المنطق ، وأقامه فيه[٣] مقامَ الطَّير ؛ وكذلك لو قال عُلِّمنا منطقَ البهائم والسِّباع ، لكان ذلك آيةً وعلامة .

وقد علّم اللهُ إسماعيلَ منطِق العرَب بعد أن كان ابنَ أربعَ عشرةَ سنة ، فلما كان ذلك على غير التلقين والتأديب والاعتياد[٤] والترتيب[٥] والمنشأ ، صار ذلك برهانا ودلالةً وأُعجوبةً وآية .

وقال ابنُ عبّاس — وذكر عمرَ بن الخطاب فقال — : « كان كالطائر الحذِر » ؛ فشبّه عزْمَ عمرَ وتخوُّفَه من الخطأ ، وحذَره من الخدع بالطائر[٦] .

---

(١) ل : « فيتعلم » .
(٢) ل : « وعلى السبب يجرى » ، أى الذى يجرى .
(٣) فيما عدا ل : « فيهم » ، تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « والاعتبار » .
(٥) هذه الكلمة ساقطة من ﻫ . ولعلها : « التربيب » ، أى التربية .
(٦) فيما عدا ل : « كالطائر » ، تحريف .

(ما قيل فى تجاوب الأصداء والديكة)

وقال ابن مقبل :

فلا أقومُ عَلَى المَوْلَى فأشتُمه ولا يخرِّقه نابى ولا ظفرِى

ولا تَهَيَّبُنِى المَوْماةُ أركبُهـا إذا تجاوبت الأصداءُ بالسَّحَرِ[1]

فجعلها تتجاوب . وقال الطرِمّاح بنُ حكيم — وذكر تجاوب الدِّيَكة كما ذكر ابنُ مقبلٍ تجاوبَ الأصْدَاء — فقال :

فيا صُبْحُ كَمِّشْ غُبَّرَ اللَّيْلِ مُصْعِدًا بِبَمٍّ ونبِّهْ ذا العِفَاء الموشَّحِ[2]

إذا صاح لم يُخْذَلْ وجاوَبَ صوتَهُ

حِماشُ الشَّوَى يصدَحْنَ مِنْ كلِّ مَصْدَحِ[3]

(ما قيل فى ضبحة الثعلب وقبعة القنفذ والقرنبى)

وحدَّث أبوعبيدةَ عن أبى عمرو بن العلاء قال : خطب ابن الزبير [خطبة] فاعترض له رجلٌ فآذاه بكلمة ، ثم طأطأ الرَّجلُ رأسَه ، فقال ابنُ الزُّبير : أين المتكلم ؟ فلم يجبْه فقال : « قاتله الله ، ضبح ضَبْحَةَ الثَّعلب[4] وقبَعَ قِبْعةَ القُنفذ » . وقال ابن مقبل :

ولا أتبَعُ الجاراتِ باللَّيْلِ قابعاً قُبُوعَ القَرَنْبَى أخلفَتْهُ مجاعِرُهْ[5]

---

(١) فى اللسان (٢ : ٢٨٩) : « قال ثعلب : أى لا أتهيبها أنا ، فنقل الفعل إليها . وقال الجرمى : «لاتهيبنى الموماة ، أى لاتملؤنى مهابة » . ل : « تجهضنى » ، وفيما عدا ل : « تجهمنى » ، صوابهما ماأثبت من اللسان .

(٢) سبق البيت وتحقيقه فى (٢ : ٢٥٤ ، ٣٤٦) . فيما عدا ل :

« كمش لى عن الليل مصعداً ينم ونبه ذا العناء الموشح »

تحريف ، صوابه من اللسان (٣ : ٤٧٣ س ٢٥) والديوان ٦٩ .

(٣) فيما عدا ل : « حماس الصدا » ، محرف . وانظر ماسبق فى (٢ : ٢٥٤) .

(٤) الضباح : صوت الثعلب . والخبر فى اللسان (٣ : ٣٥٥ س ٤) . فيما عدا ل : « صاح صيحة الثعلب » .

(٥) ط ، هـ : « أخلقته » تحريف . والمجاعر : جمع مجعر ، وهو الدبر . والقرنبى =

باب[1]

ما جاء فى الشعر من إحساس الطَّير وغير ذلك من الحيوان

قال أبو عبيدة : تسلَح الحُبارَى على الصّقر ، وذلك من أحدِّ سِلاحها ، وهى تعلم أنّها تدبّق جناحَيه وتكتِفُه ، حتى تجتمع عليه الحُبارَيات فينتفن ريشه طاقةً طاقة ، فيموت الصَّقْر .

والحبارَى إذا تحسَّرتْ فأبطأ نبْتَ ريشِها ، وهى لا تنهض بالشَّكير[2] ، فربَّما طار صُويحباتها إذا تقدَّمَ نبْتُ ريشها قبل نبْت ريش تلك الحُبارى ، فعند ذلك تَكْمَد حزناً حتى تموت كمداً ؛ ولذلك قال أبو الأسود الدُّؤلِىّ :

وزيدٌ ميّت كَمَدَ الحُبارى ... إذا ظعنَتْ مَليحة أو تُلِمُّ[3]

وليس فى الطَّيْر أسرعُ طيراناً منها ، لأنها تَصَادُ عِندنا بظهر البصرة ، فيوجَد فى حواصلها حبَّة الخضراء غضّةً طريَّة ، وبينها وبين مواضع ذلك الحبِّ بلادٌ وبلاد . ولذلك قال بشر بن مروان[4] ، فى قتل عبد الملك عمرو ابنَ سعيدٍ[5] :

كأنَّ بنى مروانَ إذ يقتُلونه ... بُغاثٌ من الطَّيْرِ اجتمَعْنَ على صَقْرِ

وبُغَاث الطّيْر ضعاف الطير وسَفِلَتها من العِظام الأبدان ، والخشاش مثلُ

= معروفة بتتبع الناس إلى الغائط ، لولوعها بالجعر . وفى الأصل : « محاجره » تحريف ، صوابه مما سبق فى (١ : ٢٣٨ ، ٣١٧) :

(١) من هنا يبتدئ سقط كبير ؛ فات النسخ جميعها ، وأثبته من ل .

(٢) الشكير : مانبت من صغار الريش بين كباره .

(٣) سبق الكلام على البيت فى (٥ : ٤٤٥) .

(٤) سبق فى (٦ : ٣١٥) : « بعض بنى مروان » . ولم يعرف بشر بن مروان بشعر .

(٥) هو عمرو بن سعيد الأشدق . انظر ماسبق فى حواشى (٦ : ٣١٥) .

ذلك إلا أنها من صغار الطّير ، وأنشد أبو عبيدة قول الشاعر :

سألتُ النّاسَ عن أنسٍ فقالوا ... بأندلُسٍ وأندلسٌ بعيـدُ[١]

كأنّى بعد سكن مَضرحىٌّ ... أصابَ جَناحَه عنَتٌ شديدُ[٢]

فقد طمِعت عِتاقُ الطّيرِ فيه ... وكانت عن عَقِيرَتِه تحيدُ[٣]

وقال الذّكوانىّ :

بُغاثُ الطّير تعرِف قانِصِيهاَ ... وكلٌّ مكبَّدٍ منها لِهَيدِ[٤]

يقول : لكلِّ جنس من الجوارح ضربٌ من الصيد ، وضربٌ من الطلب فالمصيد منها يعرف ذلك ، فيجعل المهرب من الآخر ، ثم ذكر أنها تعرف الصائد المعتلّ من الصحيح . وهو معنى الخرَيمى[٥] حيث يقول :

ويعلم ما يأتى وإنْ كان طائرًا ... ويعلم أقدارَ الجوارحِ والبُغْثِ

وقوله البُغْث[٦] يريد به جمع أبغث ، وقال الأوّل[٧] : —

بُغاث الطَّيْرِ أكثرها فروخاً ... وأمُّ الباز مِقْلاتٌ نَزُورُ[٨]

وأنشدنى ابن يسير :

---

(١) أنشده ياقوت فى معجم البلدان (رسم الأندلس) مستشهدا به على جواز حذف (أل) منها . وانظر شرح همزيات أبى تمام ص ١٧ .

(٢) كذا وردت كلمة « سكن » فى البيت .

(٣) العقيرة : الصوت .

(٤) الهيد ، أصله فى الإبل أن يصيب جنبها ضغطة من حمل ثقيل فتورثها داء يفسد عليها رئتها .

(٥) الخريمى ، هو إسحاق بن حسان بن قوهى الخريمى . انظر (١ : ٢٢٤ ، ٣٥٤). وفى الأصل : « الحزيمى » ، تحريف .

(٦) فى الأصل : « وليس قوله البغث » وكلمة « ليس » مقحمة .

(٧) هو العباس بن مرداس ، كما فى الحماسة (٢ : ٢١) . ونسب فى اللسان (٢ : ٣٧٧) إلى كثير عزة .

(٨) الفروخ : جمع فرخ . ورواية الحماسة : « فراخا » . والمقلات : التى لا يبقى لها ولد . وفى الأصل : « مقلاة » ، تحريف . والنزور : القليلة الولد .

وبالجَـدّ طوراً ثم بالجِدّ تارةً

كذلك جميعُ الناس فى الجَدِّ والطَّلَبْ[1]

والجد مفتوح الجيم . يقول : الطير كالناس ، فمرَّةً تصيد بالحظّ وبما يتفق لها ، ومرَّةً بالحيلة والطَّلب . وقال بشّار بنُ بُرْد :

* وبجَدِّهِ يتقلّبُ العصفور *

قال : وقال زاهر[2] لصبيانه : « يرزقكم الذى يرزُق عصافير الدوّ » .

وقال صالح المُرّىّ[3] : «تغدو الطّيرُ خِماصاً وتَرُوحُ شِباعًا ، واثقة بأنّ لها فى كلِّ غدْوَةٍ رزقاً لا يفوتُها . والذى نَفْسى بيده أنْ لو غدوتُم على أسواقكم على مثل إخلاصها ، لرُحْتم وبطونُكم[4] أبطنُ من بطون الحوامل » .

وقال أعشى هَمْدان :

قالت تعاتبنى عِرْسى وتسألُنى : أين الدَّراهم عَنّا والدَّنانيرُ

فقلتُ : أنفقتُها واللهُ يُخْلِفُها والدَّهر ذو مرَّةٍ عسرٌ وميسورُ

إنْ يرزقِ اللهُ أعدائى فقد رُزِقَتْ من قبلهم فى مَراعيها الخنازيرُ

قالت: فرزقُك رزقٌ غيرُ متَّسعٍ وما لَدَيْكَ من الخيرات قِطميرُ

وقد رضيتَ بأن تحيا على رَمَقٍ يوماً فيوماً، كما تحيا العصافير[5]

---

(١) فى الأصل : « ثم بالحس » ، ولا وجه له .

(٢) زاهر ، يروى عنه ابن الأعرابى . انظر (٦ : ٣٩٤ س ٣) .

(٣) صالح المرى ، أحد زهاد البصرة وعبادها ، وكان مملوكا لامرأة من بنى مرة ابن الحارث ، من بنى عبد القيس ، فأعتقته ، وإليها ينسب . انظر صفة الصفوة لابن الجوزى (٣ : ٢٦٥ — ٢٦٦) . وقد سبقت ترجمته فى (٦ : ٥٠٨) . وفى الأصل : « صالح المروى » ، تحريف .

(٤) فى الأصل : « لرجعتم ودينكم » .

(٥) الرمق : القليل من العيش الذى يمسك الرمق ، أى بقية الحياة . وفى الأصل : « رنق » . والرنق : الكدر ؛ ولا وجه له .

وإنما خصّ العصافير بقلّة الرِّزق ، لأنها لا تتباعد فى طلب الطعم ؛ وإلا فإنّ السِّباعَ ووحشَ الطَّير كلّها تغدو خِماصاً وتروح بطاناً .

وقال لبيد :

فإنْ تسألينا فيم نحنُ فإنّنا عصافيرُ من هذا الأنام المُسحَّرِ [1]

وقال [2] :

عصــافيرٌ وذِبّانٌ ودودٌ وأجرأُ من مجلِّحة الذئابِ [3]

ولولا أنّ تفسير هذا قد مرَّ فى باب القول فى العصافير فى كتاب الحيوان لقلنا فى ذلك .

باب
ذكر اختلاف طبائع
الحيوان وما يعتريها من الأخلاق

الذئب لا يطمع فيه صاحبُه ، فإذا دَمِيَ وثب عليه صاحبُه فأكلَه ، وإذا عضَّ الذِّئْبُ شاةً فأفلتتْ منه بضربٍ من الضروب ، فإنَّ عادة الغنم إذا وجدَتْ ريحَ الدَّمِ أن تَشمَّ موضع أنياب الذئب ، وليس عندها عند ذلك إلاّ أن ينضمَّ بعضها إلى بعض ؛ ولذلك قال جريرٌ لعَمر بن لجأ التَّيمىّ :

فلا يضغمَنَّ اللَّيْثُ تَيماً بِغِرَّةٍ وتَيمٌ يَشَمُّونَ الفَرِيسَ المُنَيَّبا [4]

---

(١) انظر ما سبق من الكلام على نسبة هذا البيت فى (٥ : ٢٢٩) . والبيت فى ديوان لبيد برواية الطوسى ص ٨١ .

(٢) أى لبيد . انظر الحيوان (٥ : ٢٢٩) . لكن البيت فى شعر امرئ القيس ١٣٢ ، واللسان (٣ : ٢٤٩ — ٢٥٠) .

(٣) المجلحة : الجريئة .

(٤) الفريس : المفترس ، كالفريسة . والمنيب : المعضض بالأنياب . وانظر البيان (٣ : ٢٢٣) .

فذكر أنّهم كالغنم فى العجز والجُبن . وإذا دَمِيَ الحمارُ ألقى نفسَه إلى الأرض وامتنع ممن يريده بالعضّ وبكلِّ ما قدر عليه ، غير أنه لا ينهض ولا يبرحُ مكانَه . وإذا أصاب الأسدَ خَدْشٌ أو شَحْطَة[1] بعد أن يَدْمَى مكانَه فإنَّ ذبَّان الأسد تلحُّ عليه ، ولا تُقْلع عنه أبداحتى تقتله .

وللأُسود ذِبَّانٌ على حدة ، وكذلك الكلاب ، وكذلك الحمير ، وكذلك الإبل ، وكذلك الناس .

وإذا دَمِيَ الإنسانُ وشمَّ الذئبُ منه ريحَ الدَّم فما أَقَلَّ من يَنْجُو منه وإن كان أشدَّ الناس بدَناً وقلباً ، وأتَمَّهم سِلاحا ، وأثقفَهم ثقافة .

وإذا دَمِيَ الببرُ استكلب فخافه كلُّ شيء كان يسالمُه مِن كبار السِّباع كالأسود والنُّمور ، والببر على خلاف جميع ما حكينا .

وإذا أصاب الحية خدْشٌ فإنَّ الذرَّ يطالبه أشدَّ الطلب ، فلا يكاد ينجو ، ولا يعرف ذلك إلا فى الفَرْط .

وإذا عضَّ الإنسانَ الكلبُ الكلِبُ فإنَّ الفأر يطالبه ليبولَ عليه ، وفيه هَلَكَتُهُ ، فهو يحتال له بكلِّ حيلة .

وربما أَغَدَّ البعير فلا يعرف ذلك الجمَّالُ حتى يرى الذّبّانَ يطالبه .

وإذا وضعت الذِّئبةُ جَرْوَها فإنه يكون حينئذ ملتزقَ الأعضاء أمْعَطَ كأنه قطعة لحم ، وتعلم الذِّئبة أنَّ الذرَّ يطالبه ، فلا تزال رافعةً له بيدِها ، ومحوِّلةً له من مكانٍ إلى مكان ، حتى تفرج الأعضاء ، ويشتدّ اللحم .

وإذا وضعت الهرَّة جروَها فإنْ طرَحُوا لها لحما من ساعتها أو رُوبة[2]

---

(١) الشحطة : أثر سحج يصيب جنبا أو فخذا أو نحوها .

(٢) الروبة بالضم : القطعة من اللحم . وفى الأصل : « ربة » ، تحريف .

أو بعض ما يشبه ذلك فأكلته ، لم تكد تأكل أجراءها ، لأنّ الهرة يعتريها عند ذلك جُوعٌ وجنون وخفة .

والأجناس التى تحدث لها قوّةٌ على غير سبب يعرف فى تقدير الرأى منها الذِّئبُ الضعيف الواثبُ على الذِّئب القوىّ إذا رأى عليه دما ، والهِرَّةُ إذا سفِدها الهرُّ ، فإنها عند ذلك تشدُّ عليه وهى واثقةٌ باستخذائه لها ، وفضْل قوّتها عليه ، والجُرذ إذا خصِى فإنّه يأكل الجرذان أكلا ذريعاً ولا يقوم له شىءٌ منها .

فأمَّا الفيل والكركدَّنَ والجمل ، عند الاغتلام وطلَب الضِّراب ، فإنها وإن تركت الشُّرْبَ والأكلَ الأيّامَ الكثيرة فإنّه لا يقوم لشىءٍ منها شىء من ذلك الجنس وإن كان قويًّا شابًّا آكلا شاربا .

وأمَّا الغيرانُ والغَضبان والسَّكران والمُعاين للحرب ، فهم يختلفون فى ذلك على عللٍ قد ذكرْناها فى القول فى فضيلة المَلَك على الإنسان ، والإنسانِ على الجانّ . فإنْ أردتَه فالتمِسْهُ هناك . فإنَّ إعادة الأحاديث الطوال والكلامَ الكثيرَ مما يُهجَر فى السَّماع ، ويهجِّن الكتب[1]] .

باب

ما يستدل به فى شأن الحيوان على حسن صنع الله

وإحكام تدبيره ، وأن الأمور موزونة مقدرة[2] . قالوا : الأشياء البيّاضة طائر ، ومشترك ، وذو أربع ، ومُنْساح . فمنها ما يبيض فى صُدوع الصَّخر وأعالى الهِضاب . ومنها ما يعيش فى الجَحَرة كسائر الحيات[3] .

(١) إلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ فى ص ٦٠ .

(٢) فيما عدا ل : « وأحكامه وتدبيره ، وأن أموره موزونة مقدرة » .

(٣) فيما عدا ل : « مايبيض فى الأجحرة » ، تحريف . والجحرة ، بتقديم الجيم : جمع جحر .

٢٠ وأما الدَّسَّاس منها فإنّها تلد ولا تبيض ، و [هى] لا تُرضِع ولا تُلقِم .
والخفّاش تَلد ولا تبيض وترضع ، وهذا مختلف .

والدّجاج والحجَل والقَطا وأشباه ذلك من الدّراريج وغيرِها أفاحيصُها في الأرض .

والحمام منها طُورانىّ[1] جبَلِىّ ، ومنها ألوفٌ أهلىّ . فالجبلىُّ تبيض في أوكارٍ لها[2] فى عُرْض مقاطع الجبال ، والأهلىُّ منها يبيض فى البيوت .
والعصافير بيوتُها[3] فى أصول أجذاع السُّقُف . والخطاطيف تتّخذ بيوتَها فى باطن السقف فى أوثق ذلك وأمْنَعِه[4] . والرّخَم لا ترضَى من الجبال إلا بالوحشىّ[5] منها ، ومن البعيد إلا فى أسحَقِها[6] وأبعدها عن مواضع أعدائها ، ثم من [الجبال إلاّ فى رءوس هضابها ، ثم من] الهضاب[7] إلا فى صدوع صخورها[8] . ولذلك يُضرَب بامتناع بيضِها المثل .

وأما الرِّقّ والضِّفدِع والسُّلَحفاة والتّمساح ، وهذه الدوابّ المائية ، فإنها تبيض فى الأرض وتحضن . وأمَّا السَّراطِين فإنَّ لها بيوتاً فى عَرْض شُطوط الأنهار والسّواقى ، تمتلئ مرةً ماءً وتخلو مرة .

---

(١) يقال طورانى وطورى : منسوب إلى طور سيناء ، وقيل منسوب إلى جبل يقال له طرآن ، نسب شاذ . وفيما عدا ل : « طورى » .
(٢) س : « فى أوكارها » .
(٣) ط ، هـ : « والعصافير فى بيوتها » .
(٤) فيما عدا ل : « فى باطن البيوت فى أوساطه وأمنعه » ، وأثبت ما فى ل . وكلمة « أوثق » هى فى الأصل : « أوسع » فأبدلتها بما يناسب « وأمنعه » .
(٥) ط ، هـ : « لا تبيض من الجبال إلا فى الوحشى » .
(٦) أسحقها : أشدها بعدا . فيما عدا ل : « ومن أبعدها » .
(٧) ط فقط : « الهضبات » .
(٨) ل : « رءوس صدوعها » .

ومن الحيوان مالا يجثم ، كالضبَّة فإنها لا تجثُمُ على بيضها ، ولكن تغطّيها[1] بالتراب وتنتظر أيّام انصداعها .

(مواضع الفراخ والبيض)

فإذا كان مواضع الفِراخ والبيض من القطا وأشباه القطا فهو أفحوصة ، وإذا كان من الطير الذى يهيئ ذلك المجثَمَ[2] من العيدان والرِّيش والحشيش فهو عُشٌّ ، وإذا كان من الظّليم فهو أُدْحِيٌّ . ذكر[3] ذلك أبوعبيدة والأصمعى . وكلّها وُكور ووكون ، ووُكنات ووَكَرات[4] .

(أكثر الحيوان بيضاً وأقله)

فالذى يبيض[5] الكثيرَ من البيض [الذى] لا يجوزه شيءٌ فى الكثرة السَّمَك ؛ ثم الجراد ، ثم العقارب ، ثم الضبَّة ، لأن السَّمَكَ لا تزقُّ ولا تلقِم ولا تُلحِم ولا تحضُن ولا تُرضِع * فحين كانت كذلك كثَّر الله تعالى ذَرْءَها وعددَ نسلِها ، فكان ذلك على خلاف شأن الحمام الذى يُزاوِج أصنافَ الحمام. ومثل العصافير والنَّعام ، فإنها لا تزاوج .

فأما الحمام فلما جعله الله يزقّ ويحضُن ، ويحتاج إلى ما [يغتذيه[6] و] يغذو به ولده ، ويحتاج إلى الزَّقّ ، وهو ضربٌ من القيء ، وفيه عليها وهْنٌ

---

(١) فيما عدا ل : « تغطيه » .
(٢) يقال جثم وجثم ، بفتح الثاء وكسرها . وفعله من بابى دخل وضرب .
(٣) فيما عدا ل : « يذكر » .
(٤) وكرات : جمع وكرة ، بالفتح ، يقال وكر ووكرة .
(٥) فيما عدا ل : « فالتى تبيض » .
(٦) التكملة من ل ، هـ .

وشدّة[١] ، ولذلك لا يُزْجَل[٢] إذا كان زاقًّا . فلما [أن] كان كذلك لم يحمل عليها أكثر من فرخين وبيضتين .

ولما كانت الدَّجاجة تحضُن ولا تزُقّ ، وهى تأكل الحبَّ وكلَّ ما دبَّ ودَرَجَ ، زاد الله فى بيضها ، وعدد فراريجها ، ولم يجعل ذلك فى عدد أولاد السَّمك والعقارب والضِّباب التى لا تحضُن البتّةَ ولا تزُقّ ولا تُلقِم .

ولـمّا جعَلَ الله أولادَ الضبّ لها معاشاً ، زاد فى عدد بيضِها وفراخها ، وصار ما يسلمُ كثيرا غير متجاوزٍ للقدر .

٢١ وكذلك الظَّليم ، لما كان لا يزقّ ولا يحضُن اتسَع عليه مطلبُ الرِّزق من الحبوب وأصول الشَّجر[٣] .

وجعلها تبيض ثلاثينَ بيضةً وأكثر . [وقال ذو الرمة :

أذاك أم خاضبٌ بالسِّىِّ مَرْتَعُه ... أبو ثلاثين أمسى فهو منقلبٌ[٤]

و] بيضها كبارٌ ، وليس فى طاقتها أن تَشتمل وتجثِم [إلاّ] على القليل منها .

وكذلك الحيَّة تضع ثلاثين بيضةً ، ولها ثلاثون ضِلعا ، وبيضها وأضلاعها عدد أيام الشَّهر ؛ ولذلك قويَت أصلابها لكثرة عددالأضلاع ، وحمل عليهافى الحضن بعض الحمل[٥] إذ كانت لا ترضع .

(أثر الإلقام والزق فى الحيوان)

والطائر الذى يُلقِم فرخَه يكون أقوى من الطائر الزاقّ ، وكذلك من البهائم المرضِعة .

---

(١) فيما عدا ل : « وهن شديد » .
(٢) زجل الحمام : إرساله على بعد . وفيما عدا ل : « لا يرحل » ، تحريف .
(٣) ل : « أصول الأشجار » .
(٤) سبق البيت فى (٤ : ٣١١ ، ٣٢٨) .
(٥) فيما عدا ل : « بعد الحضن » .

ولما كانت العصافير تصيد الجراد والنمل والأرَضَة إذا طارت : وتأكل الحبَّ واللَّحم ، وكانت مع هذا تُلقم ، لم تكثِّر من البيض كتكثير الدجاج ولم تقلِّل كتقليل الحمام .

(ما يزاوج من الحيوان)

والعصافير فيها زِوَاجٌ ، وكذلك النّعام . وليس فى شىءٍ من ذوات الأربع زِواج ، وإنما الزِّواج فى اللاتى[1] تمشِى على رِجْلين ، كالإنسان والطَّير والنَّعام ، وليس [هو] فى الطير بالعامّ ، وهو فى الحمام وأصناف الحمام[2] من هذه المغنيات والنوائح عامٌّ . وسبيل الحجل والقَبَج[3] سبيلُ الدِّيكة والدَّجاج .

والدَّجاجة تمكن كلَّ ديك ، والدِّيك يثِبُ على كلِّ دَجاجة . وربّما غَبَر [الحمام[4]] الذَّكَر حياتَه كلَّها لا يقمط غير أنثاه ، وكذلك الأنثى لا تدعو إلا زوجَها ، وربّما أمكنت غيره . وفى الحمام فى هذا الباب من الاختلاف ما فى النساء والرجال . فأما الشِّفْنين[5] فإنّه لا يقمُط غيرَ أنثاه ، وإن هلكت الأُنثى لم يزاوِجْ أبدا ، وكذلك الأنثى للذكر .

(عجائب البيض)

فأمَّا العلة فى وضع القطا بيضَها أفراداً ، وخروجِ البيضة من جهة أوسع الرَّأسين ، واستدارةِ بيض الرّقّ ، واستطالة بيض الحيات ، وما يكون

---

(١) فيما عدا ل : « التى » .

(٢) هاتان الكلمتان ساقطتان من ط .

(٣) ط : « والفتخ » س : « والفتح » ، صوابهما فى ل ، هـ .

(٤) التكملة من ل ، س .

(٥) فيما عدا ل : « السفنين » محرف . وانظر (٣ : ٥١٦) .

منها أرقطَ وأخضَر وأصفر وأبيض [وأكدر] وأسود ، فإنّى لم أرْضَ لهم فى ذلك[١] جواباً فأحْكِيَه لك .

(معارف فى البيض)

قالوا : وإنما يعظُم البيض على قدر جُثَّة البيَّاضة . وبيضُ الأبكارِ أصغر . فأمَّا كثْرة العدد فقالوا[٢] إنه كلما كان أكثرَ سِفاداً كانَ أكثَرَ عدداً . وليس الأمرُ كذلك ؛ لأنَّ العصفور أكثَرُ سِفاداً من أجناسٍ كثيرَةٍ هى أقلُّ بيضاً منه .

والجرادُ والسَّمَك لا حضنَ ولا زَقَّ ولا رَضاعَ ولا تَلقيمَ[٣] عليهن ، فحين جَعَل الفراخَ كثيرةَ العدد ، وكانت الأمَّهات والآباءُ عاجزةً عنها ، لم يَجْعلْها محتاجةً إلى الأمَّهات والآباء .

فتفهَّمْ هذا التدبيرَ اللطيفَ ، والحكمةَ البالغة .

(أقل الحيوان نسلا وأكثره)

قالوا : والأقلّ فى ذلك البازى ، والأكثر فى ذلك الذَّرّ والسَّمك . قال الشاعر[٤] :

بغاثُ الطَّيْرِ أكثرها فُروخا   وأمُّ البازِ مِقْلاَتٌ نَزُورُ[٥]

---

(١) فيما عدا ل : « بذلك » ، تحريف .

(٢) س : « فقال » ، صواب هذه « فيقال » كما فى ل .

(٣) ط ، س : « ولا يلقم » هـ : « ولا تلقم » ، صوابهما من ل .

(٤) هو العباس بن مرداس ، كما فى الحماسة (٢ : ٢٠ — ٢١) . ونسب فى اللسان (٢ : ٣٧٧) إلى كثير عزة .

(٥) فيما عدا ل : « فراخا » كما فى الحماسة . وفيما عدا ل أيضا : « وأم الصقر » و « مقلات » هى فيما عدا ل : « مقلاة » ، محرفة .

وقال صاحب المنطق : نسل الأسد أقلُّ[1] لأنه يَجْرح الرحم فيُعْقَم . ٢٢
قالوا : والفِيَلة تضعُ فى سبع سنين . وأقلُّ الخلْق عدداً وذَرْءًا الكركَدَّن ؛ لأنّ الأنثى تكون نَزُورًا ، وأيامُ حملها كثيرة [جدًّا[2]] ، وهى من الحيوان الذى لايلد إلاّ واحداً ؛ وكذلك عِظامُ الحيوان وهى مع ذلك تأكل أولادَها ، ولا يكاد يسلم منها إلاّ القليل ؛ لأنّ الولد يخرجُ سوِيًّا نابتَ الأسنانِ والقرنِ ، شديدَ الحافر .

ما جاء فى الفيلة

من عجيب التركيب ، وغريب التأليف ، والمعارف الصحيحة ، والأحساس اللطيفة ، وفى قبولها التثقيفَ والتأديبَ وسرعَتِها إلى التَّلقين والتقويم ، وما فى أبدانها من الأعضاء الكريمة ، والأجزاء الشريفة[3] .

بسم الله الرحمن الرحيم

[والحمد لله ولاحول ولاقوة إلا بالله] ؛ وصلى الله على سيدنا محمدخاصّة وعلى أنبيائه عامّة ، ونسأله التأييدَ والعصمة ، ونعوذ به من كلِّ سببٍ جانَبَ الطَّاعَة ، ودعا إلى المعصية ، إنه قريبٌ مجيب ، فعَّالٌ لما يريد .

قد قلنا فى أول هذا الجزء ، [وهو الجزء السابع] ، من القول فى الحيوان فى أحساس أجناسها المجعولة فيها[4] ، وفى معارفها[5] المطبوعة عليها ، وفى أعاجيب ما رُكِّبَتْ عليه من الدَّفع عن أنفسها ، والتقدُّم فيما يُحيِيها

---

(١) فيما عدا ل : « يقل » .
(٢) التكملة من ل ، س .
(٣) من مبدأ « ما جاء فى الفيلة إلى هنا ليس فى ل .
(٤) فيما عدا ل : « ومنها » ، تحريف .
(٥) فيما عدا ل : « صغارها » ، تحريف .

وفى تحسُّسِها عواقبَ أمورها وكلٌّ ما خوِّفت[١] من حوادث المكروه عليها بقدر ما ينوبُها من الآفات ، ويعتريها من الحادِثات[٢] وأنّها تُدْرِك ذلك بالطَّبع من غير رَوِيّة ، وبحِسِّ النَّفس من غير فِكرة؛ ليعتبرَ مُعْتَبِرٌ ، ويفكِّرَ مفكِّر ، ولينفىَ عن نفسه العُجب ، ويعرفَ مقدارَه من العجز ، ونهاية قُوَّته ، ومبلغَ نفاذِ بصَرِه ، وأنه مخلوق مدبَّر ومصرَّف وميسَّر ، وأنَّ الأعجمَ من أجناس الحيوان ، والأخرسَ من تلك الأشكال ، يبلغ فى تدبير معيشته ، ومصلحةِ شأنهِ ، وفى كلٍّ ماهو بسبيله ، مالا يبلغه ذو الرَّوِيَّة التامّة ، والمنطقِ البليغِ ، وأنَّ منها ما يكون ألْطفَ مَدخلاً ، وأدقَّ مسلكا ، وأصنَعَ كَفّا ، وأجودَ حنجرة ، وأطبَعَ على الأصوات الموزونة ، وأقْوَم فى حفظ ما يُعيشُه طريقةً ، إلّا أنّ ذلك منها مفرَّق[٣] غـيرُ مجموع ، ومنقطعٌ غير منظوم .

والإنسان ذو العقل والاستطاعة ، والتصرُّف والروية ، إذا علم علماً

٢٣ غامضاً ، وأدرَكَ معنًى خفيّا ، لم يكَدْ يمتنع عليه ما دونَه إذا قاس بعض أمْرِهِ على بعض .

وأجناسُ الحيوانِ قد يعلَّم بعضُها[٤] علماً ، ويصنع بكفِّه صنعةً يفوقُ بها الناس[٥] ، ولا يهتدِى إلى ماهو دونَ [ذلك بطبعٍ ولا رويّة . وعلى أنّ الذى عجز عنه فى تقدير العقول دون] الذى قَدَرَ عليه .

---

(١) فى الأصل : « وفى تحصينها عواقب أمورها وكلما خوفت » .
(٢) ل : « من الحاجات » .
(٣) فيما عدا ل : « مفترق » .
(٤) ط : « بعضه » .
(٥) ل : « الإنسان » .

وأنا ذاكرٌ إن شاء الله ، ما جاء فى الفيلة من عجيب التركيب ، وغريب التأليف ، والمعارفِ الصَّحيحة ، والأحساس اللطيفة ، وفى قَبولها التّثقيفَ والتّأديب ، وسُرعتها إلى التلقين والتّقويم ، وما فى أبدانها من الأعضاء الكريمة ، والأجزاء الشريفة ، وكم مقدارُ منافِعها ، ومبلغُ مضارِّها ، وبكم فَضَلَتْ أجناسَ الحيوان ، وفاقَتْ تلكَ الأجناسَ ، وما جعل الله تعالى فيها من الآيات والبرهانات ، والعلامات النيِّرات ، التى جَلاها لعيُون خلْقه وعَرَّف بينها وبين عُقول عباده ، وقيَّدَها عليهم ، وحفِظَها لهم [ليكثِّر لهم[1]] من الأدلة ، ويزيدَهم فى وضوح الُحجَّة ، ويسخِّرَهم لتمام النِّعمة ، والذى ذكرها الله به فى الكتاب الناطق[2] ، والخبر الصادق ، وما فى الآثار المعروفة ، والأمثال المضروبة ، والتجارب الصحيحة[3] ، وما قالت فيها الشعراء ، ونطقَتْ به الخطباء ، وميَّزَتْه العلماء ، وعجّبت منه الحكماء ، وحالها عند الملوك وموضعِ نفعِها فى الحروب ، ومهابتها فى العيون ، وجَلالتها فى الصُّدُور ، وفى طُول أعمارها ، وقوَّة أبدانِها ، وفى اعتزامها وتصميمها ، وأحْقادها[4] ، وشدَّة اكترائها ، وطلبها بطوائلها ، وارتفاعها[5] عن مِلْك السُّقّاط والحشْوة ، وعن اقتناءِ الأنذال والسَّفِلة ، وعن ارتخاصها فى الثمن وارتباطها على الخسْف ، وابتذالها وإذالتها ، وعن امتناع طبائعها ، وتمنُّع غرائزها[6] أن تَصْلُحَ أبدانُها ، وتَنْبُتَ أنيابُهَا ، وتعظُمَ جوارِحُهَا ، وتتسافَد

---

(١) التكملة من س ، هـ ل . لكن فى ل : « ليكرر » .

(٢) فيما عدا ل : « وما ذكرها الله بها فى الحديث الناطق » .

(٣) فيما عدا ل : « والتجارب الصحيحة » .

(٤) ط ، هـ : « وإخفارها » س : « وإخفادها » ، صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « وارتداعها » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « غوائرها » ، محرف .

وتتلاقَحَ إلّا فى معادنها وبلادها ، وفى منابتها ومَغارس أعراقها ، مع التماس الملوك ذلك منها ، حتى أعجزَت الحِيل ، وخرجَتْ مِن حدِّ الطَّمَع[١] ، وعن الإخبار عن حَمْلها ووضْعِها ، ومواضع أعضائها ، والذى خالَفتْ فيه الأشكالَ الأربعةَ التى تُحيط بالجميع ممَّا ينْساح أو يعوم ، أو يمشى أو يطير ، وجميع ِ ما ينتقل عن أوَّليَّةِ خَلْقه ، وما يبقى على الطَّبائع الأُوَل من صُورته وعَمّا يتنازَعُه من شِبه الحيوان ، أو ما يخالِفُ فيه جميعَ الحيوان ، وعن القول فى شدَّة قلبه وأسْرِه ، وفى جرأته على ماهو أعظَمُ بدَناً وأشدُّ كلَباً ، وأحدُّ أظفاراً ، وأذْربُ أنيابا ، وهربِه[٢] ممَّا هو أصغَرُ منه جِرْماً وأكلُّ حدًّا ، وأضعَفُ أسْرًا ، وأخملُ ذِكراً ، وعن الإخبار عن خصاله المذمومة ، وأموره المحمودة ، وعن القول فى لَوْنه وجِلده وشَعره ، ولحمه وشحمه وعظمه ، وبَوْله و نَجْوه ، وعن لسانه وفمه[٣] ، وعن أذنه وعينه ، وعن خرطومه وغُرموله ، وعن مَقاتِلهِ وموضع سلاحه ، وعن أدوائه ودوائه ، وعن القول فى أنيابه وسائرِ أسنانه ، وسائر عظامه ، وفرْقِ مابين عِظامه وعظام غيره ، وعن مَوَاضع عجزه وقوّته ، والقَوْل فى ألبانها وضُروعها ، وعدد أخْلافها وأماكن ذلك منها ، وعن سياحتها ومشْيها وحُضْرها وسُرعتها ، وخِفَّة وطئها ولين ظهورها ، وإلذاذ راكبها ، وعن ثباتِ خُفِّها فى الوَحل والرَّمل ، وفى الحَدَر والصَّعْداء ، وعن أمْن راكبها من العِثار ، وكيف حالها[٤] عند اهتياجها واغتلامها ، وعن[٥] سكونها وانقضاء هَيَجانها عند حملها ، ٢٤

---

(١) فيما عدا ل : « خرجت عن الطبع » .

(٢) فيما عدا ل : « ونفرته » .

(٣) فيما عدا ل : « وفيه » .

(٤) فيما عدا ل : « واحتيالها » ، تحريف .

(٥) ل : « وعنه » ، محرف .

وعن طرَبها وطاعتها لسُوّاسها ، وفهمِها لما يُراد منها ، وكيف حِدّةُ نَظَرها والفَهمُ الذى يُرَى فى طَرْفِها ، مع الوقار والنُّبل ، والإطراق والسُّكون ، وَلِمَ[1] اجتمعت الملوكُ عَرَبُها وعجمُها[2] وأحمرُها وأسودُها على اقتنائها[3] والتزيُّنِ بها ، والفخرِ بكثرةِ ماتهيَّأ لهم منها ، حتى صارت عندهم من أكرم الهدايا ، وأشْرَف الألطاف ، وحتى صار اتخاذُها مُرُوءةً وعَتاداً وعُدّة ، ودليلًا على أنّ مُقْتَنِيَها[4] صاحبُ حرب ؛ وفى تفضيل [خصال] الفيل على خصال البعير ، وفى أىِّ مكانٍ يكون أنفعَ فى الحرب[5] من الفرَس ، وأصبرَ عند القتال من النَّمر ، وأقْتَلَ للأسد من الجاموس ، وأكلَبَ من الببر إذا تعرَّم[6] ، وأشدَّ من الكرْكدَّنِ إذا اغتلم ، حتى لايبلُغه مقدارُ ما يكون من تماسيح [الْخلجان ، وخيــل] النِّيل ، وَعِقبان الهواء ، وأُسْدِ الغياض .

(قصيدة هارون مولى الأزد فى الفيل)

وقد جمع هارونُ مولى الأزد الذى كان يرُدُّ على الكميت ويفخر بقحطان ، وكان شاعرَ أهل الْمُوْلتَان[7] ، ولا أعرف من شأنه [أكثر من

(١) فيما عدا ل : « ولو » ، تحريف .

(٢) س : « عربيها وعجميها » .

(٣) ل : « اجتلابها » .

(٤) فيما عدا ل : « يقتنيها » .

(٥) فيما عدا ل : « الحرب » .

(٦) تعرم : صار صاحب عرامة ؛ وهى الشراسة والشدة . وفيما عدا ل : « تعرض » محرفة .

(٧) المولتان ، بضم أوله وسكون ثانيه واللام ، يلتقى فيه ساكنان ، بذلك ضبطه ياقوت ، ثم قال : « وأكثر ما يسمع فيه ملتان بغير واو ، وأكثر ما تكتب كما هنا » وهى بلد فى بلاد الهند على سمت غزنة » . فيما عدا ل : « وكان شاعرا موالدا » .

اسمه] وصناعته . وقد قال فى صفات الفيل أشعاراً كثيرة ، ذكر فيها كثيراً ممّا قدّمْنا ذِكرَه[(١)] . فمن ذلك قولُه :

أليس عجيباً بأنْ خِلقةٌ له فِطَنُ الإنْس فى جِرْم فيل

وأنشد [نى] هذا البيت صفوانُ بن صفوانَ الأنصاريّ ، وكان من رُواة داود بن مزيد[(٢)] :

« أليس عجيباً بأنْ خِلقةٌ له فِطَنُ الإنس فى جِرْمِ فيلِ »
وأطرف مِنْ قِشّةٍ زَولة بحِلْمٍ يجلُّ عن الخنشَليل[(٣)]
وأوقصُ مختلفٌ خَلْقُــهُ طويلُ النُّيُوب قصير النَّصِيلِ[(٤)]
ويلقى العدُوَّ بنابٍ عظيم وجَوفٍ رَحيب وصوتٍ ضَئيلِ
وأشبــهُ شىءٍ إذا قِسْتَه بخنزيرِ بَرٍّ وجاموسِ غِيلِ
تَنازَعَــهُ كلُّ ذِى أربَع فما فى الأنام له من عَدِيلِ
٢٥ ويخضعُ لِلَيثِ لَيْثِ العَــرينِ بأنْ ناسَبَ الهِرَّ ، من رأس مِيلِ[(٥)]
ويعصِفُ بالبَبْر بعد النُّمورِ كما تعصف الرِّيحُ بالعندبيلِ[(٦)]

---

(١) فيما عدا ل : « ذكرتها فى ما قدمنا ذكره » ، تحريف .
(٢) ل : « وكان منزوار داوه بن يزيد » . والأبيات فى مروج الذهب (٢ : ١٠ - ١١) .
(٣) القشة : بالكسر : الأنثى من القرود . والزولة : الظريفة . فيما عدا س : « وأكرم » ، محرف . وفى نهاية الأرب (٩ : ٣١١) : « وأطرف » بالطاء المهملة . ط : « ذولت » هـ : « زولت » صوابهما فى ل ، س ونهاية الأرب والخنشليل : الماضى، والمسن القوى . وبه لقب أحد العلماء . انظر نهاية الفهرست لابن النديم . فيما عدا ل : « الخشنبيل » ، صوابه فى ل والنهاية .
(٤) الأوقص : القصير العنق . ط ، س : « رواقص » صوابه فى ل ، هـ والنهاية . والنصيل : ما تحت العين إلى الخطم . ط فقط : « النميل » ، محرفة .
(٥) أى يخاف الأسد لمشابهته الهر فى الصورة .
(٦) كذا وردت « العندبيل » بباء بعد الدال . والذى فى المعاجم أنه بلام بعد الدال .

وشخصٍ تَرَى يَدُه أنفَه ... فإن وصَلوه بسيفٍ صَقِيلِ[١]

وأقبلَ كالطَّوْدِ هادِى الخميسِ ... بِهَوْلٍ شديدٍ أمامَ الرَّعِيلِ[٢]

ومرَّ يَسِيلُ كَسَيْلِ الأتىِّ ... بخطوٍ خفيفٍ وجِرْمٍ ثقيلِ[٣]

فإن شِمْتَــه زادَ فى هــوله ... شناعةُ أُذْنَينِ فى رأسِ غولِ[٤]

وقد كنتُ أعدَدْتُ هِرًّا لهُ ... قليلَ التهيُّبِ للزَّندَبيل[٥]

فلما أحسَّ به فى العَجاجِ ... أتانَا الإلهُ بفتحٍ جميــلِ

فطارَ وَرَاغَــمَ فَيَّــالَهُ ... بقلبٍ نجيبٍ وجسمٍ نبيلِ

فسبحانَ خالقِــهِ وحْــدَه ... إلهُ الأنامِ وربُّ الفُيــول

(احتيال هارون بالهر لهزيمة الفيل)

وذكر صفوانُ بن صفوان أنّ هارون هذا خبَّأ معه هرًّا[٦] تحت حِضْنِه ، ومشى بسيفِه إلى الفيل ، وفى خرطومه السَّيف ، والفيالونَ يَذْمُرُونه[٧] ، فلما دنا منه رمى بالهرِّ فى وجهه ، فأدبَرَ هارباً ، وتساقط كلُّ مَن كان فوقَه ، وكبَّر المسلمون ؛ وكان ذلك سببَ الهزيمة .

وسنذكر الهرَّ فى هذا الشِّعر كما كتبتُه لك .

---

(١) ط ، هـ : « فإن وصفوه » . ط : « بسيف ثقيل » .

(٢) هدى الخميس ، أى تقدم الجيش ، والهادى : المتقدم .

(٣) الأتى : السيل لا يدرى من أين أتى . فيما عدا س : « بسيل كسيلى » .

(٤) شمته : رأيته ، يقال شامه يشيمه . فيما عدا ل ونهاية الأرب : « فإن سمته ذاك » ، تحريف .

(٥) ط : « ثقيل التثبت » س ، هـ : « فقيل التثبت » ، صوابهما فى ل .

(٦) ط : « جاء معه هر » س ، هـ : « جاء معه بهر » ، وأثبت ما فى ل .

(٧) الذمر : بالذال المعجمة : الحض والحث . فيما عدا ل : « يدمرونه » ، تحريف . انظر (٢ : ٦٥ س ١) . والخبر مروج الذهب (٢ : ٩ - ١٠) .

(استطراد لغوى)

وأمّا قوله :

* بحِلْمٍ يَجِلُّ عن الخنْشليل[١] *

فقد قال الأنصارىُّ فى صفة النَّخل[٢] :

تُليصُ العِشاءَ بأذنابِها وفى مَدَرِ الأرضِ عنها فُضُولُ[٣]

ويشبعها المصُّ مصُّ الثَّرَى إذا جاعت الشّاةُ والخنْشِلِيلُ[٤]

وهذا غير قوله :

قد علمتْ جاريةٌ عُطبولُ أنِّى بنَصْلِ السيف خنْشلِيلُ[٥]

(العندبيل)

وأما العَندبيل فهو طائرٌ صغيرٌ جدًّا ؛ ولذلك قال الشاعر :

وما كان يَوْمَ الرِّيحِ أوَّلَ طائرٍ

يَرُوحُ كرَوْحِ العَندبيل إلى الوكْرِ[٦]

لأنَّ الرِّيح تعصِف به من صِغره ، فهو يعرفُ ذلك من نفسِه ، فإذا قويت الرِّيح دخلَ جُحْره . ويقولون عندليب وعَندبيل[٧] وكلٌّ صواب ، ولذلك قال هارون :

(١) فيما عدا ل : « الخنشبيل » تحريف . وانظر ما مضى فى ص ٧٦ .

(٢) فى الأصل : « النحل » ، وثانى البيتين يمين أنه « النخل » إذ جعلها تمص الثرى .

(٣) تليص بذنبها : تديره وتحركه . المدر : قطع الطين اليابس . فيما عدا ل : « تمص العشايا ذناباتها » .

(٤) الخنشليل من الإبل : المسن البازل . فيما عدا ل : « الخنشبيل » محرف .

(٥) البيتان فى اللسان (١٣ : ٢٣٦) .

(٦) العندبيل ، كذا وردت . ولم أجد إلا « العندليل » بلامين .

(٧) عندبيل ، كذا فى الأصل . وانظر التنبيه السابق .

ويعصِفُ بالبَبْرِ بَعْدَ النمورِ   كما تعصِفُ الرِّيح بالعنديلِ

وسنخبر عن تقرير مافى هذه القصيدة مفرَّقا ، إذ لم نقْدِرْ عليه مجموعاً ٢٦ متَّصلا . ولو أمكن ذلك لكان أحسن للكِتاب ، وأصَحَّ لمعناه ، وأفهَمَ لمنْ قرَأه(١) .

باب

مايدخل فى ذكر الفيل

وفيه أخلاط من شعر وحديث وغير ذلك

قال رؤبةُ فى صفة الفيل :

أَجْرَدُ كالحِصْنِ طويلُ النَّابَيْنْ   مُشَرَّفُ اللَّحْيِ صغيرُ الفقْمَيْنْ(٢)

* عليه أُذْنَانِ كفضْلِ الثَّوْبَيْنْ *

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

هو البعوضةَ إنّ كلّفتَه كَرَمًا   والفيل فى كلِّ أمرٍ أصلُه لُومُ(٣)

وقال أعرابىٌّ وَوَصَف امرأةً له(٤) :

* لو أكلتْ فِيلَينِ لم تَخْشَ البَشَمْ *

وقال أعرابىٌّ ، [وتروى] لبعض الأكرياء(٥) :

---

(١) فيما عدا ل : « وأوضح وأفهم لمعناه » .

(٢) الفقمان : بالضم : الحيان . فيما عدا ل : « العينين » ، وأثبت ما فى ل ومباهج الفكر (٣ : ٧٩) مصورة دار الكتب .

(٣) ط ، هـ : « إذ كلفته » .

(٤) ل : « فى وصف امرأة له » .

(٥) الأكرياء ، جمع كرى ، وهو المكارى الذى يكريك دابته . ل : « وقال أعرابى لبعض الأكرياء » . وفيما عدا ل : « وقال الأعرابى يصف الأكرياء » ، وقد جمعت من بينهما الصواب زائدا كلمة « وتروى » .

لو تركبُ البُختِيَّ مِيلاً لانحطَمْ[١] أو تركبُ الفيلَ بها الفيلُ رَزَمْ[٢]

وحمل ناسٌ أبا الحلال الهَدادى[٣] على الفيلِ أيَّام الحجَّاج ، فتمنَّع وأنشأ يقول :

أأرْكَبُ شيطاناً ومِسْخًا وهَضْبَةً إلا إنّ رأيي قبل ذاك مُضَلَّلُ[٤]

فقالوا له : لو علوتَه ما كانَ عندَك إلاّ كالبغْل ! فلما علاه صاحَ : الأرْضَ الأرضَ ! فلما خافوا أنْ يرْمِيَ بنفسه وهو شيخٌ كبير ، أنزلوهُ ، فقال بعد ذلك فى كلمة له :

وما كان تحتى يومَ ذلك بَغْــلةٌ ولـكِنَّ جُلْبًا مِنْ رَفِيع السَّحائبِ[٥]

وقال بعض [المتحدِّثين و] المُملِّحين[٦] فى بعض النساء :

أرادت مرّةً بيتاً لهــا فيــه تماثيلُ

فلما أبصرَتْ سِتْرًا لوجْهَيْــهِ تهاويلُ

وفيه الفيلُ منقوشاً وفى مِشْفَرِهِ طُولُ

قالت : انزعُوا الستر فلا يأكلْنِىَ الفيلُ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « انحطم » .

(٢) رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزوما ورزاما ، إذا كان لا يقدر على النهوض رزاحا وهزالا . ط : « نهى الفيل ورم » ، س ، هـ : « نها الفيل ورم » صوابهما فى ل .

(٣) الهدادى : نسبة إلى هداد كسحاب : حى من اليمن . فيما عدا ل : « الهداهدى » وهداهد ، بضم أوله وكسر رابعه : حى من اليمن أيضا .

(٤) فيما عدا ل : «وأسلم إنى قبل ذاك فملل » ، محرف .

(٥) الجلب ، بالكسر والضم : السحاب الذى لاماء فيه . ط ، هـ : « ولكن تحتى » س : « ولكن حتى » ، صوابهما فى ل . والرفيع : المرتفع . ل : « رجيع » ، ولا وجه له .

(٦) فى اللسان والقاموس : « ملح الشاعر ، إذا أتى بشىء مليح » . ل : « المتملحين » .

(٧) فى البيت ما يسميه العروضيون الخرم .

وقال خَلَف بن خليفةَ الأقطع ، حين ذكر الأشرافَ الذين يدخلون على ابن هُبيرة :

وقامتْ قريشٌ قريشُ البِطاح مع العُصَبِ الأُوَلِ الدَّاخِلَهْ[1]
يقودهم الفِيلُ والزَّنْدَبِيلُ وَذُو الضِّرْسِ والشَّفَةِ المائلهْ

الفيل والزَّنْدَبيل : أبان والحكم ، ابنا عبد الملك بن بشر بن مَرْوان[2]. وذو الضِّرس : خالد بن سَلَمة المخزومى الخطيب ، وهو ذو الشَّفة ، قتل مع يزيد ابن عُمَر بن هبيرة[3] فيمن قتل . ٢٧

وقد فَصَلَ خلف بن خليفة الفيلَ من الزَّنْدَبِيل ، ولم يفسِّر[4] . وقد اختلفوا فى ذلك ، وسنذكرهُ إذا جرَّ سببه[5] إن شاء الله تعالى .

(طرائف من اللغات والأخبار فى الفيل)

[[6]الفيلُ ، المعروف بهذا الاسم . ويقال رجلٌ فِيلٌ إذا كان فى رأيه فِيَالة ؛ والفِيَالة : الخطأ والفساد . ويسمُّون أيضاً الرَّجلَ بفيل ، منهم فيلٌ

(١) قريش البطاح : الذين ينزلون أباطح مكة وبطحاءها . وقريش الظواهر : الذين ينزلون ما حول مكة . وأكرمهما قريش البطاح . فيما عدا ل : « هى القصب » موضع : « مع العصب » .

(٢) فى المعارف ١٥٥ أن بشر بن مروان ، « أول أمير مات بالبصرة ، وله عقب » . فيما عدا ل : « بشر بن عبد الملك » . وليس لعبد الملك بن مروان ولد يسمى بشرا . انظر المعارف ١٥٦ وجمهرة ابن حزم ٨٩ والطبرى (٩ : ١٤٥ س ١٦) .

(٣) يزيد بن عمر بن هبيرة ، ولاه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم على العراق ، وقتله أبو جعفر المنصور بعد حصاره له فى واسط تسعة أشهر فى شوال سنة ١٣٢ . وانظر الفيل والزنديبل جمهرة ابن حزم ١٠٧ بتحقيقنا . وانظر المعارف ١٦٢ . فيما عدا ل : « يزيد بن عمرو » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ولم يقصر » ، محرفة .

(٥) فيما عدا ل : « وسنذكر شبهه » .

(٦) من هنا يبدأ سقط كبير انفردت بإثباته نسخة كوبريلى .

مولى زياد وحاجبُه : وفى أنهار الفرات بالبصرة نهر يقال له فيل بانان ، وموضعٌ آخر يقال له فِيلان[١] .

وقد يعرض بقدم الإنسان ورَم جاسٍ حتّى تعظم له قدمُه وساقُه ، وصاحبُه لايبرأ منه ، ويسمَّى ذلك الورمُ داءَ الفيل .

ويسمَّى الرَّجُل بدَغْفَلٍ ، وهو ولد الفِيل[٢] ، ولا يسمُّون بزَنْدبيل . وبعض العرب يقول للذَّكر من الفيلة فِيل وللأُنثى فِيلة ، كما يقولون أسد وأسدة ، وذئب وذئبة ، ولا يقولون مثل ذلك فى ثعلب وضبع ، وأمورٍ غير ذلك ، إلاّ أن يكون اسماً لإنسان .

وبعث رجلٌ من العرب بَديلاً مكانَه فى بعض البعوث ، وأنشأ يقول :

إذا ما اختَبَّتِ الشَّقْرَاءُ مِيلاً فهانَ عَلَيَّ ما لقِيَ البَديلُ[٣]

يشنِّفُها ويحسِبُها بعِيرًا قليلٌ علمه بالخيل فِيلُ[٤]

وأنشدنا الأصمعيّ :

يفرُّون والفيل الجبان كأنّه أَرَبٌّ خَصِيٌّ نفَّرتْه القَعاقِعُ

قال سَلَمة بن عَيَّاش[٥] : قال لى رؤبة : « ما كنت أجد أن أرى فى رأيك فِيالة » .

---

(١) فيلان : بلد وولاية قرب باب الأبواب من نواحى الخزر . عن ياقوت .

(٢) من سمى بذلك دغفل بن حنظلة الشيبانى النسابة، المترجم فى (٣ : ٤٨٩).

(٣) اختبت : سارت الخبب ، وهو ضرب من العدو . قال :

مذكرة الثقيا مساندة القرى جمالية تختب ثم تنيب

والشقراء : فرسه .

(٤) الفيل هنا : الضعيف الرأى .

(٥) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، وكان منقطعا إلى جعفر ومحمد ابنى سليمان بن على بن عبد الله بن عباس يمدحهما . ترجم له أبو الفرج فى (٢١ : ٨٤ ــ ٨٦) . وفى الأصل : « بن عباس » ، محرف .

وبالكوفة باب الفيل ، وبواسط باب الفيل .

ومنهم فِيلُويَه ، وهو أبو حاتم بن[1] فِيلُويه . وكان أبو مسلم ربَّى أبا حاتم حتّى اكتهل . وهُما سقَيا أبا مسلم السمّ حتى عُولج بالترياق فأفاق ، فقتلهما أبو مسلم بعد ذلك ، وكانا على شبيهٍ بدِين الخُرَّميّة .

ويقولون عنبسة الفِيل ، وهو النحويّ ، وهو أحد قدماء النحويِّين الحذّاق . وهو عنبسة بن مَعْدَانَ ، وكان معدانُ يروض فيلاً لزياد ، فلما أنشَد عنبسةُ بنُ معدانَ هجاء جريرٍ للفرزدق قال الفرزدق :

لقد كان فى مَعْدانَ والفيلِ زاجرٌ   لعنبسةَ الرَّاوِى عَلَيَّ القصائدا

فلمَّا تناشَدَ النّاسُ بعد ذلك هذا الشعرَ قال عنبسةُ : إنَّما قال الفرزدق :

* لقد كان فى مَعْدانَ واللُّؤْمِ زاجرٌ *

فقالوا : إنَّ شيئاً فررتَ منه إلى اللُّؤْم لَنَاهِيكَ به قُبحًا ! فعند ذلك سُمِّى « عنبسةَ الفيل[2] » .

وغيلان الراجز كان يقال له « غيلانُ راكبَ الفيل » ، كان الحجّاج ابن يوسف ربَّما حَمَلَه على الفيل .

وسَعْدُويه الطُّنبوريّ ، وكان يقال له : « سعدويه عين الفيل » .

قال أبو عبيدة : حدَّثنى يونس قال : لمـا بنى فِيلٌ مولى زيادٍ دارَه وحَمَّامَه بالسَّبابجة[3] ، عمل طعاما لأصحاب زياد ، ودعاهم إلى داره ، وأدْخلهم

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل ، وهى تكملة يستقيم بها الكلام .

(٢) كان عنبسة تلميذ أبى الأسود . وانظر القصة فى بغية الوعاة ٣٦٨ .

(٣) السبابجة ، أراد به موضعا كان ينزله السبابجة بالبصرة ، والسبابجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن . انظر معرب الجواليقى ١٧٣ . وكان كثير من خطط البصرة وغيرها يسمى بأسماء الطوائف والقبائل النازلة فيها .

حمّامَه ، فلمَّا خرجوا منه غدَّاهم ، ثم ركِب وغَبَّر فى وجوههم ، فقال أبو الأسود الدُّئلى :

لَعَمْرُ أبيكَ مَا حمّامُ كِسرى   على الثُّلُثَيْنِ من حمّام فيلِ

وقال الجارود بن أبى سَبرة :

وما إرقاصنا خَلْفَ الموالى   كَسُنَّتِنا عَلَى عهدِ الرسولِ[1]

وأنشد الأصمعى وغيره :

خلافا علينا من فَيالة رأيه

كما قيل قبلَ اليوم خالفْ فَتُذْكَرا[2]

ويقال للرَّجُل إذا عُنِّف عند الرأى يراه : لِمُ تفيِّلُ رأيَكَ ؟ وقد فَالَ رأىُ فلان .

وحدَّثنا عبد الله بن بكر ، عن حميد ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لمّا انتهيت إلى السِّدْرَة إذا ورَقُها أمثالُ آذانِ الفِيَلة ، وإذا ثمَرها أمثالُ القِلال[3] ، فلما غشِيَها من أمر الله ما غشِيها تحوَّلت ياقوتا » .

وقال صاحب الكيمياء فى جرير بن يزيد :

مهلاً أبا العبَّاس رِفقاً ولا   تكنْ خَصِيمَ المَعْشَرِ الحُونِ

هيهاتَ هيهاتَ لمـا رُمْتَه   أو يُولَدَ الفيلُ من النُّونِ

أنت إذا ماعُدَّ أهلُ الحِجا   والحِلْمِ كالأحنف فى سِينِ[4]

---

(١) فى اللسان : « أرقص القوم فى سيرهم إذا كانوا يرتفعون وينخفضون » . وفى الأغانى (٢١ : ٣٠) : « وما إيجافنا » ، مع نسبة الشعر إلى حارثة بن بدر .

(٢) فى الأصل : « خالف تذكر » ويأباه الشعر ، وصوابه فى البيان (٢ : ١٨٧) . وانظر المثل فى الميدانى (١ : ٢١٣) .

(٣) القلة : الجرة العظيمة .

(٤) كأنه أراد : هما فى الاستواء كاستواء أسنان حرف السين .

(الفرخ والفروخ)

وكلُّ طائرٍ يخرُج من البيض وكلُّ ولدٍ يخرج من البيض وإن لم يكن طائراً ، فإنما يسمَّى فرخاً ، كفرخ الحمام والوزغة والعظاءة والرقّ والسُّلحفاء والحُلَكاء ، وبناتِ النَّقا ، وشحمة الأرض ، والضب ، والجِرْذون ، والورل ، والحرباء ؛ إلا مايخرج من بيض الدجاج فإنه يقال له « فرّوج » ولا يقال له فرخ. إلاّ أنَّ الشعراءَ يتوسَّعون في ذلك . قال شمَّاخ بن أبي شداد[1] :

ألا مَن مبلغٌ خاقان عنّا   تأمَّلْ حين يضربُك الشّتاءُ

أتجعلُ في عيالك من صغيرٍ   ومن شيخٍ أضرَّ به الفَنَاءُ

فراخَ دجاجةٍ يتبعْن دِيكًا   يلُذْنَ به إذا حَمِسَ الوغاءُ

وقال الآخر :

أحبُّ إلينا من فراخ دجاجة   ومن ديك أنباط تنوسُ غَباغبُهْ[2]

وإذا سمَّى أهل البصرة إنساناً بفيل فأرادوا تصغيره قالوا فِيلويه ، كما يجعلون عمرا عَمرويه ، ومحمداً حمدويه . وكان محمد بن إبراهيم الرّافقي الفارسُ النَّجيد قتيل نصر بن شَبَث ، مولى بني نصر بن معاوية ، له كنيتان : أبو الفيل وأبو جعفر ؛ ولم يكن بالجزيرة أفْرَسُ من داود بن عيسى ، وأبي الفيل وعيسى بن منصور من ساكني الرافقة[3]] .

---

(١) سبق في (١ : ٢٠٩) نسبة الشعر إلى الشماخ بن ضرار . ويبدو أن ماهنا صوابه ، إذ أن الأبيات لم ترو في ديوان الشماخ . والشماخ بن أبي شداد الغياني ، ذكره الآمدي في المؤتلف ١٣٨ وروى له شعرا .

(٢) قبله كما سبق في (١ : ١٩٩) :

لعمري لأصوات المكاكي بالضحى   وسود تداعى بالعشي نواعبه

(٣) الرافقة : بلدة كانت متصلة البناء بالرقة على ضفة الفرات ، قال ياقوت : « فأما الآن فإن الرقة خربت وغلب اسمها على الرافقة ، وصار اسم المدينة الرقة » .. وإلى هنا ينتهي السقط الذي بدأ في ص ٨١ .

(حمل الفيل وعمره)

وذَكَرَ بعضُ الفيّالين أنّ الفيَلة تضعُ لِسبع سنينَ ولدًا مستوىَ الأسنان ، وأنهم يرصدون ذلك الوقتَ من الوحشية منها[1] ، ويحتالون فى أخْذ الولد ، وأن ذلك الولدَ يعيش فى أيديهم[2] مابين الثمانين سنةً إلى المائة ، وأنّ عُمر الوحشية أطولُ ، وأنّ كلَّ شىءٍ منها اليومَ بالعَسْكر إناث ، وأنّ الموتَ بالعراق إلى الذُّكورة أسرعُ ، وأنَّ نابَه لايطول عندنا ، وأنّهم يَعْملون من جلودها التِّرَسَة[3] أجودَ من جلود الجواميس ، ومن الخيزُران[4] ، ومن الدّرق والحَجَف التى تتخذ من جلود الإبل[5] ، ومن هذه المعقَّبة [المطليَّة] ، ومن جميع مايؤلَّف من أنواع الخشَب والجلودِ التى قد أطيلَ إنقاعَها فى اللّبن ، ومن كلِّ تَبِّتِىّ وصينى[6] .

(مروج الفيلة)

وذكر أن لها مُروجاً ، وأن المروجَ أصلَحُ لها من القُرى ، ومواضِعَها من الوحش أصلحُ لها من المُروج .

---

(١) فيما عدا ل : « بها » ، محرف .

(٢) فيما عدا ل : « فيهم فى أيديهم » . وكلمة « فيهم » مقحمة .

(٣) الترسة : جمع ترس . س ، ه : « أترسة » . وفى اللسان : « قال يعقوب : ولا تقل أترسة » .

(٤) فيما عدا ل : « الحيوان » .

(٥) الحجف بتقديم الحاء : الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب . فيما عدا ه : « الجحف » محرف ، وفى ل : « المتخذة من جلود الإبل » .

(٦) فيما عدا ل : « ومن كل شئ رصين » .

(فهم الفيلة)

وذكر رسولٌ لى إلى سائسها أنه قد اتّبعها إلى دجلة ، وأنّ بعض الغَوغاء صاح بها : ياحجّام بابَك ! وهذا الكلام اليومَ ظاهرٌ على ألسنة الجهّال ، وأن فيلًا منها ركلَه برجله رَكْلةً صكّ بها الحائط[1] حتّى خيف عليه منها ، وأنه رأى منها الإنكارَ لذلك القول ، وأنَّ الفيّالَ كان يحثُّها على الانتقام لمّا صاحَ بها .

وإذا عرفَ الكلبُ اسمه، وكذلك السنّور ، وكذلك الشّاة والفرس ، والطفل والمجنون المصْمَت الجنون ، وعرفت النّاقةُ [فصْل] ما بين حَلْ وجاهِ[2] ، وعرَف الحمارُ الصَّوتَ الذى يُلْتَمَسُ به وقوفُه ، والذى يلتمس به سيرُه ، وعرف الكلبُ مخاطبةَ الكلّاب ، والببْغاءُ مناغاةَ المُكَلِّم له[3] ، فجائزٌ أن يكون الفيلُ بفضْل فِطنته [أنْ[4]] يفهم أضعافَ ذلك . فإذا أمره بضرب إنسانٍ عند ضروبٍ من الكلام استعاد [ذلك] وأدامَه ، لم ينكر أنْ يعرفَه على طول الترداد .

(فائدة نجو الفيل)

قالوا : وإذا احتملت[5] المرأةَ شيئا من نَجْو الفيل بعد أن يُخْلَطَ به شيء[6] من عسَل فإنها لا تَحبَل أبدًا[7] .

---

(١) ل : « لها الحائط » .

(٢) جاه ، بالجيم ، وهو مبنى على الكسر ، وربما قالوه بالتنوين : انظر اللسان (١٨ - ٣٨٠) . وفى الأصل : « حاه » بالمهملة ، تصحيف .

(٣) فيما عدا ل : « المتكلم له » ، ولها وجه .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) فيما عدا ل : « حملت » وحمل واحتمل بمعنى .

(٦) فيما عدا ل « تخلط به شيئا » .

(٧) فيما عدا ل : « لاتحمل أبدا » بالميم ، وهما بمعنى .

قالوا : ومما يؤكِّد ذلك أنّك لو علّقتَ على شجرةٍ من نَجْوه شيئاً »
أنَّ تلك الشجرةَ لاتحمِلُ فى تلك السنة .

قالوا : وزوانى الهند[١] يفعلن ذلك استبقاءً للطّراء[٢] [وللشّباب] »

٢٨ ولأنها إذا كانت موقوفةً على جميع الأجناس من الرِّجال كانت أسرعَ إلى الحبَل[٣] لأنها لاتعدَم موافقاً لطبعها . وإذا حملت ووضعت مرارا بطلت .

(ضروب من الدواء)

وليس هذا بعجيب ؛ لأنهم يزعمون أنَّ صاحب الحصاة إذا أخذَ روثَ الحمار حين يَرُوثه حارًّا فعصرَه وشرِب ماءه أنه كثيراً مايبول تلك الحصاة . وفى [ماء] روثِ الحمارِ أيضاً دواءٌ للضِّرس المأكول .

وقال الأصمعيّ : سألتُ بعضَ الأكلة ممن كان يقدَّم على مَيْسرة التّرّاس[٤] : كيف تصنعُ إذا جَهَدتك الكِظّة ؟ والعرب تقول : إذا كنت بطيناً فعدِّلْ نفسَك زَمِنا[٥] . فقال : آخذ روْثَ حمار حارًّا فأعصرُه وأشرب ماءه[٦] فأختلف عنه مراراً[٧] ، فلا أثبت[٨] أنْ يلْحَقَ بطنى بصُلْبى ، فأشتهى الطّعامَ .

---

(١) ل : « وزوانى اليد بالهند » .
(٢) الطراء ، بالفتح : النضرة ، والطرىّ خلاف الذاوى . فيما عدا ل : « الطراق » ، وهو بالكسر : الضراب . والأوفق ما أثبت من ل ليلائم مابعده .
(٣) فيما عدا ل : « فى الحبل » .
(٤) فيما عدا ل : « التياس » .
(٥) كلمة « نفسك » ليست فى ل . وفيما عدا ل : « فعد » .
(٦) ل : « روثا حارا فأعصره ثم أشرب ماءه » .
(٧) الاختلاف : أن تصيبه الخلفة ، فيختلف إلى المتوضأ . فيما عدا ل : « عليه مرارا » .
(٨) هى بمعنى « لا ألبث » .

والمرأة من نسائنا اليومَ إذا استُحِيضَت استفَّتْ مثقالًا من الإثمد ؛ لأنها عندهن إذا فعلت ذلك لم تَلِد .

وأنا رأيتُ امرأة [قد] فعلتْ ذلك ثم ولدت .

وخُرء الكلب إذا كان الجعرُ أبيضَ اللَّوْن ، وكان غذاءُ الكلب العظامَ[١] دون اللحم ، فهو عجيبٌ لصاحب الذُّبحة ، وكذلك رَجِيع الإنسان[٢] .

وخرء الفار يكونَ شِيافاً[٣] للصِّبيان ، يحملونه إذا استوكى بطنُ أحدهم[٤] وإن كان من خرء الجرذان وكان عظيماً كان الواحد منه هو الشِّياف .

ويصلح أيضاً خُرْء الفار[٥] لداء الثَّعلب ، وهو القَرَع الذى يعرض لشَعر الرَّأس .

وخرء الحمام الأحمر يصلحُ ، من المَبْوَلات للرَّمْل[٦] والحصَى ، يُقمَح منه وزن درهم مع مثله من الدَّارصيني[٧] .

(شعر فى الفيل)

وقال بعض المُحْدَثين :

يالحيةً طالت على نَوكها كأنها لحيةُ جِبريلِ[٨]

---

(١) ل : « وكان من أكل الكلب العظام » .

(٢) ل : « رجع الإنسان » .

(٣) فى القاموس : « والشياف ، ككتاب : أدوية العين ونحوها » .

(٤) استوكى بطنه : لم يخرج منه نجوه . فيما عدا ل : « يحملونه » ، محرفة . ل : « إذا استرخى » . وفيما عدا ل : « إذا استوكأ » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) فيما عدا ل : « خرء الكلب » .

(٦) مبولة : يحمل على البول . وفيما عدا ل : « من الهيولات من الرمل » ، محرف .

(٧) يقال قمح السويق ونحوه — من باب علم — واقتمحه ، إذا استفه . س : « يقتمح » . ل : « دار صينى » بطرح اللام .

(٨) النوك : الحمق . فيما عدا ل : « على كونها » ، صوابه فى ل وعيون الأخبار (٤ : ٥٥) .

لَوْ كانَ ما ينصَبُّ من مائها ... نَهْرًا إذًا طَمَّ على النِّيلِ

أو كان ما يقطر من دُهْنها ... كَيْلًا لَوَفَّى ألفَ قِنديلِ

فلو ترَاها وهى قد سُرِّحَتْ ... حسبْتَها بَنداً على فيلِ[١]

وأنشد أبو عمرو الشيبانىّ لبعض المولّدين :

إذا تلاقَى الفُيولُ وازدحَمتْ ... فكيفَ حالُ البَعوضِ فى الوَسَطِ

وأنشد على بن محمد[٢] :

وما الفِيلُ أحمِلُه مُوقَرا ... رَصاصاً بأثْقَلَ من معْبَدِ

ولا قِرْمِلىٌّ عليه الغَبيطُ ... ينوء بِعِدْلَين من إثْمِدِ[٣]

وجاموسةٍ أُوقِرَتْ زِئبقاً ... بأثْقَلَ منه ولا أنْكَدِ

٢٩ وقال آخر :

بابٌ يرى ليس له داخلٌ ... إلاّ خِرًا جُمِّع فى الزَّاويه

إن جئت فالفيلُ على هامتى ... ومثله نِيطَ بأوصالِيَهْ

ووصف[٤] مرَّة بن مَحْكَان[٥] قِدراً فقال :

---

(١) البند : العلم الكبير ، فارسى معرب . فيما عدا ل : « نبذا » ، صوابه فى ل وعيون الأخبار .

(٢) فيما عدا ل : « وقال » فقط .

(٣) القرملية من الإبل : الصغار الكثيرة الأوبار ، وهى إبل الترك . فيما عدا ل : « قزملى » ، صوابه بالراء المهملة . والغبيط : الرحل . فيما عدا ل : « الهبيط » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « ورأى » .

(٥) محكان ، بفتح الميم ، كما ضبط بالقلم فى اللسان والقاموس (محك) . وضبط بالقلم =

تَرمِى الصَّلاةَ بِنَبْلٍ غيرِ طائشةٍ وَفْقاً إذا آنست من تحتِها لهبا[1]

زيَّافة مثل جوفِ الفيل مُجفَرة لو يُقذَف الرَّأْلُ فى حيزومها ذهَبا[2]

وقال بعض الأكرياء فى امرأة كان حَمَلَهَا :

بيضاء من رُفقةِ عِمْرَانَ الأصمّْ لاثَعلٌ فى سِنّها ولا قَصَم[3]

بَهْكَنَة لو تركب الفيلَ رَزَمْ[4] كأنّها يوم تُوَافِى بالحَرَمْ

* غمامَةٌ غرَّاءُ عَنْ غِبِّ رِهَمْ[5] *

وقال رؤبةُ بن العجّاج :

= فى الاشتقاق ١٥١ بكسر الميم . وفى حواشى المبهج لابن جنى ص ٦١ : « فى حاشية الأصل : حكى السكرى محكان ومحكان ، بالكسر والفتح فى اسم هذا الشاعر » . وفى معجم المرزبانى ٣٨٣ : « مرة بن محكان السعدى من بنى عبيد أحد اللصوص . هجا الفرزدق » . وأنشد له الأبيات البائية التى رواها أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٢٥٣). وترجم له أبو الفرج فى (٢٠ : ٩ — ١٠) .

(١) الصلاة ، بالضم : جمع صال ، وهو الذى يصطلى بالنار . وفقا : متوافقات . وفيما عدا ل : « وقما » .

(٢) زيافة ، هى من قولهم : زافت المرأة فى مشيها تزيف ، إذا رأيتها كأنها تستدير . فيما عدا ل : « زرافة مثل جوف الليل » محرف . والمجفرة : الواسعة ، يقال ناقة مجفرة عظيمة الجفرة ، والجفرة ، بالضم : الوسط . والرأل : فرخ النعام . فيما عدا ل : « لم يقذف » ، تحريف .

(٣) الثعل : تراكب الأسنان بعضها على بعض . والقصم : انقصام الثنية إذا كان منكسرها من النصف . ط : « لاثقل » س ، هـ : « لانقص » ؛ وأثبت ما فى ل .

(٤) البهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة . فيما عدا ل : « بهنكة » تحريف . و « رزم » فسرت فى ص ٨٠ . فيما عدا ل : « ورم » محرف .

(٥) الرهم : جمع رهمة ، بالكسر ، وهو المطر الضعيف . فيما عدا ل : « وهم » ، محرف .

إنَّ الرُّدافى والـكرىَّ الأرْقَبا[1] يكفيكَ دَرْءَ الفِيل حَتى تَرْكَبا[2]

ثم قال :

يشقَى بى الغِيرانَ حَتَّى أُحْسَبَا[3] سِيداً مُغِيراً أو لياحاً مُغْرَبَا[4]

(ماورد فى كليلة ودمنة من الأمثال في شأن الفيل)

ومما قرأه الناسُ من الأمثال فى شأن الفيل التى وجدوها فى كتاب كليلة ودمنة ، فمن ذلك[5] قوله : « أفَلا تَرَى أنَّ الـكلب يُبصبِصُ بذنبه مِراراً حتّى تُلقَى له الـكِسرة ، وإنَّ الفيلَ المغتلِم لَيعرِفُ قوّتَه وفضله ، فإذا قُدِّمَ إليه عَلَفُه مُكرَّما[6] لم يأكلْ حتّى يُمَسح[7] ويُتملّق » .

---

(١) الردافى : الحداة ، جمع حاد . والـكرى : الذى يكريك دابته . والأرقب : الغليظ الرقبة .

(٢) دره الفيل : دفعه وكفه . أراد أن ركوب الإبل يغنى من ركوب الفيل وعن الحاجة إلى درئها قبل اعتلائها . فيما عدا ل : « ورن الفيل » ، محرف .

(٣) الغيران ، بالـكسر : جمع غور ، وهو المطمئن من الأرض . فيما عدا ل : « سمارى العيران حتى أجنبا » ، لكن فى ط « سمادى » ، والصواب ما أثبت من ل . يقول : تشق به الأغوار من شدة سيره .

(٤) السيد ، بالـكسر : الذئب . واللياح ، بالفتح والـكسر : الثور الأبيض . والمغرب ، بفتح الراء : الأبيض . فيما عدا ل : « شرا معيرا ولياحا معربا » ، محرف .

(٥) فى أوائل باب (الأسد والثور) . انظر ص ٤٧ من الطبعة التذكارية لدار المعارف .

(٦) ط فقط : « مكرها » ، تحريف صوابه فى سائر النسخ وكتاب كليلة ودمنة .

(٧) فى كليلة ودمنة : « حتى يمسح رأسه » .

قال[١] : « وقيل فى أعمال ثلاثة[٢] لايستطيعها أحدٌ إلا بمعونةٍ من ارتفاع هِمّة[٣] ، وعظيم خطر ، منها عملُ السلطان ، وتجارة البحر ، ومناجزة العدوّ . [و] قالت العلماء فى الرَّجُل الفاضل : إنّه لاينبغى أن يُرَى إلا فى مكانَين ، ولا يليق به غيرهما[٤] إمَّا مع الملوك مُكرَّماً ، وإمَّا مع النُّسَّاك متبتِّلا ، كالفيل إنما بهاؤه وجماله فى مكانَين : إمَّا فى برّية وحشيًّا ، وإما مَرْكَباً للمُلوك » .

[قال[٥]] : « وقد قيل فى أشياءَ ثلاثةٍ فضْلُ ما بينها متفاوِت : فضل المقاتل على المُقاتل ، و [فضل] الفيلِ على الفيلِ ، و [فضل] العالم على العالم[٦] » .

وقال فى كلام آخر[٧] : « فإن لم تنجَع[٨] الحيلة فهو إذًا القَدَرُ الذى لايُدفَع ؛ فإنَّ القدرَ هو الذى يسلب الأسَدَ قوَّتَه حَتى يُدْخِله التَّابُوت ، وهو الذى يَحمِل الرَّجُل الضَّعيف على ظهر الفيل المغتلِم[٩] ، وهو الذى يسلِّط الحوّاء على الحَيَّة ذات الحُمَة فينزِعُ حُمَتَها ويلعبُ بها .

٣٠

(١) فى باب (الأسد والثور) انظر ص ٥٠ — ٥١ من النسخة السالفة الذكر .

(٢) فى كليلة ودمنة : « وقد قيل فى أمور » فقط . والوجه حذف كلمة « ثلاثة » .

(٣) ط ، هـ : « ابداع همة » س : « إبداع » صوابهما فى ل والكتاب .

(٤) فيما عدا ل : « به إلا أحدهما » وأثبت ما فى ل وكليلة ودمنة .

(٥) فى باب (الأسد والثور) . انظر ص ٥٢ — ٥٣ من الكتاب .

(٦) فى كليلة ودمنة تأخير : « وفضل الفيل على الفيل » .

(٧) فى باب (الأسد والثور) انظر ص ٧٧ — ٧٨ من كليلة ودمنة .

(٨) فيما عدا ل : « تجمع » محرفة . وبدله فى كليلة ودمنة : « فإن لم يكن هذا » .

(٩) فيما عدا ل زيادة : « فيضرب به الفيل بأذنه فيهلك » وكلمة « المغتلم » لم ترد فى نسخة كليلة ودمنة . وأما هذه الزيادة فقد وردت فى موضع بعد هذا من كليلة =

[قال[١] : « ومَن لم يرضَ من الدُّنيا بالكَفاف الذى يُغْنيه ، وطمحت عيناه إلى ما فوق ذلك ، ولم ينظر إلى مايتخوّف أمامه ، كان مثله مثل الذباب الذى ليس يرضى[٢] بالشجر والرياحين حتى يطلب الماء الذى يسيل من أذن الفيل المغتلم ، فيضربه بأُذنه فيهلك »] .

وقال[٣] : « فأقام الجملُ مع الأسد حتى إذا كان ذاتَ يوم توجَّه الأسد نحو الصَّيد ، فلقِيَه فيلٌ فقاتلَه قتالاً شديداً ، وأفلتَ الأسدُ مُثْقَلاً يسيل دَمًا ، قد جرحه الفيل بأنيابه ، فكان لايستطيع أن يطلُبَ صيداً . فلبث الذئبُ والغرابُ وابنُ آوى أياماً لايجدون مايعيشون به من فضول الأسد » .

وقال[٤] : « وكيف يرجو إخوانُكَ عندك وفاءً وكرَمًا[٥] وأنتَ قد صَنَعت بملكك الذى كَرَّمك وشرَّفك ما صَنعتَ . بل مَثَلُك فى ذلك كما قال التاجر : إنَّ أرضًا يأكلُ جُرذانها مائةَ مَنٍّ من حديد ، غيرُ مستنكَر أن تخطِف بُزاتها الفِيَلة » .

= ودمنة فى ص ٧٨ - ٧٩ فى كلام آخر نصه : « كان كالذباب الذى ليس يرضى بالشجر والرياحين حتى يطلب الماء الذى يسيل من أذن الفيل المغتلم ، فيضربه الفيل بأذنيه فيقتله » . وسيأتى فى التكملة التالية .

(١) انظر ص ٧٨ - ٧٩ من باب الأسد والثور .

(٢) فى الأصل : وهو هنا ل : « لم يرض » ، وأثبت ما فى كليلة ودمنة .

(٣) من باب الأسد والثور ص ٧٩ - ٨٠ .

(٤) فى باب الأسد والثور ص ٩٤ .

(٥) فيما عدا ل : « وكيف يرجو إخوانك عندنا كرماء » ، تحريف ونقص . وفى كليلة ودمنة : « وكيف يرجو إخوانك وفاءك لهم » .

[قال(١)] : « وقال الجرذُ للغراب : أشدُّ العداوةِ عداوةَ الجوهر. وعداوةُ الجوهر عداوتان ، منها عداوة متجازِيَة(٢) كعداوة الفيل والأسد، [فإنّه] ربّما قتل الفيلُ الأسد ، وربّما قتل الأسدُ الفيل . ومنها عداوةٌ إنما ضرَرُها من أحد الجانبين [على الآخر] كعداوة ما بيني وبين السنّور ، فإنّ العداوة بيننا ليست لضرٍّ منّي عليه ، ولكن لضرٍّ منه عليّ » .

وقال(٣) : « إن الكريم إذا عَثَر لم يستعنْ إلا بالكريم ، كالفيل إذا وَحِل لم يستخرجْه إلا الفيلة » .

(ضروب العداوات)

وسنذكرُ عداوة الشيطان للإنسان ، [والإنسان للشيطان : وهما عداوتان مختلفتان ــ وعداوة الله للكافر ، وعداوة الكافر لله ، وهاتان العداوتان غير تينك ، وهما في أنفسهما مختلفتان ، وهما والتي قبلها مخالفة لعداوة العقرب للإنسان] ، وعداوةُ العقرب مخالفةٌ لعداوة الحيّة ، [وعداوة الإنسان لهما مخالفة لعداوة كلٍّ منهما للإنسان] ، وعداوة الذئب والأسد

---

(١) انظر باب (الحمامة المطوقة) ص ١٢٩ ــ ١٣٠ .

(٢) فيما عدا ل : « متجاورة » تحريف . وفي كليلة ودمنة : « منها عداوة من يجتزيان » . وفي نظم كليلة ودمنة لابن الهبارية المسمى « نتائج الفطنة » ص ١٢٩ :

« وهو التجازي لاسواه إنما ماجانب الفرد يصير لازما »

(٣) من باب الحمامة المطوقة ص ١٤٢ .

[والأسد] والإنسان خلاف عداوة العقرب والحية ، وعداوة النمر للأسد والأسد للنمر مخالفةٌ لجميع ما وصفنا. ومسالمة البَبر للأسد غير مسالمة الخنفساء والعقرب . وشأن الحيات والوزغِ خلافُ شأنِ الخنافس والعقارب . وعداوة الإنسان للإنسان خلافُ عداوة ذلك كلِّه . وابن عِرْس أشدُّ عداوةً للجُرذان من السنَّور . وعداوةُ البعير للبعير ، والبرذون للبرذون والحمار للحمار شكل واحد . وعداوة الذِّئب للذئب خلاف ذلك . والشَّاةُ أشدُّ فَرَقا منه منها من الأسد والنمر والببر ، وهى أقوى عليها من الذِّئب . وفَرَق الدَّجاج من ابن آوى أشدُّ من فَرَقها من الثَّعلب . والحمام أشدُّ فرَقاً من الشاهين منه من الصَّقر والبازى .

(عداوات الناس)

وأسباب عداوات النَّاس ضروبٌ : منها المشاكلة فى الصناعة ، ومنها التقارُب فى الجِوار ، ومنها التقارب فى النَّسب . والكثرة مِن أسباب التَّقاطع فى العشيرة والقبيلة ، والسَّاكن عدو للمُسْكِن ، والفقير عدوٌّ للغنى وكذلك الماشى والراكب ، وكذلك الفحل والخصىّ ؛ و « بَغْضاء السُّوَق موصولةٌ بالملوك » ، وكذلك [المعتق عن دُبُر[1]] ، والموصَى له[2] بالمال الرغيب ، وكذلك الوارث والموروث . ولجميع هذا تفسيرٌ ولكنه يطول .

---

(١) س : « وكذلك المعين » وباقى التكملة من ل . والمعتق عن دبر ، هو ما يسميه الفقهاء : « المدبر » ، وهو الذى تعلق حريته بموت مالكه ، يقول له : أنت حر بعد موتى .

(٢) فيما عدا ل : « الوصلة » ، محرفة .

(عداوات الحيوان)

وذكر صاحب المنطق عداوةَ الغرابِ للحمار . والنَّحويون ينشدون فى ذلك ٣١
قولَ الشَّاعر :

عاديتَنَا لازِلْتَ فى تَبابِ[1] عَــدَاوَةَ الحِمارِ للغُرَابِ

[ولا أدرى من أينَ وقعَ هذا إليهم] .

وذكر أيضاً عداوةَ البُوم للغراب[2] ، وكذلك عصفور الشَّوك للحمار :
وفى هذا كلامٌ كثيرٌ قد ذكرنا بعضه فى أوّل كتابنا [هذا] من الحيوان[3] .

(نصوص من كليلة ودمنة)

ثم رجعنا إلى الإخبار عن الأمثال .

قال[4] : وأكيس الأقوام[5] مَن [لا] يلتمس الأمر[6] بالقتال
ماوجد عن القِتال مَذهبا[7] ؛ فإن القتال إنما النفقة فيه من الأنفس[8] ،

---

(١) التباب : الهلاك . ل : « عاديتنى » . والرجز مضى فى (٢ : ٥٢ / ٣ : ٤٥٨) برواية : « عاديتنا » .

(٢) ل : « والغداف » . والغداف : ضرب من الغربان .

(٣) انظر لعداوة عصفور الشوك للحمار مامضى (٢ : ٥١ - ٥ : ٢٢٥) .

(٤) انظر ماسبق فى ص ٩٢ . والنص التالى من باب البوم والغربان فى كليلة ودمنة ص ١٥٠ .

(٥) فيما عدا ل : « القوم » ، وما أثبت من ل يطابق مافى كليلة ودمنة .

(٦) فيما عدا ل : « الأمن » : صوابه فى ل وكليلة ودمنة .

(٧) فى كليلة ودمنة : « من لم يكن يلتمس الأمر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلا » .

(٨) فيما عدا ل : « فإنما القتال النفقة فيه من الأنفس » .

وسائر الأشياء إنما النَّفقة فيها من الأموال . فلا يكوننَّ[1] قتالُ البوم من رأيك ، فإنَّ من يُرَاكل الفيل يُرَاكل الحَيْن[2] .

قال[3] : فأجابه الجرذ فقال : إنّه رُبَّ عداوةٍ باطنةٍ ظاهرُها صداقة[4] ، وهى أشدُّ ضَرَرًا من العداوة الظاهرة[5] ، ومن لم يَحترسْ منها وقَعَ موقِعَ الرَّجُلِ الذى يَركب نابَ الفيل المغْتَلِم ثمَّ يغلبُه النُّعاس .

قال[6] : واعلم أنَّ كثيراً من العَدوّ لايستطاع بالشدَّةِ والمكابرة[7] حتّى يُصادَ بالرِّفق والملاينة ، كما يصاد الفيل الوحشىُّ بالفيل الأهلىّ[8] .

وقال[9] : إنَّ العُشب كما رأيتَ فى اللِّينِ والضَّعف ، وقد يُجْمَعُ[10] منه الكثيرُ فيصنع منه الحبلُ [القوىُّ[11]] الذى يوثق به الفيل المغتلم .

[قال] : وقالوا : نريد أحبَّ بَنيك إليك[12] ، وأكرمهم عليك ،

---

(١) فيما عدا ل : «يكون» ، وما أثبت من ل يطابق كليلة ودمنة .

(٢) المراكلة : مفاعلة من الركل ، وهو الضرب بالرجل . ط ، هـ : « يؤاكل » س وكليلة ودمنة : « يواكل » من الأكل . وفى نظم ابن المبارية :

فإن من واكل فيلا هائلا فللبلاء والشقاء واكلا

(٣) انظر باب السنور والجرذ ص ٢٣٤ من كليلة ودمنة .

(٤) بعدها فيما عدا ل : « قال » ، وهى كلمة مقحمة .

(٥) ل : وكليلة ودمنة : « أشد ضرا » ل : « من عداوة الظاهر » .

(٦) انظر ص ٢٤٠ من (باب الملك والطير فبرة) فى كليلة ودمنة .

(٧) كذا فى ل وكليلة ودمنة . وفى ط ، س : « والمكايدة » ، هـ : « والمكابدة » .

(٨) فى كليلة ودمنة : « بالفيل الداجن » .

(٩) انظر ص ٢٥٥ من باب الأسد وابن آوى فى كليلة ودمنة .

(١٠) فيما عدا ل : وكليلة ودمنة : « يجتمع » .

(١١) هذه الكلمة من كليلة ودمنة .

(١٢) انظر ص ١٩١ من باب إيلاد وإيراخت من كليلة ودمنة . ط : « ربيبك » س ، هـ : « ربيك » ، والوجه ما أثبت من ل . وفى كليلة ودمنة : « من تريدون ؟ قلنا له : إيراخت امرأتك وابنها جوير ، وابن أخيك ، وإيلاد صاحب أمرك » .

ونريد[١] كال الكاتب[٢] صاحب سرك[٣] ، والسيف الذى لايوجد مثله[٤] ، والفيل الأبيض الذى لاتلحقه الخيل [الذى] هو مَرْكبُكَ فى القتال ، ونريد[٥] الفيلين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذَّكَر .

(الفيلة فى الحروب)

وقد سمعنا فى هذا الحديثَ والأخبارَ عن أيام القادسيَّة[٦] ويوم جسر مِهْرَان[٧] ، وقُسِّ النَّاطف[٨] ، وجَلولاء ، ويوم نَهاوَند ، بالفيل الأبقع ، والفيل الأسود ، والفيل الأبيض . والناس لم يَرَوْا بالعراق فِيلاً أَوْبَرَ ، ولا فيلاً أشْعَرَ .

---

(١) ط : « ويريبك » س ، ه : « يربيك » ، صوابهما فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « اكتب الكتاب » بدل « كال الكاتب » . وانظر تعليق الدكتور عزام فى حواشى كليلة ودمنة ص ٢٩٧ .

(٣) فى كليلة ودمنة : « كاتبك ولسانك » .

(٤) هذه العبارة ليست فى كليلة ودمنة . وقد أحسن الجاحظ فى تتبعه المواضع التى ذكر فيها الفيل فى كتاب كليلة ودمنة .

(٥) القادسية : بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال . وكان يوم القادسية بين سعد بن أبى وقاص والمسلمين والفرس فى أيام عمر بن الخطاب فى سنة ١٦ من الهجرة . وكانت القادسية أربعة أيام : أولها أرماث والثانى يوم أغواث ، والثالث عماس ، والرابع القادسية . وكان الفتح للمسلمين ، ولم يقم للفرس بعده قائمة . انظر ياقوت وكتب التاريخ فى سنة ١٦ . وفيما عدا ل : « يوم القادسية » .

(٦) مهران : نهر بالسند .

(٧) قس الناطف : موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقى ، كانت به وقعة بين الفرس والمسلمين فى سنة ١٣ فى خلافة عمر بن الخطاب ، وأمير المسلمين أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمرو الثقفى . وكان النصر للفرس ، ويعرف هذا اليوم أيضا بيوم الجسر .

(الفيلة المستأنسة)

والفيلة التى كانت مع الفرس ، حُكمُها حكمُ الفِيَلة التى كانت عند[١] أمير المؤمنين المنصور ، وعند سائر الخلفاء [من بَعدِه] ، وكلها جُردٌ مُغَضّبة[٢] ، ولم نلْقَ أحداً رآها وحشيّةً قبل أن تصير فى القُرَى والمواضع التى يذكرها[٣] .

(تبدل حال الحيوان إذا أخرج من موطنه)

وقد علمنا[٤] أنّ الطائر الصَّيود من الجوارح ، لو أقام فى بلاده مائة عام لم يحدُثْ لمنسره[٥] زوائد ، وعَيْرَ العانة إذا أقام فى غير بلاده احتاجَ إلى الأخذ من حافره ، وإلى أن يُخْتَلَف به إلى البَيطار[٦] ، والطائر الوحشىّ من هذه المغنِّيات والنوائح ، لو أقام عندنا دهراً طويلاً لم يُصَوِّتْ إذا أخذناه وقد كرِّز[٧] . وكذلك المزاوجة والتعشيش والتَّفريخ .

---

(١) فيما عدا ل : « مع » .

(٢) مغضبة ، من التغضيب : وليس فى المعاجم . وهو من الغضاب : وهو الجدرى . وكلمة « جرد » فى ل فقط . ط ، س « معصمة » ه : « مغصمة »

(٣) ط ، ه : « تنكرها » س : « ينكرها » ، صوابهما فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « فقد » .

(٥) فيما عدا ل : « بمنسره » .

(٦) ط ، س : « إلى من يختلف به إلى البيطار » .

(٧) كرز الطائر ، بالبناء للمجهول : إذا سقط ريشه . فيما عدا ل : « لو أقامت عندنا دهرا طويلا لم تصوت إذا اتخذناها وقد كبرت » .

(التكاثر بالفيلة)

[قال] : وكلُّ مَلكٍ [كان] يصلُ إلى أن تكون عنده فِيَلة فإنّه[1] كان لايَدَعُ الاستكثار منها والتجمل بها[2] ، والتّهويل بمكانها عنده ، ولا يَدَعُ ركوبَها في الحروب ، وفي الأعياد ، وفي يوم الزِّينة . ٣٢

(الفيل في الشعر)

و [قد] كانت عند حِمير والتبابعة والمقَاول والعباهلة[3] من ملوكهم ، وأبي اليكسوم من ملوك الحبشة[4] ، وعند ملوك سبأ ، مقرَّبة مكرَّمة . يدلّ على ذلك الأشعارُ المعروفة ، والأخبارُ الصحيحة . ألا ترى أن الأعشى ذكر مأرِب[5] وملوك سَبأ وسَيلَ العرِم ، فقال[6] :

---

(١) فيما عدا ل : « الفيلة فإن » ، محرف .

(٢) ل : « الاستكبار منها » ط ، هـ : « الإكثار منها » ، وفيما عدا ل : « والتجمل منها » .

(٣) العباهلة : هم ملوك اليمن الذين أقروا على ملكهم لايزالون عنه . فيما عدا ل : « والعاهلة » تحريف .

(٤) أبو اليكسوم : بتقديم الياء على الكاف ، كنية أبرهة الملك الحبشي صاحب الفيل الذي وجه لهدم الكعبة . وفي السيرة ص ٤١ جوتنجن : « فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة ، وبه كان يكنى » . وقال لبيد :

لو كان حي في الحياة مخلدا   في الدهر ألفاه أبو يكسوم

يعني أبرهة . ط ، ل : « والكيسوم » س ، هـ : « واليكسوم » ، صوابهما « أبو اليكسوم » فإنه هو الذي يعنيه الجاحظ .

(٥) فيما عدا ل : « وقال الأعشى لما ذكر حضرموت » ، محرف .

(٦) انظر الأبيات في ديوان الأعشى ص ٢٤٥ ، والسيرة ٩ جوتنجن ، ومعجم البلدان (مأرب) .

فى ذاك للمؤتسِى أُسْوَةٌ ... ومأرِبُ عَفَّى عليها العَرِمْ

رخَامٌ بنَتْه له حِمْـيَرٌ ... إذا جاء ماؤُهُمُ لم يَرِمْ [١]

فأروى الحروثَ وأعنابَها ... على ساعة ماؤهم قد قسِم [٢]

وطار الفُيُولُ وفَيَّالهــا ... بتَيْهَاءَ [٣] فيها سَرابٌ يَطِمّ [٤]

وكان الأقيبِل [٥] القينىّ مع الحجاج يقاتل ابنَ الزُّبير ، فلما رأى البيتَ يُرْمَى بالمنجنيق أنشأ يقول :

ولم أرَ جَيْشًا غُرَّ بالحجِّ قبلنا [٦] ... ولم أرَ جَيْشًا مِثْلَنَا كلُّهم خرِس [٧]

دَلَفْنَا لِبَيْتِ اللهِ نَرْمِي سُتُورَه ... بأحجارِنَا نَهْبَ الولائد للعُرْسِ [٨]

دَلَفْنَا لهمْ يَوْمَ الثلاثاءِ مِنْ مِنًى ... بجيش كصَدْرِ الفيلِ ليس له رأسُ [٩]

فلما فزِعَ وعاذ بقبر مروان [١٠] ، وكتبَ له عبدُ الملك كتابا إلى الحجَّاج يخبره فيه ، وفوَّض الأمرَ إليه ، قال [١١] :

---

(١) لم يرم : لم يبرح . ط ، هـ « رجام » صوابه فى ل : س والسيرة والديوان والمعجم . فيما عدا ل : « بنته لنا » وفى السيرة والمعجم والديوان : « لهم » .

(٢) فيما عدا ل : « فأردى الحروث وأعيانهم » ، محرف . وفى الديوان والسيرة : « على سعة ماؤهم » .

(٣) التيهاء : المفازة . ط ، س : « بتيماء » هـ : « بينا » صوابهما فى ل . وفى الديوان والمعجم : « بيهماء » .

(٤) طم السراب : ارتفع وعلا كما يرتفع الماء .

(٥) سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٥٣) . فيما عدا ل : « وكان العتبى » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « بالحج مثلنا » .

(٧) العرس ، بالضم وبضمتين : طعام الوليمة فى الزواج . ل : « فى العرس » هـ : « للمرس » وهذه محرفة ، وفى هذا البيت إقواء .

(٨) فيما عدا ل : « دلفناهم » ، محرفة .

(٩) فيما عدا ل : فلما فرغ وعاد تغيب مروان » ، صوابه فى ل والمؤتلف ٢٣ .

(١٠) فى المؤتلف ٢٤ : « فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يعرض له وجعله فى ذمته » . فلعل الوجه : « يجيره فيه » .

(١١) فيما عدا ل : « فقال » .

وقد علمتُ لو أنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنِى — أَنَّ انْطِلاَقِى إلى الحجَّاج تغريرُ
مُستَحْقِبًا صُحُفًا تَدْمَى طَوَابعُها — وفى الصَّحائفِ حَيَّاتٌ مَناكيرُ
لئنْ رَحَلتُ إلى الحجَّاج معتذِرًا — إنِّى لأَحْمَقُ مَنْ تَخْدِى به العِيرُ (١)

(لسان الفيل)

وكلُّ حيوانٍ فى الأرض ذو لسانٍ فأصْلُ لسانِه إلى داخل ، وطرفه إلى خارج ؛ إلاّ الفيل ، فإنّ طَرَفَ لسانه إلى داخل ، وأصلَه إلى خارج .

(بعض خصائص الحيوان)

وتقول الهند : إنّ لسان الفيل مقلوب ، ولولا أنّه مقلوب ثمَّ لقن الكلامَ لتكلم (٢) .

وكلُّ سمكٍ يكون فى الماء العذْب فإنّ له لساناً ودِماغا ، إلاّ ما كان منها فى [الماء] الملح ، فإنّه ليس لسمك البحر لسانٌ ولا دِماغ .

وكلُّ شىءٍ يأكل بالمضغ دون الابتلاع فإنّه إنما يحرِّك فكه الأسفلَ ، إلاّ التمساح فإنّه إنّما يحرِّك فكّه الأعلى .

وكلُّ ذى عينٍ من ذوات الأربع من السِّباع (٣) والبهائم الوحشية والأهلية ، فإنما الأشفار لجفونها الأعالى إلاّ الإنسان ، فإنّ الأشفار الأعالى والأسافل . ٣٣

وكلُّ حيوانٍ ذى صَدْرٍ فإنَّه ضيِّق الصَّدْر ، إلاّ الإنسانَ فإنّه واسعُ الصَّدْر

(١) فيما عدا ل : « تجرى » ، وفى المؤتلف والحيوان (٤ : ٢٠٤) : « تحدى » .
(٢) فيما عدا ل : « تـكلم » .
(٣) فيما عدا ل : « والسباع » .

وليس لشيء من ذُكورةِ جميع الحيوان [وإناثها] ثدىٌ فى صدره إلا الإنسان والفيل[١] . وقال ابن مُقبل :

وليلةٍ مثل ظَهْرِ الفِيلِ غُبَّرُها طُلْسُ النُّجُوم إذا اغبرَّ الدياميمُ[٢]

(ضخم الفيل وظرفه)

والفيل أضخم الحيوان[٣] وهو مع ضِخَمه أملَحُ وأظْرَف وأحْكَى[٤] وهو يفوق فى ذلك كلَّ خفيفِ الجسم ، رشيق الطبيعة .

وإنّما الحكايةَ من جميع الحيوان فى الكلب والقِرد والدُّبّ والشاة المكّيّة[٥] . وليس عند الببْغاء إلاَّ حكايةُ صورِ الأصوات ، فصار مع غلظه [وضِخَمه] وفخامته أرشقَ مَذهباً[٦] ، وأدقَّ ظرفا ، وأظهرَ طرَبا . وهذا[٧] من أعجب العَجَب . وما ظنُّكم بِعِظَم خَلْقٍ ربّما كان فى نَابَيْهِ[٨] أكثر من ثلاثمائة مَنٍّ[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : « وليس شيء من ذكور الحيوان له ثدى فى صدره إلا الإنسان والفيل » .

(٢) غبرها ، بضم أوله وتشديد الباء ، أى بقيتها ؛ وغبر كل شيء : بقيته . وفى الأصل : « غيرها » محرفة . طلس النجوم ، أى نجومها طلس ، والطلسة ، غبرة إلى سواد .

(٣) ط ، ﻫ : « حيوان » .

(٤) أى أكثر حكاية . وفيما عدا ل : « وأخطر » ، محرفة .

(٥) انظر ما سبق فى (٢ : ١٧٩ / ٥ : ٢٨٧ / ٦ : ٣١٦) .

(٦) فيما عدا ل : « ذهبا » .

(٧) فيما عدا ل : « فهذا » .

(٨) فيما عدا ل : « نابه » ، تحريف . وانظر ما سيأتى فى ص ١١٧ .

(٩) المن ، ويقال أيضا المنا : بالفتح والقصر : رطلان .

(أعظم الحيوان فى قول المتعصبين على الفيل)

فقال من يعارضهُم[١] : قد أجمعوا على أنّ أعظمَ الحيوان خَلْقًا السمكةُ والسرَطان . وحكَوْا عن عِظَم بعض الحيَّات ، حتى ألحقوه[٢] بهما ، وأكثروا فى [تعظيم] شأن التّنّين ؛ فليس لكم أنْ تدَّعُوا للفِيل ما ادّعيتم .

(رد صاحب الفيل على خصمه)

قال صاحبُ الهند والمعبِّرُ عن خصال الفيـل : [أمَّا الفيل] وعلوُّ سَمْـكه ، وعِظَم جُفْرته ، واتِّساع صَهْـوَته ، وطولُ خُرطومه ، وسعَـةُ أذنه وكِبر غُرموله ، مع خِفّة وطئه[٣] ، وطول عُمره ، وثقل حمله ، وقلة اكترائه لِما وُضع على ظهره ، فقد عايَنَ ذلك من الجماعات مَن لا يستطيعُ الردَّ عليهم إلاّ جاهلٌ أو مُعاند . وأمَّا ما ادّعيتم من عِظَم الحيَّة وأنّا[٤] متى مسَحْنا طولَها وثخنها ، وأخذْنا وَزْنَها كانت أكثرَ[٥] من الفيل ، فإنّا لم نَسْمَعْ هذا إلا فى أحاديث الرقّائين و [أكاذيب] الحوّائين ، وتزيُّد البحريين .

وأما التنِّين فإنّما سبيلُ الإيمان به[٦] سبيلُ الإيمان بِعَنْقَاءِ مُغْرِب . وما رأيتُ مجلِسا قطُّ [جَرَى] فيـه ذكر التنِّين إلاَّ وهم ينكرونه[٧]

(١) ط فقط : « يعارضه » .
(٢) فيما عدا ل : « وقد ألحقوه » .
(٣) فيما عدا ل : « مع خفته وطيشه » ، تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « فإنه » ، محرفة .
(٥) فيما عدا ل : « أكبر » .
(٦) فيما عدا ل : « فيه » .
(٧) فيما عدا ل : « خبر التنين إلا وهم ينكرون » .

ويكذّبون المخبر عنه ، إلاّ أنّا فى الفَرْط ربّما رأينا بعضَ الشاميّين يزعمُ أنَّ التِّنّين إعصارٌ فيه نار يخرج من قِبَل البحر فى بعض الزّمان ، فلا يمرُّ بشيءٍ إلاّ أحرَقه ، فسمّى ذلك ناسٌ « التِّنّين » ، ثمّ جعَلوه فى صورة حيّة .

وأما السَّرَطان فلم نرَ أحداً قطُّ ذكرَ أنّه عايَنَه ، فإنْ كنّا إلى قول بعض البحريّين نرجع ، فقد زَعَم هؤلاء أنّهم ربما قَرُبوا إلى بعض جزائر البحر[١] ، وفيها الغِياض والأَودية واللَّخَاقيق[٢] ، وأنّهمْ فى بعض ذلك أوقدُوا ناراً عظيمة ، فلما وصلَتْ إلى ظهر السرطان هَاجَ بهم[٣] وبكلِّ ماعليه من النّبات ، حتّى لم ينْجُ منهم إلا الشريد .

٣٤ وهذا الحديثُ قد طمَّ على الخُرافات والتُّرَّهات[٤] وحديث الخَلْوَة[٥] .

وأمّا السَّمك فلعمرى إنَّ السمكة التى يقال لهـا « البالُ » لفاحشة العظم[٦] . وقد عاينوا[٧] ذلك عياناً ، وقتلوه يقيناً . ولـكن احسَبوا[٨] أنَّ

(١) ل : « بعض الجزائر » .

(٢) اللخاقيق : جمع لخقوق ، بالضم ، وهو الشق والخد فى الأرض ، ومثله الأخقوق ، بالضم . ولم يعرفه الأصمعى إلا باللام . ل : « الأخافيق » وفيما عدا ل : « اللحاقيق » ، صوابهما ما أثبت وما نبهت عليه .

(٣) فيما عدا ل : « ساح بهم » .

(٤) الترهات : الأباطيل . فيما عدا ل : « التهورات » .

(٥) ل : « الخلق » .

(٦) فيما عدا ل : « الفاحشة » وفى ط : « البالسة » س ، هـ « البالينة » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « عاينا » محرفة . وفى ط : « فقد » .

(٨) ط فقط : « احسب » .

الشأن فى البال[١] على ما ذكرتم ، فهل علمتم[٢] أن فيه[٣] من الحسِّ والمعرفة ، واللَّقَن والحكاية ، والطَّرَبِ[٤] وحسن المؤاتاة[٥] وشدَّة القتال ، والتمهُّد[٦] تحتَ الملوك ، وغير ذلك من الخصال ، كما وجدنا ذلك وأكثر منه[٧] فى الفيل .

وهل رغبتْ فى صيده الملوكُ واحتالت له التجار[٨] ، أو تمنَّى الظَّفَرَ بأجزائه[٩] بعض الأطبَّاء . وهل يَصلح لدواءٍ أو غذاءٍ أو لبْس[١٠] ، إنّما غاية البحريِّين أنْ يسلَمُوا من عبثه إن هجموا عليه نائماً أو غافلا ، حتّى ينفر ويفزع وينبّه[١١] بقَرْعِ العصا ، واصطكاك الخشب .

وإنما قَدَّمْنا خصالَ الفيل على خِصال الحيوان الذى فى كفِّه ومنقاره الصنعةُ العجيبة ، أو يَكون فيه من طريف[١٢] المعرفة ، وغريب الحسِّ ، وثقوب البصر[١٣] ، أو بعض مافيه من الجمال والحُسْن ، ومن التفاريج ومن التَّحاسين ، والوشى والتلاوين[١٤] ، بالتأليف العجيب ، والتَّنضيد

(١) ط : « البالة » هـ ، س : « الباليئة » صوابهما فى ل .
(٢) ط : « عرفتم » .
(٣) فيما عدا ل : « فيها » .
(٤) فيما عدا ل : « والظرف » .
(٥) ط ، هـ : « المؤاتاة » بالهمز .
(٦) فيما عدا ل : « والتصمد » ، محرفة .
(٧) فيما عدا ل : « منه » ، تحريف .
(٨) فيما عدا ل : « صيدها » و « لها » .
(٩) فيما عدا ل : « أو حث على الظفر بأجزائها » .
(١٠) فيما عدا ل : « أو ليس » .
(١١) فيما عدا ل : « من عيثها نائمة أو غافلة حتى تفزع وتنفر » .
(١٢) فى الأصل : « من طوف » .
(١٣) س ، هـ : « نكوب » محرفة . ط : « نقوذ » ، وأثبت ما فى ل .
(١٤) فيما عدا ل : « والتساوى » .

الغريب ، أو بعض ما فى حنجرته[١] من الأصوات الملحَّنة ، والمخارج الموزونة ، والأغانى الدَّاخلة فى الإيقاع ، الخارجة من سبيل الخطأ ، ممَّا يجمع الطَّرَب والشَّجا ، ومما يفوق النوائح ويروق كلَّ مغنٍّ ، حتى يُضرب بحسن تخريجه [وصفاء صوتِه] وشجًا مخرَجه المثلُ ، حتى[٢] يشبَّه به صوتُ المزمار والوَتر .

وأما [بعض] مايُعرف بالمكر والحِيَل، والكَيْس والرَّوغان ، وبالفِطنة بالخديعة ، والرِّفق والتكسُّب ، والعلمِ بما يُعيشُه[٣] والحذَرِ ممَّا يُعْطِبُه[٤] ، وتأتِّيه لذلك وحِذقه [به] ؛ وأمَّا بعضُ مايكون فى طريق الثِّقافة يوم الثِّقافة[٥] [والبصر] بالمشاولة[٦] ، والصَّبر على المطاولة ، والعزم[٧] والرَّوغان والكرِّ والجَوَلان ، ووضْع تلك التدابير فى مواضعها[٨] حتى لاتردُّ له طعنة ولا تخطئ له وثْبة ، وأما بعضُ ما يُعرَف بالنّظر فى العاقبة[٩] وبإحكام شأن المعيشة[١٠] والأخذ لنفسه [بالثقة] ، وبالتقدُّم فى حال المُهْلة والادِّخار ليوم الحاجة ، والأجناسُ التى تدَّخر لأنفسها ليوم العجْز عن

---

(١) ط ، هـ : « وما فى خلقه » ، صواب هذه : « حلقه » . س : « صوته » محرفة . وأثبت ما فى ل .
(٢) ط فقط : « وحتى » .
(٣) فيما عدا ل : « يعنيه » .
(٤) فيما عدا ل : « والحذر بالمشاولة والصبر على المطاولة مما يعطبه » ، وفيه إقحام وتحريف .
(٥) ل : « الثقاف » .
(٦) المشاولة : المطاعنة بالرماح .
(٧) فيما عدا ل : « والقدم » ، محرف .
(٨) ط ، هـ : « موضعها » ط ، هـ : « حيث » س : « بحيث » .
(٩) فيما عدا ل : « والعاقبة » ، تحريف .
(١٠) فيما عدا ل : « شأن الحال والمعيشة » .

الطلب والتكسُّب ـ فَمِثْلُ الذَّرَّة ، والنملة ، والجُرَذ والفأرة ، وكنحو العنكبوت والنَّحل .

فإذا كان ليس للفيل إلا عِظَمَه وإن كان العظَم قد يدخل فى باب من أبواب المفاخرة ، فلا ينبغى لأحد أن يُنَاهِد[1] به الأبدانَ التى لها الخصال [الشَّريفة] ، ويناضلَ به ذواتِ المفاخر العظيمة . فما ظنُّكَ ببدنٍ قد جمع مع العِظَم من الخصال الشريفة ما يُفنِى الطَّوامرَ الكثيرة ، ويستغرق الأجلاد[2] الواسعة . وقد علمت أنَّ مِنْ[3] جَهْلِ هذه السمكة بما يُعيشُها ويُصْلِحُها أنَّها شديدةُ الطَّلب والشَّهوة لأكل العَنبر . والعنبرُ أقتَلُ للبال من الدِّفْلَى للدوابّ ، فإذا أصابوه ميِّتاً استخرجوا من جَوفه عنبراً كثيراً فاسداً .

٣٥

وما فيه من النفْع إلاّ أنّ دهنَه يَصْلُح لتمرينِ سُفُن البحرين[4] .

(تعصب غانم الهندى على الفيل)

فسمِعَنِى[5] غانمُ العبد يوماً وأنا أحكى هذا الكلامَ ، وكان مِنْ أمْوَقِ الناس وأرْقعهم رَقاعةً ، مع تِيهٍ شديدٍ وعُجْب ورِضاً عن نفسه ، وسُخْط على النَّاس . فمِن حُمْقه أنه هندىٌّ وهو يتعصَّب على الفيل ، فقال [لى] : ماتقول الهند فى الحوت الذى يحمل الأرض ، أليس أعمَّ نفعاً وأعْلَى أمراً ؟ قلت :

---

(١) المناهدة : المناهضة . وفى الأصل : « يشاهد » ، محرفة .
(٢) فيما عدا ل : « الجلود » .
(٣) ل ، ط : « من أن » ، صوابه فى س ، هو .
(٤) ل : « البحر » .
(٥) فيما عدا ل : « فرآنى » .

له : ياهالكُ ، إنَّ مدارَ هذا الكلام إنما يقع على الأقسام الأربعة من بين جميع الحيوان المذكورة فى الماء وفى الأرض وفى الهواء ، كالذى ينساح من أجناس [١] الحيَّات والدِّيدان ، وكالذى يمشى من الدوابّ والنَّاس ، وكالذى يَطير مِن أحرار الطير وبغاثها وخَشاشها وهَمَجها ، وكالذى يعوم كالسَّمك وكلِّ ما يعايش السمك .

فأمَّا الحوت الذى تكون الأرض على ظهره [٢] فقد علمْنا أنَّ فى الملائكة مَن هو أعظمُ من هذا الحوت مراراً . ولولا مكانُ مَن قد حضَرَنا لكان ممن لايستأهِلُ الجواب [٣] ، وهذا مقدارُ معرفته .

(قوة الفيل)

قالوا : والفيل أقوى مِن جميع الحيوان إنْ حُمِّل الأثْقال [٤] . ومن قوة عظْمه وعصَبِه [٥] أنّه يمرُّ خلفَ القاعد مع عِظَم بَدَنه ، فلا يشعر بوطئه ، ولا يُحسُّ بِمَرِّه [٦] لاحتمال بعض بدَنه لبعض . وهذه أعجوبةٌ أخرى .

(طول مدة حمل الفيلة)

وليس فى حوامل إناث الحيوان أطولُ مدَّةَ حبَل [٧] من الفيل

(١) فيما عدا ل : « من جميع » .

(٢) فيما عدا ل : « يكون على وجه الأرض » ، محرف .

(٣) ط ، س : « يتساهل » هـ : « يساهل » ، صوابهما فى ل . وفى ط هـ : « بالجواب » محرف .

(٤) ط : « فى حمل الأثقال » .

(٥) فيما عدا ل : « وعظمه » ، محرف .

(٦) س ، هـ « سيره » ط : « بسيره » .

(٧) فيما عدا ل : « حمل » .

والكركَدَّن ، فإنه مذكورٌ فى هذا الباب ، والفيلُ يزيد عليه فى قول بعضهم[١] .

فأمَّا الهِنْدُ ففتنتهُم بالكركدَّن أشدُّ مِن فِتنتهم بالفيل .

فأما ما كان دون ذلك من أجناس الحيوان فأطولها حملاً الحافر والخفّ ، ولا يزيدان على السَّنَة إلا أن تُسحَب الأنثى وتُجرَّ[٢] أيَّاما .

فأمَّا الظِّلف فعلى ضربين ، فما كان منها من البقر فإنّ مدَّة حَمْلها وحمل النساء[٣] تسعة أشهر ، وما كان من الغنم فإنّ حملها خمسةُ أشهر .

وقد ذكرنا [حال] أجناس الحيوان فى ذلك فيما سلف من كتابنا هذا .

(صولة الفيل)

قالوا : والفيلة هَوْلها فى العين ، فاحْذَر أنْ تتخذ ظهورها[٤] كالمناظر والمسالح والأرصاد .

وللفيل قتالٌ وضرب [بخرطومه]، وخَبْطٌ بقوائمه . وكانت الأكاسرة ربما قتلت الرَّجلَ بوَطْءِ الفيلة ، [وكانت] قد درّبت على ذلك وعُلِّمَتْه ، فإذا ألقوا[٥] إليها الرّجل تركت العلَف وقصدَتْ نحوه فداسَتْه . ولذلك أنشد

(١) فيما عدا ل : « فى بعض قوته » .

(٢) فيما عدا ل : « وتزيد » .

(٣) فيما عدا ل : « السمكة » .

(٤) فيما عدا ل : « واحد وإن فتحت ظهورها » ، لكن فى س : « وإن قبحت » .

(٥) فيما عدا ل : « ألق » .

٣٦ العباس[1] بن يعقوب العامرىّ ، لناهِض بن ثومة[2] العامرى قوله :

أنا الشّاعرُ الخطّارُ مِن دون عامرٍ ... وذو الضَّغْم إذْ بعضُ المحامين ناهشُ[3]

بخبطٍ كخَبْط الفيلِ حتى تركته ... أمِيماً به مُسْتَدْمِياتٌ مَقارشُ[4]

وأنشد الأصمعى وأبو عمرو لتميم بن مقبل[5] :

بنى عامر ما تأمُرُون بشاعر ... تَخَيَّرَ آياتِ الكتاب هِجائيا[6]

أأعفُو كما يعفُو الكريمُ فإنّنى ... أرَى الشّعب فيما بينَنا متدانِيا

أمَ اخبِطُ خبْطَ الفيل هامةَ رَأسِه ... بِجَرْدٍ فلا أُبقِى مِن الرأس باقيا[7]

(بعض من رمى تحت أرجل الفيلة)

وكانت الأكاسرة — وهى الكُسُور[8] — تؤدِّبها وتعوِّدها وطْءَ الناس وخَبْطهم إذا أُلقِىَ تحت قوائمها بعضُ أهلِ الجنايات ، فكان ممنْ رُمِىَ

(١) فيما عدا ل : « أبو العباس » .

(٢) ل : « نومة » ، فيما عدا ل : « بوصة » : صوابه ما أثبت من القاموس (مادة نهض) .

(٣) ل : « المحابين ناهس » ، محرف .

(٤) الأميم : الذى بلغت طعنته أم الدماغ . ل : « مستدميان مفارس » ، تحريف . وفيما عدا ل : « مفارش » صوابه بالقاف كما أثبت ، يقال أقرشت الشجة فهى مقرشة إذا صدعت العظم ولم تهشم .

(٥) فيما عدا ل : « وأبو محمد لتميل بن مقبل » ، تحريف . والأبيات فى العمدة (٢ : ١٣٦) .

(٦) ط : « يحبر بآيات » س : « يحير بآيات » هـ : « يخير بآيات » ، صوابه فى ل والعمدة . وفى اللسان (بوب) : « تخير بابات » . وفسر البابات بأنها السطور .

(٧) الجرد : أخذ الشىء عن الشىء عسفا وجرفا . وفى س : « بحرد » والحرد : « الغضب » . وفى العمدة : « بجرد روى يقط النواحيا » . فيما عدا ل : « من الريش » ، محرف .

(٨) الكسور : جمع كسرى ، كما سبق فى (٤ : ٣٧٧) .

به تحتَ أرجل الفِيَلة النُّعمانَ بن المنذر . وقال في ذلك الشاعر :

إنّ ذا التّاجِ لا أبا لَكَ أضْحَى ... وَذَرَى بَيْتِهِ بِجَوْزِ الفُيُولِ (١)

إنّ كِسْرَى عَدَا على الملك النُّعْـمَانِ حَتَّى ... سقاه أمَّ البَليلِ (٢)

(كتاب ملك الصين)

وذكر الهيثم بن عدىّ ، عن أبي يعقوب الثّقفىّ ، عن عبد الملك بن عمير قال : رأيت في ديوان معاوية [بعد موته] كتاباً مِنْ ملك الصين [فيه : « من ملك الصِّين] الذى على مَرْبِطه ألفُ فيل ، وبُنيت داره بلبِن الذهب والفضة ، والذى تخدمه بناتُ ألفِ ملكٍ ، والذى له نهرانِ يسقيان الألُوّة (٣) . إلى معاوية » .

قالوا : ولمّا أراد كِسرى قتلَ زيوشت (٤) المغنِّى ، لقتله فهلبذ (٥) المغنى ، وأمر أن يرمى [به] تحت الفيلة [وقال : قتلتَ أحسنَ النّاس غِناءً ، وأجودَهم إمتاعاً للملِك ، حسداً له . فلمّا سحبوه نحو الفيلة] التفت إلى كسرى وقال : إذا قتلتَ زيوشت المغنى ، وقد قتل زيوشت فهلبذ فمن يُطربك (٦) ، فقال كسرى : المدة التى بقيت لك [هى (٧)] التى أنطقَتْكَ ، خلُّوا سبيله .

---

(١) ل : « نحور الفيول » .

(٢) أم البليل ، من كنى الداهية ، كما فى مقاييس اللغة لابن فارس (١ : ٢٦) .

(٣) الألوة : العود الذى يتبخر به . أراد يسقيان منابته . ط : « ينشقان اللؤلؤ » هـ ، س : « ينشعان اللؤلؤ » ، صوابهما فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « روشك » فى جميع المواضع .

(٥) ط ، هـ : « فلهوذ » س : « فلهيد » ، وأثبت ما فى ل .

(٦) ل : « مطربك » .

(٧) هذه من ل ، هـ .

(تأديب الهند الفيلة)

وقال صفوان بن صفوان الأنصاريّ ، وكان عند داود بن يزيد بالمولتان[١] : الهند تؤدّب الفيلة بأنواع[٢] من التّأديب ، وبضروب من التقويم ، فمنها آدابُ الحروب[٣] ، حتى ربّما ربَطُوا السّيف [الهُذَام[٤]] الرّغيب ، الشّديد المتن ، الحديد الغرْب ، التّام الطول[٥] ، الطّويل السّيلان[٦] ، فى طرَف خُرطوم الفيل ، وعلموه[٧] كيف يضرب به قُدُمًا ، يمينًا وشمالا[٨] ، وكيف يرفعُه بخرطومه حتى يكونَ فوقَ رؤوس الفَيّالين القعودِ على ظهره .

(شعر هارون فى الفيل)

قال : وأنشدنى هارون بن فلان[٩] المولى ، مولى الأنصار ، قصيدته التى ذكر فيها خروجَه فى الحرب إلى فيلٍ فى هذه الصفة ، فمَشى إليه ، فلما كان حيثُ ينالُه السّيفُ وثَبَ وَثْبَةً أعجلَه بها عن الضّربة ، ولصق[١٠] بصدْر الفيل ، وتعلّق بأُصول نابيَه ــ وهما عندهم[١١] قرناه ــ فجال به الفيلُ

٣٧

---

(١) فيما عدا ل : « المرزبان » . والمولتان : بلد بالهند .

(٢) ل : « بأشكال » .

(٣) فيما عدا ل : « ويدربونهم على أنواع آداب الحروب » .

(٤) الهذام ، كغراب : القاطع . فيما عدا ل : « اللهذم » . واللهذم ، بالفتح : الحاد .

(٥) فيما عدا ل : « الصقل » .

(٦) سيلان السيف : ما يدخل فى نصابه .

(٧) فيما عدا ل : « وعلمن » .

(٨) فيما عدا ل : « قداما ويمينا وشمالا » .

(٩) كذا ، وفى نهاية الأرب (٩ : ٣٠٤) : « هارون بن موسى » .

(١٠) ل : « ولزق » .

(١١) فيما عدا ل : « عنده » .

جوْلة كاد يحطِمُه مِن شدَّة ما جال به ، وكان رجلاً شديد الَخلْق ، رابط الجأش . قال : فاعتمدتُ وأنا فى تلك الحال ــ وأصولُ الأنياب جُوف ــ فانقلعا من أصلِهما ، وأدبَرَ الفيلُ ، وصار القرنان فى يَدَىَّ ، وكانت الهزيمة وغَنِم المسلمون غنائمَ كثيرة . وقلت فى ذلك :

مشيتُ إليه وادعاً متمهِّلا ... وقد وصَلُوا خُرطومَه بُحسَامِ

فقلتُ لِنفسى : إنّه الفيلُ ضاربٌ ... بأبيضَ مِن ماءِ الحديد هُذَامِ[1]

فإنْ تَنْكلى عنْه فعذْرُكِ واضحٌ ... لَدَى كلِّ منخُوب الفُؤَادِ عَبامِ[2]

وعندَ شُجاع القومِ أكلفُ فاحمٌ ... كظُلمة لَيْلٍ جُلِّلت بقَتامِ[3]

فناهَشْتُه حَتى لَصِقتْ بصدْره ... فلما هوى لازَمْتُ أىَّ لِزَامِ[4]

وَعذْتُ بِقرْنَيْهِ أُرِيدُ لَبَانَهُ ... وذلك مِن عادات كلِّ محامِى[5]

فجَال وهِجِّيراهُ صوتُ مُخَضْرَمٍ ... وَأُبْتُ بقرْنَىْ يَذبُلٍ وشَمامِ[6]

وقال هارون :

ولمَّا أتانى أنَّهُم يَعقِدُونه ... بقائمِ سَيفٍ فاضِلِ الطُّول والعَرضِ[7]

مَرَرتُ ولم أحْفِلْ بذلك منهمُ ... إذا كان أنفُ الفيلِ فى عَفَر الأرضِ[8]

---

(١) الهذام : القاطع ، كما سبق فى ص ١١٤ .

(٢) العبام ، بالفتح : العيى الأحمق .

(٣) ل : « خللت بقتام » .

(٤) فيما عدا ل : « فما هو أن لازمت » ، محرف .

(٥) عذت : لجأت . وفى الأصل : « فعدت » بالعين المهملة . والقرنان ، عنى بهما نابيه ، كما تقدم الكلام عليه قبل الشعر . فيما عدا ل : « ابانة » وإنما هى « لبانه » بمعنى صدره .

(٦) فيما عدا ل : « فحال » . والمخضرم : المقطوع نصف أذنه . ويذبل وشمام : جبلان . وفيما عدا ل : « بشام » محرفة .

(٧) ط ، س : « يحتدونه » ، ه : «يفتدونه» ، صوابهما فى ل .

(٨) ل : « سررت » بدل « مررت » .

وحين رأيتُ السَّيفَ يَهتزُّ قائماً ... ويَلمعُ لَمعَ الصُّبْحِ بالبَلَدِ المفْضِي [١]

وصارَ كمخراقٍ بِكَفٍّ حَزَوَّرٍ ... يُصَرِّفه في الرَّفع طوراً وفي الخفْضِ [٢]

فأقبلَ يَفري كلَّ شيءٍ سَما لَهُ ... وصرتُ كأنِّي فوقَ مَزْلَقَةٍ دَحْضِ [٣]

وأهوى لجارِي فاغتنمْتُ ذُهولَهُ ... فلاذَ بقرنيه أخو ثقةٍ محضُ [٤]

فجال وجَالَ القَرْنُ في كفِّ ماجدٍ ... كثيرِ مِراسِ الحربِ مجتنبِ الخفْضِ [٥]

فطاحَ وَوَلّى هارباً لا يَهِيده ... رطانةُ هِنديٍّ برفعٍ ولا خفضِ [٦]

(نابا الفيل)

والهندَ تزعمُ أنّ نابَي الفِيل يخرجان مستبطِنين حتى يخرِقا الحنك ويخرجا أعقَفين ، وإنما يجعلهما نابين مَن لايفهمُ الأمور . قالوا : والدَّليل على ذلك أنّ لهما أصلين في [موضع] مخارج القرون ، يُوجَد ذلك عند سَلْخ جلده ، ولأنّ القرن لايكون [إلاّ مصْمت الأعلى مجوَّف الأسفل وكذلك صفةُ هذا الذى يسمِّيه مَن لاعلمَ له] ناباً . ومع ذلك إنّا لانجد الفيل يعضُّ كعضِّ الأسد للأكل [٧] ، ولا كعضِّ الجمل الصَّؤُول ٣٨

---

(١) يقال مكان فاض ومفض ، أى واسع . فيما عدا ل : « لمع البرق بالبلد الغض » محرف .

(٢) المخراق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به . والحزور : الغلام الذى قد شب وقوى.

(٣) ط فقط : « وأقبل سفرى » محرف . وسما : ارتفع وشخص . ط ، هـ : « شماله »، صوابه فى ل ، س .

(٤) ط ، س : « وأهوى نجاتى »، هـ : « بجالى »، صوابهما فى ل . وفى ط ، هـ : « ولم يقترب عنه » س : « منه » وفى ل : « فلذ بقرنيه » وأثبت ما فى ل مصححا . وفى البيت إقواء.

(٥) س ، هـ : « وحال القرن » . وفى ل : « مراس الكف » .

(٦) لا يهيده : لا تزعجه ولا يكترث لها . فيما عدا ل : « لا تهيده » .

(٧) فيما عدا ل : « الأكول » .

للقتل(١) ، ولا كعضِّ الأفعى لإخراج السمّ ، ولا تراه يصنع به ويستعمله إلاّ [على شبيهٍ] بما تستعمله ذوات القرن(٢) عند القِتال والغضب .

فقال لهم بعضُ من يردُّ عليهم : أمّا قولكم إنّ القرنَ لايكون إلاّ مجوَّفَ الأصل ، فهذا قرنُ الأيِّل مُصمَت من أوّله إلى آخره ، وهو ينصل(٣) فى كلِّ سنة ، فإذا نبتَ حديثاً لم يظهَرْ حتى يستحكِم فى يُبسه وصَلابته. وإذا علم أنه قد بلغ [ذلك] ظهَرَ . وأكثرُ القُرُونِ الجوفِ يكون فى أجوافها قرونٌ ، وليس ذلك لقرن الفِيل(٤) .

قالوا : ولم نجِد هذا القرنَ فى لون القُرون ، ووجدناه بسائر أسنانه(٥) وأضراسه أشبهَ ، للبياض واليبس(٦) . وليس كذلك صفةُ القرون .

وتقول الهند(٧) : فم الأيِّل صغير ، وهو أفقَم ، ولا يجوز أن يكون مثلُ ذلك اللَّحى والفكِّ ينبُتُ فيه ومنـه نابان يكون فيهما ثلاثمائة مَنّ . وقد رأيتُ قروناً كثيرة الأجناس ، بِيضاً ، وبُرْشا ، وصُهْبا(٨) . وهذه أيضا من أعاجيب الفيل(٩) .

وقرن الكركَدَّن أغلظُ من مقدار ذراع ، وليس طولُه على قدر غِلَظه(١٠) ، وهو أصلب وأكرم مِن قرنى الفيل .

---

(١) فيما عدا ل : « للعمل » .
(٢) فيما عدا ل : « كما يستعمله ذو القرن » .
(٣) ينصل : يسقط . فيما عدا ل : « يتنقل » ، محرفة .
(٤) فيما عدا ل : « كقرن الفيل » .
(٥) فيما عدا ل : « لسائر أسنانه » .
(٦) فيما عدا ل : « والسمرة » ، محرف .
(٧) فيما عدا ل : « ووجدناه يقول » .
(٨) ط ، س : « بيضاء وبرشاء وصهباء » .
(٩) فيما عدا ل : « عجائب الفيل » .
(١٠) فيما عدا ل : « إلا على قدر غلظه » ، تحريف .

(أعضاء التناسل لدي الحيوان)

ويقال [إنّ] أكبر أُيور الحيوان أيْر الفيل[١] ، وأصغرَها قضيبُ الظبى . وقضيب البطّ لايذكر مع هذه الأشكال[٢] ، وليس شئٌ على قَدْره ومقدار جسمه أعظمُ أيراً من البغل[٣] .

وقد علمنا[٤] أنَّ للضب أيرَين ، وكذلك الجِرذَون والسَّقَنْقُور[٥] ، وعرفنا[٦] مقدارَ ذلك ، ولكنّه لايدخل فى هذا الباب [لضَعفٍ لايخفَى] .

(خرطوم الفيل)

ولو لم يكن من أعاجيب الفيل إلاّ خرطومُه الذى هو أنفُه وهو يدُه ، وبه يوصِل الطعامَ والشَّرابَ إلى جوفه ، وهو شئٌ بَيْنَ[٧] الغُضروف [واللحم] والعصبِ ، وبه يقاتِل ويضرِب ، ومنه يصيح ، وليس صياحُه فى مقدارِ جرْم بدنه . ويضرِبُ به الأرضَ ويرفعُه فى السَّماء ويصرِّفه كيف شاء ، وهو مَقتلٌ من مقاتله . والهند تربِط فى طرَفه سيفاً شديدَ المتْن فيقاتِلُ به ، مع مافى ذلك من التهويل على من عايَنه[٨] .

---

(١) فيما عدا ل : « قرن الفيل » . وانظر كتاب البغال ص ٣٢١ .

(٢) فيما عدا ل : « الأشياء » . وانظر كتاب البغال .

(٣) فيما عدا ل : « الفيل » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « علمت » .

(٥) بعدها فى ل : « نظير الحمار » ، وهى كلمة مقحمة .

(٦) ط ، هـ : « وقد عرفنا » .

(٧) فيما عدا ل : « من » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « من التهويل على العدو » .

(سباحة الفيل والجاموس والبعير)

وهو مع عِظم بدَنه جيِّد السِّباحة إلاّ أنه يخرج خرطومه ويرفعُه فى الهواء صُعُدًا[١] لأنّه أنفه . ألا ترى أنّ الجاموسَ يغيب جميعُ بدنِه فى المـاء إلاّ منخريه .

والبعير قبيح السِّباحة : لأنه لايسبح إلاّ على جنبه[٢] فهو فى ذلك بطىءٌ ثقيل . والبعير [مما] يُعايَر بينه وبين الفيل[٣] ، فلذلك ذكرناه .

(مايغرق من الحيوان)

وقد علمنا أنّ الإنسان يغرق فى الماءِ مالم يتعلَّم السِّباحة . فأمّا الفرَس الأعسرُ والقِرد فإنّهما يغرقان البتَّة ، والعقرب تقُومُ[٤] وسطَ الماء لا طافيةً ولا لازقة بالأرض[٥] .

(أشراف السباع وساداتها)

٣٩ وأشراف السِّباع وساداتها وكبارها ورؤساؤها ثلاثة : الكَرْكدَّن والفِيل والجاموس . قال : ولعلَّ بعضَ مَن اعتاد الاعتراض[٦] على الكتب

---

(١) ل ، س : « صعداء » ، تحريف .

(٢) ل : « لأنه يسبح على جنبه » والعبارتان بمعنى . وفى س ، ه : « لا يسبح على جنبه » ، وهذه محرفة .

(٣) يعاير بينهما ، أى يقابل ويوازن . وفى ل : « يغاير » . والمغايرة المعاوضة فى البيع والمبادلة وليست مرادة . وفيما عدا : « يخاير » . وانظر ما سبق فى ٢ : ١٤٥ .

(٤) ط ، ه : « يقوم » س : « يعوم » ، صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « فى الأرض » .

(٦) ط : « أغرى بالاعتراض » . وفى س ، ه : « اغترى بالاعتراض » ، وهذه محرفة .

يقول : وأينَ الخيل والإبل ، وفيها من خصال الشَّرَف والمنافع والغَناء في السَّفر والحضَر ، وفي الحرْب والسّلم ، وفي الزِّينة والبهاء ، وفي العُدَّة والعتاد ، ماليس عند الكركدَّنِ ولا عندَ الفيل ولا عند الجاموس .

قال القوم : ليس إلى هذا الباب ذَهبْنا ، ولا إليه قصدنَا ، ولا ذلك البابُ ممَّا يجوز أن نُدخله في هذا الباب . ولكنَّا ذَهبْنا إلى المحاماة والدَّفع عن الأنفس[١] والقتال دون الأولاد ، وإلى الامتناع من الأضداد بالحيلة اللطيفة ، وبالبطش الشديد ، وليس عند الخيل والإبل إذا صادفت[٢] الأُسد والنُّمور والبُبُور ، ماعند الجاموس والفِيل[٣] . فأمّا الكركَدَّن فإن كلَّ شيء من الحيوان يقصِّر عن غايته التقصيرَ الفاحش[٤] .

(إنكار الكركدن والعنقاء)

وما أكثر مَن ينكر أن [يكون] في الدنيا حيوانٌ[٥] يسمَّى الكَرْكدَّن ، ويزعمون أنَّ هذا وعَنْقاء مُغْرِبٍ سواء ، وإنْ كانوا يرون صُورة العَنقاء مصوَّرَةً في بُسُط الملوك، واسمها عندهم بالفارسيَّة « سِيمَرْكْ[٦] » كأنه قال: [هو] وحدَه ثلاثون طائرا ، لأنَّ قولهم بالفارسية« سي »هو ثلاثون

---

(١) فيما عدا ل : «على الأنفس» ، محرفة .

(٢) ل : « صافت » وفيما عدا ل : « صادمت » ، وقد جمعت بينهما في التصحيح .

(٣) فيما عدا ل : « والفيل والكركدن » .

(٤) ط فقط : « عنه غاية التقصير الفاحش » .

(٥) فيما عدا ل : « حيوانا » .

(٦) كذا في جميع النسخ ، مع تساهل في النطق ، أو بعض التصرف في التعريب . وإلا فلفظها في الفارسية (سيمرغ) كما يفهم من البيان التالي ، وكما في معجم استينجاس ٧١٨ .

بالعربية[١] ، ومرغ[٢] بالفارسيَّة هو الطائر بالعربية . والعرب إذا أخبرت عن [هلاك] شيءٍ وبطلانه قالت : « حلّقت به فى الجوِّ عنقاءُ مغرب[٣] » .. وفى [بعض] الحديث : أنّ بعضَ الأمم سألوا نبيَّهم وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفعل كذا وتفعل كـذا ، أو تلقى فى فم العنقاء اللِّجام ، وتردَّ اليومَ أمسِ » .

(شعر فى العنقاء)

قال أبو السّرىّ الشَّميطى[٤] ، وهو مَعْدان المكفوف المديبرىّ[٥] :

يا سَمِىَّ النبىِّ والصادقَ الوَعـ ... ـدِ وَجَدَّ الصبىِّ ذى الخَلخالِ

صاحب التُّومة التى لم يشِنْها ... بعد حَرْسٍ مَثاقبُ اللآلِ[٦]

مَهَدتْه العنقاءُ وهِى عقيمٌ ... رُبَّ مهدٍ يكون فوقَ الهلالِ

---

(١) ل : « لأن سى بالفارسية ثلاثون » .

(٢) ل : « مرغ » وإنما هو بالغين فى الفارسية . ط ، س : « وبرك » .. وانظر التنبيه السابق . وفى ﻫ : « سيمرك » ، تحريف .

(٣) ومنه قول القائل (انظر اللسان : حلق ، عنق) :

ولولا سليمان الخليفة حلقت ... به من يد الحجاج عنقاء مغرب

ويروى :

ولولا سليمان الأمير لحلقت ... به من عتاق الطير عنقاء مغرب

(٤) فيما عدا ل : « أبو الهندى » ، تحريف . وانظر ماسبق فى (٢ ، ٢٦٨ / ٥ : ٢٣٦) .. والشميطى ، بالشين المعجمة . ل : « الشمطى » وفيما عدا ل : « السميطى » .. صوابهما ما أثبت . وانظر حواشى (٢ : ٢٦٨) .

(٥) المديبرى : نسبة إلى « المديبر » على هيئة تصغير مدبر ضد المقبل ، وهو موضع قرب الرقة . فيما عدا ل : « المريدى » ، تحريف . وقد سبق بعض أبيات القصيدة التالية فى (٢ : ٢٦٩) .

(٦) التومة ، بالضم : اللؤلؤة ، وجمعها توم ، بالضم ، وتوم بضم ففتح . فيما عدا ل : « صاحب اللؤلؤ الذى لم يشنه » . بعد حرس : أى بعد دهر . وفى ط ، ﻫ : « خرز » ، س : « حرز » ، صوابهما فى ل .

يومَ تُصغِى له النَّعامة والأحْـ ناشُ طُرًّا لِشدّة الزَّلزال[(١)]

فأهل هذه النِّحلةُ يثبتون العنقاء ، ويزعمون أنها عقيم .

وقال زُرارة بن أعْيَن ، مولى بنى أسعد بن همام ، وهو رئيس الشميطيَّة[(٢)] ، وذكر هذا الصَّبيَّ الذى تكفُله العنقاء ، فقال :

وأوّلُ مايحيَا نِعَاجٌ وأكبُشٌ ولو شاءَ أحيا ربها وهو مذنبُ[(٣)]

ولكنّه ساعَى بأمٍّ وجَدّةٍ وقال سَيكفِينِى الشقيقُ المقرّبُ[(٤)]

٤٠٠ وآخِرُ برهاناتِه قلبُ يومكم وإلجامُه العنقاءَ فى العين أعجبُ[(٥)]

يَصِيفُ بسَاباطٍ ويشتُو بآمِدٍ وذلك سِرٌّ لو علمناه معجبُ[(٦)]

أماع لهالكِبريتَ والبحرُ جامدٌ ومَلَّكَه الأبراجَ والشَّمسُ تُجْنَبُ[(٧)]

فيومئذٍ قامت شماط بقدرها وقام عسِيبُ القفر يُثْنِى ويَخْطُبُ[(٨)]

وقام صبىٌّ دَرْدَقٌ فى قِماطِهِ عليهم بأصنافِ اللِّسَانَيْنِ مُعْرِبُ[(٩)]

---

(١) النعامة والأحناش معروفان بالصمم . وفى ل : « والأخفاش » ، محرفة .

(٢) ل : « النسمية » ، وفيما عدا ل : « التيمية » ، والوجه ما أثبت . وهو نسبة إلى أحمر بن شميط . انظر حواشى (٢ : ٢٦٨) .

(٣) ربها ، أى صاحبها . وفيما عدا ل : « قرنها » .

(٤) المساعاة : تكليف الأمة أن تسعى على مولاها فتكسب له بضريبة خاصة . فيما عدا ل : « ساع » وفى ل : « وقال سيلقينى الشفيع » .

(٥) ل : « قلب نيلكم » .

(٦) فيما عدا ل : « سر ما علمنا مغيب » .

(٧) أماع : أذاب . وفيما عدا ل : « أساغ » ، محرف . تجنب : تقاد إلى جنب .

(٨) ل : « شمال بعذبها » ط : « سماط بقدرها » هـ : « سماط بعذرها » ، وأثبت ما فى س . وفى البيت غموض .

(٩) الدردق : الصغير . والقماط ، بالكسر : خرقة عريضة يلف بها الصبى . فيما عدا ل : « درنق فى حماطه » و : « بأصناف البساتين يغرب » ، تحريف .

فثبّت زرارة بنُ أعيَنَ قولَ أبى السَّرِىِّ فى العنقاء ، وزادنا [تثبيت] الكِبريت الأحمر . ولا أعلمُ فى الأرض قومًا يُثَبِّتون العنقاءَ على الحقيقة غيرَهم .

(الكركدن)

قال : والذى يثبت الكركدَّن أن داود النبى صلى الله عليه وسلم ذكره فى الزّبور حتّى سمّاه[١] .

وقد ذكره صاحب المنطق (فى كتاب الحيوان) إلاّ أنه سمّاه بالْحِمار الهندىّ ، وجعل له قرناً واحداً فى وسْط جبهته . وكذلك أجمع [عليه] أهلُ الهند كبيرُهم وصغيرُهم . وإنما صار الشكُّ يعرِضُ فى أمْرِهِ من قِبَل أنّ الأنثى منها تكون نَزُوراً[٢] ، وأيام حَمْلها ليست بأقل من أيام حمل الفيلة[٣] فلذلك قلَّ عددُ هذا الجنس .

وتزعم الهندَ أنّ الكركدَّن إذا كانت ببلاد[٤] ، لم يَرْعَ شىءٌ من الحيوان شيئاً من أكناف تلك البلاد ، حتى يكونَ بينه وبينها[٥] مائةُ فرسَخٍ من جميع جهات الأرض ؛ هيبةً له ، وخضوعا له ، وهرباً منه .

وقد قالوا فى ولَدها وهو فى بطنها قولاً لولا أنّه ظاهرٌ على ألسِنَة الهند لكان أكثرُ النّاس ، بل كثيرٌ من العلماء ، يُدْخلونه فى باب الخرافة

---

(١) فيما عدا ل : « قال فيثبتون الكركدن ذكر النبى داود عليه السلام فى الزبور حين سماه » ، محرف .

(٢) النزور ، بالفتح : القليلة الولد . فيما عدا ل : « أن الأنثى منها مايكون نزورا » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « ليست أقل من أيام حمل الفيل » .

(٤) ل : « أنه إذا كانت الكركدن ببلاد » .

(٥) ل : « وبينه » .

وذلك أنهم يزعمون أنَّ أيامَ حَمْلها إذا كادت أن تتم ، وإذا نضجت وسُحِبتْ[١] [وجرّت] وجرى وقت الولادة ، فربما أخرجَ الولدُ رأسَه من ظَبْيَتِها[٢] فأكل من أطراف الشجر ، فإذا شبع أدخَلَ رأسَه ، حتَّى إذا تمّت أيامُه وضاق به مكانه وأنكرته الرَّحِم ، وضعَتْه مُطِيقاً قويًّا على الكسب والحُضْر والدفع عن نفسه[٣] ، بل لا يَعْرِضُ له شيءٌ من الحيوان والسِّباع .

(ولد الفيل)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ ولد الفيل يخرُج من بطن أمّه نابت الأسنان ، لطول لبثه فى بطنها[٤] .

وهذا جائزٌ فى ولد الفيل غيرُ مُنكر ، لأن جماعةَ نساءٍ معروفاتِ الآباء والأبناء ، قد ولدْنَ أولادَهنَّ ولهم أسنانٌ نابتة : كالذى روَوْا فى شأن مالك ابن أنس ، ومحمد بن عَجْلاَن[٥] وغيرهما .

(أعاجيب الولادة)

وقد زعم ناسٌ من أهل البصرة أنَّ خاقانَ بنَ عبد الله بن الأهتم استوفى فى بطن أُمِّه ثلاثةَ عشر شهراً ، وقد مُدِح بذلك وهُجِيَ ، وليس

---

(١) س : « وسخنت » ط ، هـ : « وشحنت » ، وأثبت ما فى ل . والكلمة التى بعدها تكملة من ل ، س ، هـ .

(٢) الظبية : الحياء من المرأة وكل ذى حافر . ط ، هـ : « باطنها » س : « طنيها » وهذه محرفة .

(٣) بعدها فى ل : « ممتنعا من العدو » .

(٤) فيما عدا ل : « مكثه فى بطنها » .

(٥) سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٩٢) .

٤١ هذا[١] بالمستنكر ، وإنْ كنت لم أَرَ قطُّ قابلةً تُقرّ بشيء من هذا الباب وكذلك الأطبّاء . وقد رووْه كما علمت ، ولكنَّ العجبَ كلَّ العجَب ماذكروا من إخراج ولَد الكركدَّنِ رأسَه واعتلافَه ، ثم إدخاله رأسَه[٢] بعد الشِّبع والبِطْنة . ولا بدَّ — أكرمك الله[٣] — لِمَا أكَلَ مِنْ نَجْوٍ فإن كان بقى [ذلك] الولدُ يأكل ولا يرُوث فهذا عجبٌ ، وإن كان يروث فى جَوْفها فهذا أعجب .

وإنما جعلناه يروثُ حيثُ سمَّوه حماراً ، وهذا ممّا ينبغى لنا أن نذكرَه فى خصال الحمير إذا بلغْنا ذلك الباب[٤] .

ولا أُقِرُّ أنّ الولدَ يُخرج رأسه من فرج أمِّه[٥] حتى يأكل شبعَه ، ثمَّ يدخل رأسَه [من فَرْج أمّه] ، ولستُ أُراه مُحالا ولا ممتنعاً فى القُدرة ، ولا [ممتنعاً] فى الطبيعة ، وأرى جَوازَه مَوْهُومًا[٦] غيرَ مستحيل ، إلاّ أنَّ قلبى ليس يقبلُه ، وليس فى كونه ظُلْمٌ ولاعَبَثٌ[٧] ولاخطأ ولا تقصير فى شىء من الصفات المحمودة ، ولم نجد القرآنَ يُنكره، و [لا] الإجماعَ يدفعُه ، والله هو القادر دون خَلْقه ، ولست أبتُّ بإنكاره وإن كان قلبى شديدَ الميل إلى ردِّه ، وهذا ممّا لايعلمه النّاسُ بالقياس ، ولا يعرفونه إلاّ بالعيان الظاهر[٨] ، والخبر المتظاهر .

---

(١) فيما عدا ل : « ذلك » .
(٢) فيما عدا ل : « ثم إدخالها » .
(٣) ل : « يرحمك الله » .
(٤) فيما عدا ل : « خصال الخصال إذا بلغ ذلك الباب » .
(٥) فيما عدا ل : « من بطن أمه » .
(٦) موهوما : يذهب إليه الوهم . فيما عدا ل : « مرهوبا » ، تحريف .
(٧) فيما عدا ل : « عيب » .
(٨) فيما عدا ل : « ولا يعرف إلا بالعيان الباهر » .

(عجيبة الدسَّاس)

وليس الخبر عنهُ مثلَ الخبرِ عن الدَّسَّاس التى تَلِدُ ولا تَبيض[١] .
وإنما أنكر ذلك ناسٌ لأنَّ الدَّسّاس ليس بأشرف كالخُفَّاش ، بل هو من الممسوح[٢] كسائر الطير . وكاللواتى يبضْن[٣] من ذوات الأربع من المائيَّات والأرضيَّات .

(عجائب الدلفين واللُّخم والكوسج)

وليس الخبر عن الكركدَّن أيضا كالخبر عن الدُّلفين أنَّها تَلِد وعن اللُّخْم مثل ذلك ، وأنَّ الكَوسج يتولَّد من بين اللُّخْم وسمكةٍ أخرى ، وهذا كلُّه غيرُ مستحيل ، إلاّ أنِّى لا أجعلُ الشيءَ الجائزَ [كونُه] كالشيء الذى تثبِّته الأدلَّة ويخرِجه البرهان من باب الإنكار . والواجبُ فى مثل هذا الوقفُ[٤] ، وإن كان القلبُ إلى نقض ذلك أمْيَل .

والمَيْل أيضا يكون فى طبقات[٥] ، وكذلك الظن [قد] يكون داخلا فى باب الإيجاب[٦] ، وربَّما قصَّر عن ذلك [شيئاً] .

---

(١) فيما عدا ل : « التى لاتبيض ولا تلد » ، تحريف . وانظر ماسبق فى (٤ : ٢٢٢ / ٦ : ٣٣) .

(٢) الممسوح : أى الذى خفيت أذنه . انظر (٦ : ٣٣ ، ١٢٥) . فيما عدا ل : « بل هو كالممسوح » .

(٣) فيما عدا ل : « تبيض » .

(٤) فيما عدا ل : « الرفيق » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « من طبقات » .

(٦) ل : « باب الأغلب » .

(زعم ولادة السمك)

وقد زعم ناسٌ من أهل العلم أنَّ السَّمَكَ كلَّه يلِد ، وأنهم إنما سَمَّوْا ذلك [الحَبِّ] بيضا على التشبيه والتمثيل ، لأنّه لا قشر له هناك ولا مُحَّ ولا بَياضَ ، ولا غِرْ قِئَ[١] ، وأنّ السمكةَ لاتخرج أبداً[٢] إلاَّ فارغةَ الْبَطْنِ أو محشوَّة ، ولم نر الحَبَّ الذى بقرب مَبالها[٣] أعظمَ ، ولم نَرها أَلقَتْ إحدى تلك الطَّوامير[٤] [وبقّت الأخرى . وإنما غلط فى ذلك ناسٌ من قِبَل ضيق السبيل والمَسْلَك ، فظنوا أنَّ خرق المبال يضيق عن عِظَم ذلك الجسم العظيم المجتمع من الحبِّ الصغار . قالوا : فإنما تُخرج تلك الطواميرَ] واحداً فواحداً ، وأوّلا فأولاً .

(عجائب الولادة)

وما ذلك بأعجبَ ولا أضيقَ من حَياء للناقة والسَّقبُ والحائلُ يخرجان منه خروجًا سَلِسا إذا أذن الله بذلك[٥] . وكذلك المرأة وولدها ، [والفِيلةُ] والجاموسة[٦] والرَّمَكةُ ، والحِجْر والأتان ، والشاة فى ذلك كلِّه مثلُ السمكة .

وقالوا : لابُدَّ للبيض من حَضْن ، ومتى حَضَنَت السمَكةُ بيضَها لاتلتفت إلى بيضها وفراخها .

---

(١) الغرقئ : قشر البيض الذى تحت القيض . ل : « ولا سره » . والسره : البيض .

(٢) فيما عدا ل : « لاتوجد أبدا » .

(٣) فيما عدا ل : « عند مثالها » ، تحريف .

(٤) أصل معنى الطومار الصحيفة . وأراد بها ما يتجمع فى جوف السمكة من البيض ، ويسمى بالعامية المصرية : « البطارخ » .

(٥) ل : « سليما إذا أذن الله فى ذلك » .

(٦) فيما عدا ل : « والجاموس » .

(زعم العوام فى الكركدن)

والعوامُّ تضرِبُ المثلَ فى الشدّة والقوّة بالكركدّن ، وتزعم أنه ربما نطحَ الفيلَ فرفعه بقرنه الواتِد فى وسْط جَبْهته[١] ، فلا يشعرُ بمكانه ولا يحسّ به حتّى ينتطع على الأيّام .

وهذا القولُ بالخرافة أشبَه .

(مزاعم فى ضروب من الحيوان)

وأعجبُ من القول فى ولد الكركدّن مايخبرنا به ناسٌ من أهل النظر والطبّ[٢] وقراءة الكتب ، وذلك أنّهم يزعمون أنّ النمرة لاتَضعُ ولدَها أبداً إلاّ وهو متطوِّق بأفعى[٣] ، وأنها تعيش وتنهش ، إلاّ أنها لاتقتل . ولو كنتُ أجسُر فى كتبى على تكذيب العلماء وَدَرَّاسِى الكتب[٤] ، لبدأت بصاحب هذا الخبر .

وليس هذا عندى كزعمهم أنّ الأفعى تلد وتبيض ، لأنّ تأويل [ذلك أنَّ] الأفعى تتعضَّلُ ببيضها[٥] ، فإذا طرَّقتْ بالبيض تلوّت فحطمَته فى جَوفها ، ثم ترمى بتلك القشور والخَرَاشِىّ[٦] أوّلاً فأولا ، كما لابدّ[٧] لكلِّ ذات حملٍ أن تُلْقِىَ مشيمتَها .

---

(١) الواتد : الثابت المنتصب . فيما عدا ل : « الواحد الذى فى وسط جبهته » .

(٢) فيما عدا ل : « أهل النظر والأدب » .

(٣) انظر ماسبق فى (٤ : ٢٢٢ / ٦ : ٣٤) .

(٤) فيما عدا ل : « ودراس الكتب » .

(٥) تعضلت ببيضها : عسر عليها إخراجه . فيما عدا ل : « ينفصل ببضها » : محرف .

(٦) الخراشى : جمع خرشاء ، وهى جلدة البيضة الداخلة ، فيما عدا ل : « الحراشى » محرفة .

(٧) فيما عدا ل : « ولابد » .

ويزعم كثيرٌ من الأعراب أنّ الكَمْأة تتعفّن ، ويتخلّق منها أفاعٍ[١] . فهذا الخبرُ وإن كنت لا أتسرّعُ[٢] إلى ردّه فإنّى على أصحابه أليَنَ كنفًا[٣] .

(قرن الكركدن)

وأمّا قَرْن الكَرْكَدَّن فخبَّرنى من رآه[٤] ممّن أثِقُ بعقْله ، وأسكن إلى خبَره ، أنَّ غِلَظَ أصله وسَعةَ جسمه يكونُ نحواً من شِبرين ، وليس طولُه على قدْرِ ثِخَنه . وهو محدَّد الرأس ، شديدُ الملاسة ، ملموم الأجزاء مُدْمج[٥] ، ذو لدونةٍ وعُلوكة فى صلابة ، لايمتنع عليه شىءٌ . ويُجهز مِنْ عِندنا بالبصرة[٦] إلى الصين ؛ لأنّه[٧] يقع إلينا قبلهم ، فإذا قطعُوه[٨] ظهرت فى مقاطعه صُوَرٌ عجيبة[٩] . وفيه خصال غير ذلك ، لها بطلب[١٠] .

(خيل النهر)

وقد كنا نزعُم أنّ الهواء للعقاب ، والماء للتمساح ، والغياض للأسَد حتى زعم أصحابُنا أنَّ فى نيل مصر خُيولاً تأكل التماسيح[١١] أكلاً ذريعا

---

(١) فيما عدا ل : « أفاعى » ، على لغة من يثبت الياء فى المرفوع والمجرور . انظر همع الهوامع (٢ : ٢٠٥ — ٢٠٦) .
(٢) فيما عدا ل : « أسرع » .
(٣) الكنف : الجانب . وفيما عدا ل : « كفا » ، محرفة .
(٤) فيما عدا ل : « من رأى قرنه » .
(٥) ط فقط : « مدبج » ، تحريف .
(٦) إثبات كلمة « من » من ل . فيما عدا ل : « ويحضر عندنا بالبصرة » .
(٧) فيما عدا ل : « إلا أنه » .
(٨) فيما عدا ل : « فإذا ظهر » .
(٩) فيما عدا ل : « صورة عجيبة » .
(١٠) فيما عدا ل : « لما يطلب » .
(١١) فيما عدا ل : « التمساح » ، محرفة .

وتقوى عليها قوةَ ظاهرة ، وتغتصبُها أنفسَها فلا تمتنع عليها ، وعارَضوا مَن أنكر خيلَ الماء ، بخنازير الماء وبكلابِ الماء ، وبدُخّس الماء[1] .

(إنقاذ بعض حيوان البحر للغريق)

ولم أجدْهم يشكّون أن بعضَ الحيوان الذى يكون فى البحر ممّا ليس بسمك [وهو يعايش السمك] – وقد ذهبَ عنّى اسمُه[2] – [أنّه] متى أبصر غريقا[3] عرَض له وصار تحت بَطنه وصَدْره ، فلا يزال كالحامل له والمُزْجى والمعين ، حتى يقذفَ به إلى جزيرة ، أو ساحلٍ ، أو جبل .

وأصنافُ سمَك البحر ، وأجناسَ ما يعايش سمكَ البحر [لاتكون فى أوساط اللُّجج وفى تلك الأهوَار العِظام ، مثل لجَّة سُقُوطْرَا ، وهركند ، وصنجى[4] . وكذلكَ أهلُ البحرِ] إذا عاينُوا نباتاً أو طيراً ، أيقَنُوا بقرب الأرض[5] إلاَّ أنّ ذلك القريب قد سمِّىَ بعيداً ، فلذلك سَلِم ذلك الغريقُ بمعونة ذلك الحيوان .

(مسالمة الأسد للببر ومعاداته للنمر)

٤٣ فأمّا الأسَد والبَبْر فَمُتسالمان ، وأما الأسد والنمر فَمُتَعَادِيان[6] والظَّفَر بينهما سِجال . والنَّمر وإن كان ينتصف من الأسد فإنّ قُوَّته على سائر

(١) انظر الدخس ما مضى فى (١ : ٣١ / ٥ : ٥٤٥ / ٦ : ٢٧ / ٧ : ٤٠) فيما عدا ل : « وبديس الماء » ، محرف .

(٢) انظر حواشى إشارات الأرقام التى فى التنبيه السابق .

(٣) فيما عدا ل : « إذا أبصر غريقا » .

(٤) سقوطرا ، أوسقطرى ، بضم السين والقاف فيهما : جزيرة كبيرة ، فيها عدة قرى ومدن تناوح عدن . وهركند : بحر فى أقصى بلاد الهند والصين ، فيه جزيرة سيلان . وأما « صنجى » فلم أجدها فيما لدى من المراجع .

(٥) فيما عدا ل : « أيقنوا بالأرض » .

(٦) فيما عدا ل : « فيتسالمان » و « فيتعاديان » .

الحيوان دون قوَّته على الأسد[١] ، وبدنه فى ذلك أحملُ لوَقْع السِّلاح ؛ ولا يعرِضُ له البَبْر[٢] ، وقد أيقنا أنَّهما ليسا من بابته ، فلا يعرض لها ، لسلامة ناحيته وقلة شرِّه ، وهما لايعرضان له لمـا يعرفان من أنفسهما من العَجْز عنـه . وأمَّا البهائم الثلاث اللواتى[٣] ذكَرْناها فإنَّها فوق الأسد والنمر .

والبَبْر هندىٌّ أيضا مثل الفيل ، و [أمَّا] الـكركدَّن فلا يقوم له سبعٌ ولا بهيمة ، ولا يطمع فيه ، ولا يَرومُ ذلك منه .

(مبارزة الجاموس للأسد)

وأمّا الجاموس والأسَد فخبَّرنى محمد بن عبد الملك أنَّ أميرَ المؤمنين المعتصمَ بالله ، أبرَزَ للأسد جاموسَيْن فغلبَاه[٤] ، ثم أبرز له جاموسةً ومعها ولدُها فغلبته وحمَتْ ولدَها منه ، وحَصَّنته ، ثم أبرز له جاموساً وحْدَه فواثَبَه ثم أدبر عنه[٥] .

هذا وفى طبع الأسد الجرأة عليه ، [لأنّه يعدّ الجاموسَ من طعامه ، والجاموسُ يعرف نفسَه بذلك ، فمع الأسد من الُجرأة عليه على حسَب ذلك

(١) فيما عدا ل : « دون قوة الأسد » .
(٢) فيما عدا ل : « ولا يعرض النمر البر » .
(٣) فيما عدا ل : « التى » .
(٤) فيما عدا ل : « جاموستين فغلبتاه » .
(٥) فى نهاية الأرب (١٠ : ١٢٤) : « وليس ما حكى عن المعتصم فى أمر الجاموس وغلبته للأسد بعجيب ، فإن الجواميس بالأغوار تقاتل الأسد وتمانعه وتدفعه ، فلا يقدر على قهرها . وأصحاب الجواميس هناك منهم من يغلف قرونها بالنحاس ويحددون أطرافه ، يقصدون بذلك إعانته على حرب الأسد وقتاله » .

ومع الجاموس من الخوف على قَدْر ذلك . وفى معرفة الأسد أنّ له فى فمه من السِّلاح ماليس لشىء سواه ، وفى معرفة الجاموس بعدم ذلك السِّلاح منه ، فمعه من الجرأة عليه] بمقدار مامع الجاموس من التهيُّب له ، فيعلم أنّه قد أعطى فى كفِّه ومخالبه من السلاح ماليس لشىء سواه . ويعلم الأسَد والجاموسُ جميعاً أنّه ليس فى فم الجاموس ويده[1] وظِلْفه من السِّلاح قليلٌ ولا كثير ، فمع الأسد من الجَراءة عليه ، ومع الجاموس من الخوف منه ، على حَسب ذلك . ويَعلمُ الأسدُ أنّ بدنَه يَمُوج[2] فى إهابه ، وأنّ له مِن القوَّة على الوثوب والضَّبْر[3] والحُضْر ، والطَّلَب والهرَب ، ماليس فى الجاموس ، بل ليس ذلك عند الفَهْد فى وثوبه ، ولا عند السِّمْع[4] فى سرعة مَرِّه ، ولا عند الأرنب فى صَعْدَاء ولا هَبُوط[5] ، ولا يبلُغُه نَقَزان الظَّبى إذا جَمَعَ جراميزَهُ ، ولا ركْضُ الخيلِ العِتاق إذا أُجيد إضمارُها. والجاموسُ يعرف كلَّ ذلك منه ، ومع الجاموس من النُّكوص عنه بقَدْر مامع الأسد من الإقدام عليه ، ويعلم أنّه ليس له إلّا قرنُه وأنّ قرنَه ليس فى حدّة قُرون[6] بقَر الوحْش ، فضلاً عن حِدّة أطراف مخالب الأسَد وأنيابه

---

(١) فيما عدا ل : « ويديه » .

(٢) ط ، س : « يتموج » .

(٣) الضبر ، بالضاد المعجمة : جمع القوائم فى العدو . وفى الأصل : « الصبر » .

(٤) فيما عدا ل : « السبع » ، تحريف . انظر (١ : ١٨٢) حيث ذكر أنه أسرع من الطير والريح .

(٥) ط ، هـ : « صعد » . والصعد ، بالتحريك : مقابل الهبوط ، والهبوط ، بالفتح : الانحدار والانخفاض . وأما « الصعداء » وهى التى وردت فى ل ، س فهى اللفظة التى يختارها الجاحظ فى مثل هذا . انظر (٥ : ٤٤٧ / ٦ : ٣٥٦ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦) .

(٦) فيما عدا ل : « قرن » .

وأن قرنه مُبْتَذَلٌ[١] ، لا يصان عن شيء . ومخالب الأسد في أكمام وَصُوان[٢] .

وإذا قوى الجاموسُ مع هذه الأسباب المجبِّنة[٣] على الأسد مع تلك الأسباب المشجِّعَة[٤] حتى يقتله أو يعرِّدَ عنه[٥] ، كان قد تقدَّمه تقدُّمًا فاحشاً ، و [قد] علاه عُلوًّا ظاهرا . فلذلك قدَّمنا الجاموسَ وهو بهيمة ، وقدَّمنا رؤساء البهائم على رؤساء السباع . هذا سِوى ما فيها من المرافق والمنافع والْمَعاون[٦] .

والجاموس أجْزَعُ خلْق الله مِن عَضِّ جِرجِسةٍ[٧] وبعوضةٍ ، وأشدُّهُ هرباً مِنْهُما إلى المـاء[٨] . وهو يمشي إلى الأسد رَخِيَّ البال[٩] ، رابط الجأش ، ثابت الجنان . فأمَّا الفيلُ فلم يولِّد الناسُ عليه وعلى الكركدَّن ما ولَّدُوا من إفراط القُوَّة[١٠] والنَّجـدة والشَّهامة ، إلّا والأمرُ بينهما متقاربٌ عندهم .

٤٤

---

(١) ط ، هـ : « معبذل » ، تحريف .

(٢) الصوان ، بالضم والكسر : ما يصان به الشيء . وفيما عدا ل : « مران » تحريف . انظر ما مضى في (٤ : ٢٨٤ / ٥ : ٣٤٦) .

(٣) ط : « المخففة » س ، هـ : « المخيفة » ، صوابهما في ل .

(٤) فيما عدا ل : « الأنياب المستحقة » ، تحريف .

(٥) التعريد : الإحجام والنكول والفرار . فيما عدا ل : « يمرض » .

(٦) المعاون : جمع معونة ، وهي الإعانة .

(٧) الجرجس : صغار البعوض . فيما عدا ل : « خرشنة » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « وأشده هربا » . منهما ، متعلق بـ « هربا » ، أي هربه من الجرجسة والبعوضة . فيما عدا ل : « منها » .

(٩) ط فقط : « رضى البال » .

(١٠) ط فقط : « فرط القوة » .

(مغالبة الفيل للأسد)

والهندُ أصحابُ البُبور والفُيول ، كما أنَّ النُّوبةَ أصحابُ الزَّرافات دونَ غيرهم من الأُمم . وأهلُ غانةَ إنما صار[١] لباسُهم جلودَ النمور [لـكثرة النمور] بها . إلا أنّها على حالٍ موجودةٍ فى كثيرٍ من البُلدان .

وقد ذكَرُوا بأجمعهم قُوّةَ الفِيل الوحشىِّ على الأَسد ، وقالوا فى الفِيَلة الأَهليَّة إذا لقِيتْ عندنا بالعِراق الأُسْد وجمعنا بينهما[٢] . قالوا : أما واحدة فإنّ ذُكور الفِيَلة لاتـكاد تعيشُ عندكم ، وأنيابُها التى هى أكبَرُ سلاحِها لاتنبُت فى بلادكم[٣] ، ولا [تعظُم ولا] تزيدُ على ما كانت عليه ما أقامت فى أرضكم ، وهى أيضا لاتتناتج عندكم ، وذلك من شدّة مُخالَفة البلدة لِطبائعها[٤] ونقضها لقواها . وإنما أسْرَعَ إليها الموتُ عندكم للذى يعتريها من الآفات والأعراض فى دُوركم ، فاجتمعت عليها خصال ، أوّل ذلك أنّها مع الوحش[٥] [و] فى صميم بلادها أجرأ وأقوى ، وأشهَمُ نفسًا وأمضى ، فلمّا اصطَدْناها بالحِيَل[٦] ، وصيَّرْناها مقصورة[٧] أهليَّة بعد أنْ كانت وحشيَّةً وفى غير غذائها ، لأنّها كانت تشرب إذا احتاجت ، وتأكل إذا احتاجت وتأخذ من ذلك على مقادير ما تعرف من مَوقع الحاجة[٨] ، فلما صارت

(١) ط : « ما صار » تحريف .
(٢) ل : « بينها » .
(٣) فيما عدا ل : « أكثر سلاحها لاتنبت ببلادكم » ، وفيه تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « وطبائعها » ، محرف .
(٥) فيما عدا ل : « من الوحش » ، تحريف .
(٦) ط : « بالجبل » ، محرفة .
(٧) مقصورة : محبوسة . وفيما عدا ل : « مقهورة » .
(٨) فيما عدا ل : « من ذلك مقدار ماتعرف من توقع الحاجة » ، محرف .

إلى قيام العبيد عليها ، والأجَراء بشأنها[١] ، والوكلاء بما يصلحها دخل ذلك من النقض[٢] والخوَر ، والخطأ والتقصير ، على حسب ما تَجِدُ[٣] فى سائر الأشياء ، ثم لم نَرْض بذلك حتّى نقلناها من تلك البلدة على إنكارها لتلك البلدة[٤] ، فصيَّرْناها إلى الضدِّ بعد أن كانت فى الخلاف .

وقد علمنا أنَّ سبيلَها سبيلُ سائر الحيوان ، فإنّ الإبلَ تموت ببلاد الروم وتَهلكُ وتسوءُ حالُها[٥] ، والعقارب تموت [فى مدينة حِمْص] ، والتماسيح تموت إن نُقلت إلى دِجلة والفرات ، والنَّاس يصيبهم الجلاءُ فيموتون ويتهافتون . وقد علمنا أنَّ الزِّنج إذا أُخرجوا من بلادهم فما يحصل[٦] بالبصرة عندنا منهم [إلاَّ اليسير] . وكذلك لو نقلوا إليكم بزر الفُلفُل والسَّاج والصَّندل والعُود ، وجميعَ تلك الأهضام[٧] ، فما امتناعُ نباتِ العاج ببلادكم إلاّ كامتناعِ نباتِ الآبنوس ، وإن كان ينبت فى حيوان والآخر[٨] فى أرض .

فلا يفتخرنَّ مفتخر فى الأسد فى هذه البلدة إذا قاوم الفيل[٩] . والأسد هاهنا فى بلاده وفى الموضع الذى تتوفّر أموره عليه ، لأنَّ أُسْد العراق هى الغاية ، وأقواها أُسْد السّواد ثم أُسْد الكوفة[١٠] . ولأنّ الفِيَلَة عندكم أيضاً

---

(١) فيما عدا ل : « لسواسها » .
(٢) س ، ﻫ : « النقص » بالصاد المهملة .
(٣) ل : « يجد » بالياء .
(٤) فيما عدا ل : « حتى نقلنا ما كانت تجده من إنكارها لتلك البلدة » .
(٥) انظر ما سبق فى (٤ : ٧١) .
(٦) فيما عدا ل : « إذا خرجوا من بلادهم كما يحصل » ، وفيه تحريف .
(٧) الأهضام : الطيب ، وقيل البخور ، واحده هضم ، بالكسر ، وهضم وهضمة بالفتح .
(٨) ط ، ﻫ : « والأرضى » س : «والأرض» ، صوابهما فى ل .
(٩) ط ، ﻫ : « قام الفيل » س : « أقام الفيل » ، صوابهما فى ل .
(١٠) ل : « أسود » فى هذا الموضع وسابقه .

٤٥ تَرَى عندَكم السَّنانير ، وقد جعَل اللهُ في طَبْع الفيل الهربَ من السِّنَّور والوَحشةَ منه ، كما أنَّ بعضَ شُجعانِكم يمشي إلى الأسد ، ويقبض على الثُّعبان ، ولا يستطيع النَّظرَ إلى الفأر والجرذان ، حتى يهرُب منها كلَّ الهرب ، ويعتريه من النَّفضة(١) واصفرار اللَّوْن مالا يعترى المصبور على السَّيف(٢) وهو يلاحِظُ بريقَه عند قفاه .

(خوف عبد الله بن خازم من الجرذ)

وذكر عليّ بن محمد السميرى(٣) قال : بينما عبد الله بن خازم السُّلَمىّ(٤) عند عبيد الله بن زياد ، إذ أُدْخِلَ على عبد الله(٥) جرذ أبيض ليُعجَّبَ منه(٦) ، فأقبل عبيدُ الله على عبد الله فقال : هل رأيتَ يا أبا صالحٍ أعجبَ من هذا الجرذ [قط] ؟ وإذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخٌ ، واصفرَّ حتى [صار] كأنَّه جرادة [ذَكَرٌ(٧)] ، فقال عبيد الله : أبو صالحٍ يَعصِى الرَّحمن ، ويتهاوَنُ بالشيطان ، ويقبض على الثعبان ، ويمشى إلى الأسَد ، ويَلقَى الرِّماح بوجهه ، وقد اعتراه من جُرَذ ماترون ؟ ! أشهَدُ(٨) أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير .

---

(١) فيما عدا ل : « القبض » .
(٢) المصبور : الذى يحبس ويمسك للقتل . ل : « الصبور » ، محرف .
(٣) ل : « السمرى » .
(٤) فى الأصل : « حازم » ، صوابه بالخاء المعجمة ، كما فى المعارف ١٨٤ .
(٥) فى الأصل : « إذ دخل » ، وفيما عدا ل : « إذ دخل عليه » .
(٦) فيما عدا ل : « ليقبل منه » .
(٧) انظر لصفرة ذكور الجراد ما مضى فى (٣ : ٤٢ - ٤ : ١٧٤ - ٥ : ٥٥٩) .
(٨) ط ، هـ : « اشهدوا » .

(خوف الفيل من السنور)

وإذا عاين الفيلُ الأسدَ رأى فيه شَبَه السّنّور ، فيظنُّ أنه سنّور عظيمٌ فلا يبلغ [منه] مقدارَ تلك المناسبة ، وذلك الشّبه ، ومقدارَ ذلك الظنّ مايبلغ رؤيةُ السِّنّور نفسِه . وليس هربُه منه مِن جهةِ أنّه طعامٌ له ، وأنّه إن ساوَرَه خافه على نفسه(١) ، وإن كان فى المعنى يرجع إلى أنّه طعامٌ لصغار السِّباع وكبارها . وهَلْ قتل أسدٌ(٢) قطُّ فيلاً ، ومتى أكله ؟ !

وإنَّه مع ذلك لرُبَّما رَكَله الرَّكْلة ، فإمّا أنْ يقتُلَه ، وإمَّا أنْ يذهبَ عنه هارباً فى الأرض ، وإمَّا أن يُجْلِيَهُ(٣) .

وأيّة حُجَّة على الفيل فى أن يرى سنوراً [فينفر منه ؟ ! فالأســدُ يُشار إليه بِشُعلةٍ من نار ، أو يُضرَب له بالطَّسْتِ فيهربُ منه ، فإنما هذا كنحو تفزُّع الفرَس من كلِّ شيءٍ يراه فى الماء وهو عطشانُ فيأباه .

ويزعم ناسٌ من أصحاب الخيل أنّ الفرَس ليس يضرب بيديه فى المــاء الصافى ليثوِّره ، لأنَّ المــاء الـكدرَ أحبُّ إليه ، وما هو إلا كالثَّور الذى يحبُّ الصافى ويختاره ، ولـكنه إذا وقف على المــاء الصافى رأى فيه ظِلّه وظلّ غيرِه من الأشخاص] ، فيفزعه ذلك ، فلمعرفته بأنَّ المــاء الـكدرَ لاتتصوَّر فيه الصُّوَر يضرِب بيديه . هذا قول هؤلاء(٤) . وأمَّا صاحبُ

---

(١) فيما عدا ل : « غلبه على نفسه » .

(٢) فيما عدا ل : « الأسد » .

(٣) ل : « يجليه » فيما عدا ل : « يخليه » ، ولعل وجهه ما أثبت .

(٤) فيما عدا ل : « بعضهم » .

المنطق وغيرُه ممَّن يدَّعى معرفةَ شأنِ الحيوان فإنّه يزعُم أنَّ الفرسَ بالماء الكدِر أشدُّ عُجْباً منه بالماء الصافى ، كما أنَّ الإبلَ لا يُعجِبها المـاءُ إلاَّ أنْ يكونَ غليظاً ، وذلك هو الماءُ النَّمير عندهم . وإنَّما تصلُح الإبل عندَهم على الماء الذى تصلُح عليه الخيل .

(تداوى الحبشة والنوبة بأضراس خيل الماء وأعفاجها)

ويزعُم مَنَ أقام ببلاد السُّودان أنَّ الذين يسكُنون شاطئ النيل من الحبشة والنُّوبة ، أنهم يشربون الماء الكدر ، ويأكلون السَّمك النِّىء فيعتريهم طحالٌ شديد[١] ، فإذا شدُّوا على بطونهم ضِرْسا من أضراس خَيل الماء وجدُوه صالحا لبعض ما يعرض من ذلك . ويزعمون أن أعفاج هذا الفرس تُبْرِئُ من الصَّرْع الذى يكون فى الأهِلّة[٢] .

(دفاع صاحب الأسد)

وقال بعض من يَنْصُرُ الأسَد[٣] : إن الأُسْدَ فى الهند أضعَفُ ، بل هى ضعيفةٌ جدًّا ، والفيل فى بلادهم أقوى ، والوحشى منها [أجرأ] ، والمغتلم لايقوم له إلا الكركدَّن ؛ وإنه ليهجُم عليه[٤] فيحجم عنــه حتى ٤٦

(١) إنما هو الطحل ، بالتحريك ، وهو وجع الطحال ، بالكسر . ويحتمل أن يكون الجاحظ قد قاسه على الكباد ، بالضم ، وهو وجع الكبد .

(٢) انظر للصرع عند الأهلة مامضى فى (٥ : ٤٧٩ - ٦ : ٢٤٣) .

(٣) فيما عدا ل : « يبصر بالأسد » تحريف .

(٤) ط ، هـ : « ليقحم » س : « ليفحم » ، وهذه محرفة . وأثبت مافى ل .

تذهب عنه سَكْرة الغُلْمة ، فيرجعُ إلى معرفةِ حال الكركدَّن فلا يَطور طوَارَه[١] ، ولا يحلُّ بأَداني أرضه[٢] .

وأما الفيل فإذا كان غيرَ هائجٍ والأسدُ في غير أيَّام هِيَاجِه[٣] ثم يكونُ الأسَدُ عِراقيًّا ويكونُ سَوادِيًّا ويكون من أَجَمَة أبْزيقيا[٤] فإنَّ الفيلَ لايقوم له .

(قول صاحب الفيل)

وقال صاحب الفيل : الفيل لايُعاينُ أسداً أبْزيقيًّا[٥] حتى تفسَخَه البِلْدة ، وتَهدِمَهُ الوحشة[٦] ، ويُمرضه الغِذاء ، ويُفسده الماء . وهو لايصل إلى ذلك المكان حتى يجمع بينه وبين [ذلك] الأسد ، وحتى يَسْمَع تجاوُبَ السَّنانير وتَضَاغِيَها[٧] — وهو أسمَعُ من قُراد — فيغِبّ ذلك في صدره[٨] ، وتتزايد[٩] تلك الوَحشةَ في نفسه ، فمتى رأى أسداً قائماً فربَّما دعَته الوحشة[١٠] منه ، والبغض المجعُول[١١] [فيه] ، إلى الصُّدُود والذَّهاب

---

(١) لايطور طواره : لايقرب منه . والطور والطوار : ما كان على حذو الشيء أو بحذائه . فيما عدا ل : « طوره » .

(٢) فيما عدا ل : « ولا يخليه » ، محرف .

(٣) فيما عدا ل : « سفاده » .

(٤) فيما عدا ل : « أفريقيا » .

(٥) فيما عدا ل : « أفريقيا » .

(٦) فيما عدا ل : « وتوهنه الوحشة » .

(٧) تضاغيها : تصايحها ، وهو الضغو والضغاء . فيما عدا ل : « وتضغاطها » ، محرف .

(٨) يغب في صدره : يقع فيه . انظر اللسان (٢ : ١٢٧) . فيما عدا ل : « فيثبت » .

(٩) هـ : « وتزايد » ل : « وتتراد » .

(١٠) فيما عدا ل : « حملته الدهشة » .

(١١) ط ، س : « المجبول » .

عنه . فيظنُّ كثيرٌ من الناس أنَّ ذَهابَه هرَب ، وأنّ صدودَه جُبْن ، وإنَّما هو من الوَحشة منه ، والكَراهة لمنظَرَتِه[1] . وربَّما اضطرَّهُ الأسدُ بخَرْقه حتى يُنقَضَ حِلمُه ، ويُغلَب وقارُه ، فيخبطُه خَبطةً لايُفلح بعدها أبداً .

(فخر صاحب فرس الماء)

قال صاحبُ الفَرَس : زعمتم أنَّ الأسدَ فى الأرض كالعقاب فى الهواء ، وكالتمساح فى الماء ، وأنَّ تمساحا وأسداً اعتلجا على شريعةٍ فقتَلَ كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه ، وكأنَّ التمساح ضرب [الأسد] بذنبه فى الشريعة ، وضغمَ الأَسدُ رأْسَه فماتا جميعاً .

قال : والفرَسُ المائىُّ بالنِّيل يقتُلُ التَّماسيحَ ويقهرُها ويأكلها ولا يُساجلُها الحرب ، ولا تقَعُ بينهما مغالَبةٌ ومجاذَبة ، وتكون الأيام بينهما دُوَلاً . فهذه فضيلةٌ ظاهرة على الأَسد ، وشرفُ فرَس الماء راجعٌ إلى فرس الأَرض ، فإنْ كان فرسُ الأرض لايقوى على الأَسَد ولا على النَّمر ولا على البَبْر ، فإن ابنَ عمِّه وشكلَه فى الجنْسِ قد قوِىَ على التِّمساح وهو رئيسُ سُكان الماء .

قالوا : أمَّا واحدة فإن التِّمساح ليس برئيسِ سُكان الماء إلا أن تَريد[2] بعضَ سكان الأَودية والأَنهار والخُلجان والبُحَيْرات[3] فى بعض

---

(١) فيما عدا ل : « لمنظره » . وانظر لاستعمال الجاحظ « المنظرة » ماسبق (٣ : ٣٩٥ / ٥ : ٤٨ ، ١٦٠) .

(٢) فيما عدا ل : « يريد » .

(٣) البحيرات : جمع بحيرة ، وهو البحر الصغير ، أدخلوا الهاء فيه على توهم « بحرة » . فيما عدا ل : « المتحيزات » .

المياه العذبة . والكوسج واللُّخم والسَّرَطان والدُّلْفين وضُرُوبٌ من السباع[1] مما يعايشُ السَّمك ليس التمساح من بابه[2] . وعلى أن التمساح إنما[3] يأكله ذلك الفرسُ وهو فى الماء ، وليس للتمساح فى جوف الماء كبيرُ عملٍ إلا أن يحتمل شيئاً بذنبه ويحتجنَه إليه[4] ، ويدخله الماء ؛ وربَّما خرج إلى الأرض للسِّفاد ولحضْن البيض ، فلا يكونُ على ظهر الأرض شىءٌ أذلَّ منه . وذلُّه على [ظهر] الأرض شبيهٌ بذُلِّ الأسَد فى وسط الماء الغَمْر . ولَعمرى أنْ لو عَرَض له هذا الفرسُ فى الشرائع فغلبه[5] لقد كان ذلك من مفاخره ، فلذلك لم تُذْكَر[6] الخيل فى باب الغلبة ، والقتال والمساجلة ، ٤٧ والانتصاف من الأعداء .

والفرَس قد يُقاتل الفرسَ فى المُرُوج إذا أراد أن يحمِىَ الحجور ، كما يحمِى العيرُ العانة ويقاتل دونها[7] كلَّ عيرٍ يريد مشاركتَه فيها ، وهذا شىءٌ يعرض لجميع الفُحولة فى زمن الهيج .

وقد يصاوِلُ الجملُ الجملَ فربَّما قتلَ أحدُهما صاحبَه ، ولكنَّ هذه الفَحولةَ لاتعرِض لشىءٍ من الحيوان فى غير هذا الباب .

---

(١) أى سباع البحر . وفيما عدا ل : « من السمك » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « ينهش التمساح من بابه » ، محرف .

(٣) فيما عدا ل : « ربما » .

(٤) الاحتجان : الضم والإمساك ؛ وأصله أن يجذب الشئ بالمحجن ، وهو عصا معققة الرأس . فيما عدا ل : « ويلحجه إليه » ، وهى صحيحة أيضا ، يقال ألحجه إليه ، أى أماله .

(٥) فيما عدا ل : « فقتله » .

(٦) فيما عدا ل : « لم نذكر » .

(٧) فيما عدا ل : « عليها » .

وإن أرادَ الفرسَ أسدٌ ، فليس عنده من إحراز نفسه وقَتْل عدوِّه ماعند الجاموس ، فإنْ فضَلَه الجاموسُ بقرنيه ، فإن السِّلاح الذى فى فَم الفَرس[١] لو استعمله لكان سِلاحا ، ولو استدْبَرَ الأسدَ فركله ورَمحه وعَضّه بفيه ، لكان ذلك ممَّا يدفع عنه ويحمِى لحمَه .

وليس للجاموس فى أظلافه وفى [يديه و] رجليه وفى فمه سلاح ، فقد دلّت الحالُ على أنّ مدارَ الأمر إنَّما هو [فى] شَجاعة القلب .

وفى هذا القياس أنّ الصَّقْر إنَّما[٢] يواثِبُ الكُرْكىَّ لمكان سلاحه دون شجاعة القلب[٣] التى يقوى بها الضَّعيف ، و بخلافها يضعُف القوىّ .

وسأقرّب ذلك عندك[٤] ببعض ماتعرِفه ، لانَشكّ[٥] أنّ الهرَّ أقوى من الهرَّة فى كلِّ الحالات ، حتى إذا سفِدها فحدثَتْ بينهما بغضاء ومطالبة[٦] حدثت للهرَّة شجاعةٌ وللهرِّ ضَعف ، فصارت الهرَّةُ فى هذه الحال أقوى منه ، وصار الهرُّ أضعف . ولولا أنَّه يُمعِن فى الهرب غايةَ الإمعان ثمَّ لحقته ، لقطَّعته وهو مستخذٍ .

ومثل ذلك[٧] أنَّ الجُرذ يُخْصَى ، ويرمى به فى أنابِير التّجّار[٨]

---

(١) فيما عدا ل : « فإن البيان الذى فى القرن » محرف .

(٢) ل : « لم » .

(٣) ل ، س : « قلبه » .

(٤) فيما عدا ل : « وسأقرو لك ذلك » لكن فى هـ : « وسافر » ؛ وهذه محرفة .

(٥) فيما عدا ل : « لاتشك » بالتاء .

(٦) فيما عدا ل : « حدث بينهما بغض ومطالبة » مع زيادة واو أول الكلام بعدها .

(٧) فيما عدا ل : « ومثال ذلك » .

(٨) الأنابير : جمع أنبار ، والأنبار : جمع نبر بالفتح . والأنبار : أهراء الطعام ، وهى البيوت الكبيرة الضخمة التى يجمع فيها طعام السلطان . س : « أبابين » ، بالإهمال . هـ : « أبابين » محرفتان . انظر ما سبق فى (٥ : ٣٦٠) .

وفى الأقرِحَة[١] والبيادر ، فلا يدَعُ جُرذًا ضخما قد أعيا المرّ[٢] وابن عِرْس إلاّ قتَلَه ، وإنْ كان أعظمَ منه وأشدّ .

والخَصىُّ من كلّ شيءٍ أضعَفُ قوّةً من الفَحْل إلّا الجرذ ، فإنه إذا خُصى أحدث له الخصاء[٣] شجاعةً وجَراءة ، وأحدثَتْ له الشَّجَاعة قوّة وأحدث علم الجرذان بحال الخصاء لها[٤] جُبْنا ، وأحدَثَ الجُبنُ لها ضعْفاً .

والرَّجُلُ الشّدِيدُ الأسر قد يَفْزَعُ فتنحلُّ قُوَاهُ[٥] ، ويسترخى عصبُه حتّى يضربه الصبىُّ . والذِّئبُ القوىُّ من ذئاب الخَمَر[٦] يكون معه الذئبُ الضعيف [من ذئاب البرارى] ، فيصيب القوىَّ خدشٌ يسيرٌ[٧] ، فحينَ يَشَمُّ ذلك الذئبُ الضعيف رائحةَ الدَّم وثب عليه[٨] ، فيعترى ذلك القوىَّ عند ذلك من الضّعف بمقدار ما يعترى الضعِيفَ من القُوَّة حتى يأكله كيف شاء .

---

(١) الأقرحة : جمع قراح ، كقذال وأقذلة . والقراح : الأرض المخلصة لزرع أو لغرس ، وكل قطعة على حيالها من منابت النخل وغير ذلك . ط ، س : « الأبرجة » هـ : « الأبرحة » ، صوابهما فى ل . وانظر ماسبق فى (٥ : ٣٢٣) .

(٢) ل : « قد غلب الهر » .

(٣) فيما عدا ل : « الخصى » ، وهو تحريف كتابى .

(٤) لها ، أى الجرذان التى لم تخص . وفى س : « له » أى بحال الخصاء الجرذ . أقحمت كلمة « له » بعد « أحدث » فى كل من ط ، هـ .

(٥) فيما عدا ل : « قوته » .

(٦) الخمر ، بالتحريك : ماواراك من شجر وغيره . انظر لذئب الخمر ما سبق فى (١ : ٢٢٠ / ٤ : ١٣٣ ، ١٣٤ / ٦ : ١٢٣ ، ١٧١ ، ١٨٨ ، ٤١٠) . فيما عدا ل : « ذئب الحم » تحريف .

(٧) بدلها فيما عدا ل : « فإن رمى القوى أحدث ذلك الضعيف طمعا » .

(٨) وثب عليه ، كذا وردت فى جميع النسخ ، على الحكاية . فيما عدا ل : « فعند مايرى الدم وثب عليه » .

والأسَد الذى يعتريه الضَّعف فى الماء الغَمْر حتّى يركبَ ظهرَه الصبىُّ ثم يقبضَ على أذنيه فيُغِطّه[١] كيف شاء .

وقد يفعل به ذلك غِلمان السَّوَادِ وشاطئ الفرات ، إذا احتملت المدودُ الأسْدَ لاتملك من أنفُسها شيئاً ، وهو مع ذلك يشدُّ على العسكر حتى يفرقه فَرْقَ الشعَر[٢] ، ويطويه طيَّ السِّجل ؛ ويهارِشُ النمرَ عامّةَ يومه[٣] لايقتلُ أحدُهما صاحبَه ، وإنْ كان الجمل الهائجُ باركا أتاه[٤] فضرب جنبَه ليثنِيَ إليه عنقَه ، كأنه يريد عضّهُ[٥] فيضربُ بيساره إلى مشْفره[٦] فيجذبه جذبةً يفصل بها [بين] دَأْيات عنُقه ، وإن ألفاه قائماً وثب وثبة[٧] فإذا هو فى ذروة سنامه[٨] ، فعند ذلك يصرفه كيف شاء ، ويتلعَّب[٩] به كيف أحبّ . ٤٨

ونحن لانشكُّ أنّ للفَرَس تحتَ الفارس غَناءً فى الحرب لايُشْبهه غَناء ، ولذلك فُضِّل فى القَسْم . وإنما ذلك بتصرِيف راكِبه له ، وقتالِه عليه . فأمّا هو نفسهُ فإنه إذ كان[١٠] أوفرَ سـلاحا من الجاموسِ

---

(١) غطه فى المـاء يغطه ، بضم غين المضارع وكسرها : أى غمسه . ل : « فيعطيه » ، محرفة .

(٢) فيما عدا ل : «حتى يفرق تفريق الشعر » .

(٣) اليوم : النهار . فيما عدا ل : « عامة نهاره » .

(٤) فيما عدا ل : « أتى » .

(٥) ط ، هـ : « غصته » .

(٦) س : « مشرفة » محرفة ط ، هـ : « مشفر فه » ، وأثبت ما فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « وثب به »

(٨) فيما عدا ل : « على ذروة سنامه » .

(٩) فيما عدا ل : « ويلعب » .

(١٠) فيما عدا ل : « فأما هو فى نفسه فإن كان » ، محرف .

وخام عن قِرنه [١] ، واستسلم لعدوِّه ؛ فإنّه من هاهنا لايقدم [٢] [على غيره . ولم يكن اللهُ ليجعلَ [انحصارَ [جميع] أقسام الخير فى شخصٍ واحد ، ولكن [لمَّا] أن كان [الفرَس] عليه تقاتل الأنبياءُ وأتْباع الأنبياء ، ملوكَ الكفَّار [٣] [وأتْباعَ مُلوك الكفّار] حتّى يقمَع اللهُ الباطلَ ويُظْهِر الحقّ ؛ فلذلك قدَّمناه على جميع البهائم والسِّباع ؛ وإنما نُقَدِّمه على الوجه الذى قدَّمه الله فيه .

(الرد على صاحب فرس الماء)

واعترضَ على أصحاب فرَس الماء معترِضون فقالوا : الفرسُ لايكون إلاّ بهيمة ، والبهائم لاتصيد وتأكل صَيدَها ، وإنما طعامُ الفرسِ النَّباتِ وليس اللَّحمُ لها بطعام . وقال النمر بن تولب :

والخيلُ فى إطعامها اللّحمَ ضرَرْ نُطعِمُها اللّحمَ إذا عَزَّ الشَّجَرْ [٤]

فى كلمته التى يقول فيها :

* اللهُ من آياته هذا القمرْ *

وقد تُعلَف فى تلك الحالاتِ اللّحمَ اليابس وهسيسَ السّمك [٥] . فأمّا الهسيس [٦] فلخُيول أهل الأسياف خاصّة .

---

(١) خام عنه يخيم : نكص وجبن . ط : « وفر عن قرنه » ﻫ : « والبقر عن قرنه » تحريف . والكلمة التى قبل « قرنه » موضعها بياض فى س .

(٢) فيما عدا ل : « لايقدر » .

(٣) فيما عدا ل : « وملوك الكفار » ، والواو مقحمة .

(٤) كتاب البغال ٣٢٩ والشعراء ٢٦٨ والأغانى (١٩ : ١٥٩) واللسان (لحم) .

(٥) الهسيس : المدقوق من كل شىء . فيما عدا ل : « حشيش السمك » ، محرف .

(٦) فيما عدا ل : « الحسيس » . وانظر التنبيه السابق .

(الانتصار لصاحب فرس الماء)

قيل لهؤلاء المعترضين على فَرَس الماء : وقد يكون فى الخلْق المشترك وغير المشترك ما يأكلُ اللَّحمَ والحَبّ . فالمشترك مثلُ الإنسانِ الذى يأكل الحيوان والنبات . و [هذا] العصفور من الخلق [المشترك[1]] لأنّه يأكل الحبّ[2] ، ويصطاد النمل الطيّار والأَرَضة فيأكُلها ، ويأكل اللّحم . والدَّجاجُ تأْكل اللَّحمَ والدِّيدان ، وتحسُو الدّمَ وتلقُط الحبّ . والغراب لايَدَعُ شيئاً إلَّا أكله .

وما خرج من حدِّ المشترك وهو[3] كنحو الذِّئب والضَّبع ، وكنحو الشَّاهين والصَّقر ، فإنّ هذه وأشباهَها لاتعرفُ إلا اللَّحم . [والحمامُ] وضروبٌ من الطيرِ لا تعرِف إلَّا الحبَّ والنَّبات . والمشتركُ أجمَعُ[4] مما هو غير مشترك .

والسّمكة تأكل الطِّين[5] والنّبات ، وتأكل الجيف التى تصيب فى الماء ، وتُصاد بضروبٍ من الحيوان تُجعل لهـا فى الشُّصوص[6] ، ثم ينصبون لـكلِّ ضربٍ [من السَّمك بضربٍ] من الطُّعم[7] . ٤٩

والجِرّىُّ يأكل الجرذانَ ويصيدُها ، وهو آكلُ لها من السّنانير

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط .
(٢) فيما عدا ل : « يأكل اللحم والصيد » .
(٣) ل : « فهو » .
(٤) أجمع : أى أكثر جمعا لضروب الطعام
(٥) فيما عدا ل : « الطير » ، تحريف .
(٦) الشصوص : جمع شص . وفيما عدا ل : « الشطوط » ، محرف .
(٧) فيما عدا ل : « من الطعام » .

والحيّات والكلابِ السَّلوقية ، ويأكلُ الجِرِّىَ جميعَ جِيفِ الموتى .
والسَّمك يأكل السّمكَ ويأكلُ من كلّ حَبّ ونبات يسقط فى الماء .

وإن استفهَمَ مستفهِمٌ ، أو اعترض معترضٌ فقال : وكيف يأكل الجِرِّىُّ الجرذان ، والجرذانُ أرضيَّةٌ بيوتيَّة ، والجِرِّىُّ مائى ؟ قيل له : يخبِّرنا جميعُ مَن يبيتُ فى السُّفن وفى المشارع ، فى فيض[1] البَصرة عندنا ، أنّ جرذان الأنابير[2] تخرُج أرسالاً باللّيل كأنّها بناتُ عِرْس ، والجِرِّىُّ قد كَمَنَ لهنَّ وهو فاتحٌ فاه ، فإذا دنا الُجرذُ من الماء فعبَّ فيه التهمه[3] ليس دون ذلك شىء ، بشَجْر فمٍ واسع[4] يَدخُل فى مثله الضبُّ الهرم . وإنما يضَع مخطمه على الشَّريعة[5] .

(شىء من الطرف والحكم والأشعار)

[وسنذكر شيئاً من الطُّرَف والحِكم والأشعار ، إذْ كُنّا قد ذَكَرْنا من الكلام فى الحيوان صدراً صالحا ، وأبوابا جامعة ، ثم نعود فى ذكر الفيل إنْ شاء الله ، واللهُ الموفِّق . قال الشَّاعر[6] :

ونحنُ أناسٌ لاحجازَ بأرْضِنا ... معَ الغَيْثِ مانُلْقَى ومَن هو غالبُ[7]

---

(١) ط فقط : « فيض » تحريف . وفيما عدا ل : « وفى » .
(٢) الأنابير ، سبق تفسيرها فى (٥ : ٣٦٠) . س : « الأيايير » بالإهمال . هـ : « أيايير » صوابهما فى ل ، ط .
(٣) فيما عدا ل : « التقمه » .
(٤) شجر الفم : مفرجه . فيما عدا ل : « بسحر » ، محرف .
(٥) بعد هذه الكلمة فى نسخة كوبريلى المرموز إليها بالرمز « ل » تكملة كبيرة تبدأ من المعقف التالى . وسأنبه إلى موضع انتهائها فيما بعد . وموقع هذه الزيادة فى نسخة كوبريلى مابين صفحتى ١٤٥ ، ١٥٧ ثم مابين صفحتى ١٢ ، ١٥ . وسننبه إلى نهايتها فى ص ١٦٧ .
(٦) هو الأخنس بن شهاب التغلبى ، من قصيدة له فى المفضليات (٢٠٤ – ٢٠٨) .
(٧) أى نلقى مع الغيث : كلما وقع فى بلد صرنا إليه وغلبنا عليه أهله .

وإن قصُرَت أسيافُنا كان وصلُها ... خُطانا إلى أعدائنا فنضارب[1]
ترى كلَّ قومٍ ينظرون إليهمُ ... وتقصُر عمّا يبلغون الذّوائبُ

مثل قول الآخر :

لكلِّ أناسٍ سُلَّم يَرْتقَى به ... وليس إلينا فى السَّلاليمِ مطلعُ
ومنزلُنا الأعلَى حجازٌ لمن به ... وكلُّ حجازٍ إن هبطناهُ بلقعُ
وينفِر منا كلُّ وحشٍ وينتمِى ... إلى وَحْشِنا وحشُ البِلاد فيَرْبعُ

وقال حسَّان بن ثابت :

ونَدْمانِ صِدقٍ تقطر الخيرَ كَفُّه ... إذا راح فَضْفاضَ العشيَّاتِ خِضْرِما[2]
وصلتُ به كفِّى وخالَطَ شِيمَتى ... ولم أكُ عِضًّا فى الندامى مُلوَّما[3]
لنـا حاضرٌ فعمٌ وبادٍ كأنَّه ... شماريخُ رَضْوَى عِزَّةً وتكرُّما
ولدْنا بنى العَنْقاء وابنَىْ محرِّقٍ ... فأكرِمْ بنا خالاً وأكرم بنا ابنما
لنا الجفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فى الضُّحَى ... وأسيافُنا يقطُرْنَ من نجدةٍ دَما

وقال أعرابىٌّ غزلىّ :

بنفسى وأهلى مَن إذا عَرَضُوا له ... ببَعض الأذَى لم يَدْرِ كيف يُجيبُ[4]
ولم يعتذِرْ عُذْرَ البرىء ولم تَزَلْ ... به سَكْتةٌ حتّى يُقالُ مُريبُ

وقال أعرابىٌّ من هُذيل :

رَعاكِ ضمانُ اللهِ يا أمَّ مالكٍ ... ولَلهُ أن يَسْقِياكِ أولَى وأوسعُ[5]
يُذكِّرُنِيكِ الخيرُ والشرُّ والذى ... أخافُ وأرجو والذى أتوقَّعُ

---

(١) انظر تاريخ هذا المعنى فى شرح المفضليات (٢ : ٧) .
(٢) رواية الديوان ٣٧٠ : « بمطر الخير » و : « فياض العشيات » .
(٣) العض ، بالكسر : السيىء الخلق . وعجز هذا البيت فى اللسان والمقاييس (عضض) .
(٤) وكذلك ورد البيتان بدون نسبة فى الحماسة (٢ : ١١٨) .
(٥) البيتان بدون نسبة فى البيان (٣ : ٣٣٠) والحماسة (٢ : ١١١)

قطعة من أشعار الاتماظ

قال الشاعر :

عليك من أمرِكَ ماتستطيع ... ومااليس يُغْنِيك عنه فَذَرْ

ولَلصَّمْتُ أجْمَلُ فى حِينِهِ ... مِنَ القَوْلِ فى خَطَل أوْ هَذَرْ

وكم غائبٍ كَانَ يَخشَى الرَّدَى ... فعادَ وَأوْدَى الذى فى الحضَرْ

وبينا الفَتى يُعْجِبُ النَّاظرِ ... نَ مال إلى عِطْفِه فانقعَرْ

وبعضُ الحوادث إن يُبْقِهِ ... فإنَّ الفَنَـا شأنُهُ وَالـكِبَرْ

وكم من أخى نجدة ماهرٍ ... تعلَّقَه الدَّهْرُ حتى عثَرْ

وكم من أخى عثرة مُقْـترٍ ... تأتَّى لهُ الدَّهرُ حَتى انجَبَرْ

وقال علقمة بن عبدة[1] :

وكلُّ قوْمٍ وإن عزُّوا وإنْ كَثُرُوا ... عَرِيفُهُمْ بأَثافى الشَّرِّ مرجومُ

والحمدُ لا يُشْتَرَى إلا لهُ ثمنٌ ... مِمَّا يَضَـنُّ به الأقوامُ معلومُ

والجهلُ مَنْقَصَةٌ شَيْنٌ لصاحبِهِ ... والحِلْمُ آونَةً فى النَّاس مَعْدُومُ[2]

وكلُّ حِصْنٍ وإنْ طالَتْ سلامَتهُ ... على دعائمه لابدَّ مَهدومُ

ومَنْ تَعَرَّضَ للغرْبانِ يَزْجُرُهَا ... عَلَى سَـلامَتِهِ لابُدَّ مشئومُ

وَمُطْعَمُ الغُنْمِ يَوْمَ الْغنمِ مُطْعَمُهُ ... أنَّى تَوَجَّهَ والمحرومُ مَحْرُومُ

وقال عدىُّ بن زيد العبادىّ ، وهو أحدُ من قدحُمِـل عَلَى شعره الحَمْلُ الـكثير ، ولأهل الحِيرة بشعره عنايةٌ ، وقال أبو زيدٍالنحوىّ : « لَو تمنَّيت أنْ أقولَ الشِّعر ماقلتُ إلا شعرَ عدىٍّ بن زَيد » :

---

(١) انظر ديوانه ١٢٩ والمفضليات (٤٠١) .

(٢) الحلم : نقيض الجهل . وفى الأصل : « والعلم » ، صوابه فى الديوان والمفضليات .

كَفَى زاجراً للمرء أيَّامُ عُمْـرِهِ ۞ تَرُوح له بالواعظاتِ وتغتدى
فنفسَكَ فاحفَظْها من الغىِّ والرَّدَى ۞ مَتَى تُغْوِها تُغْوِ الذى بك يَقتَدِى
فإنْ كانتِ النَّعماءُ عندَكَ لامرىءٍ ۞ فمثلاً بهاَ فاجْزِ المُطالب أوزِدِ(١)
عن المرْء لاتَسألْ وأبصِرْ قرينَه ۞ فإنَّ القرين بالمقارَنِ مُقتدِى(٢)
ستُدرِك مِن ذى الجَهْل حقَّك كله ۞ بحلمك فى رِفْق وَلَمَّا تَشَدَّدِ
وظُلم ذوِى القرْبَى أَشـدّ عداوةً ۞ على المرء من وَقْع الحُسام المهنّدِ(٣)
وفى كثرة الأيدى عن الظُّلم زاجرٌ ۞ إذا خَطرَتْ أيدى الرِّجال بمشهَـدِ

قال المهلب بن أبى صُفرة : « عجِبْتُ لمن يشترى المماليكَ بمالِهِ كيف لايشترى الأحرارَ بمعروفه » .

وقال عبد الله بنُ جعفرٍ لرجلٍ يُوصِيه : « عليك بصُحبةِ مَنْ إنْ صحِبْتَهُ زَانَك ، وإنْ تركتَه شانَكَ ؛ إن سألتَه أعطاك ، وإن تركتَه ابتداك ؛ إنْ رأى منك سيِّئة سدَّها ، وإن رأى حسنةً عدّها ؛ إن وَعَدَك لم يُجْرِضْك(٤) وإن ألجِئْتَ إليه لم يرفُضْك » .

وسأل يزيدَ بنَ المهلَّب رجلٌ من أصحابه حاجةً وذَكَرَ له خَلَّة ، فقال : أوجِّهُ بها إليك . ثمَّ حَمَلَ إليه خمسين ألفَ درهم ، ثم كتب إليـه : « قد وجَّهتُ إليك بخمسينَ ألفَ دِرهم ، لم أذكُرْها تمنُّنا ، ولم أدَعْ ذكرها تجبُّرا ، ولم أقْطَعْ بها لك رَجاء ، ولم أُرِدْ بها منك جزاء » .

---

(١) فى الأصل : « فمثلاتها فاجز المطالب أورد » . وقد جاء على الصواب الذى أثبت فى حماسة البحترى ٢٥٣ .

(٢) فى حماسة البحترى ٣٣٦ : « وسل عن قرينه » .

(٣) نسب هذا البيت إلى طرفة فى معلقته . وقال التبريزى : « قيل إن هذا البيت لعدى بن زيد العبادى وليس من هذه القصيدة » .

(٤) أجرضه : أغصه بريقه بالهم والحزن . وفى الأصل : « لم يعرضك » والإعراض : الإفساد .

وقيل[١] ليزيد : ما أحسَنُ مامُدِحتَ به ؟ قال : قول زياد الأعجم :

فتًى زادهُ السُّلطانُ فى الحمدِ رَغبةً إذا غَيَّرَ السلطانُ كلَّ خليلِ[٢]

شبيهٌ بقول الآخَر :

فتى زادَهُ عِزُّ المَهابةِ ذِلَّةً وكلّ عزيزٍ عندَه متواضعُ

وقال الآخر ، وهو يدخل فى باب الشكر :

شوقى إليك يا أبا العبّاسِ طيَّرَ ما أبْلَيْتَنى نُعاسِى[٤]

إنّى لمعروفك غير ناس والشُّكرُ قِدْمًا فى خيار النّاسِ

أبيات لبعض الشعراء العميان

أنشدنى ابنُ الأعرابىّ لرجلٍ من بنى قُرَيع يَرْثى عينَه ويذكر طبيبا :

لقد طُفتُ شرقَ البلادِ وَغَرْبَها فأعْيـا عَلَىَّ الطِّبُّ والمتطبِّبُ

يقولون إسماعيلُ نَقَّابُ أعيُنٍ وما خير عَيْنٍ بعد ثَقْبٍ بمثقبِ

يقولون ماءٌ طيِّبٌ خان عينَه وما ماءُ عينٍ خانَ عيناً بطيِّبِ

ولكنّه أيّامَ أنْظُرُ طيِّبٌ بعينَىْ قُطامىٍّ علا فوقَ مَرْقبِ[٥]

أحَمَّ حديدِ الطَّرْف ماخال عينَه شآبيبُ ماءِ المُزْنة المتصبِّبِ

كأنَّ ابنَ حَجلٍ مدَّ فضلُ جناحه على ماءِ إنسانيهما ماءَ طُحلبِ

وقال الخُرَيمىّ :

كفى حزَناً أن لا أزورَ أحبّتى من القرب إلاّ بالتَّكلُّفِ والجهدِ

---

(١) فى الأصل : «فقيل» .

(٢) فى البيان (١ : ٧١) : « فى الود رفعة » . وفى الكامل ٣٦٦ : « فى المدح رغبة » وفى الحماسة بشرح المرزوقى ١٧٩١ : « فى الحمد رغبة » ، مع نسبته فى الحماسة إلى حبيب ابن عوف .

(٣) البيت فى البيان (٢ : ٢٣٣) .

(٤) أبلاه : صنع به صنيعا . قال زهير :

جزى الله بالإحسان مافعلا بكم فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

(٥) القطامى ، بضم القاف وفتحها : الصقر .

وأنّى إذا حُيِّيتُ ناجَيتُ قائدِى ... ليَعدِلَنى قبل الإجابة فى الردّ[١]

إذا ماأفاضُوا فى الحديث تقاصَرَتْ ... بىَ النَّفْسُ حتى ماأحِيرُ وما أُبْدِى

كأَنّى غريبٌ بينهم لستُ منهمُ ... فإنْ لم يحولوا عن وفاءٍ ولا عَهدِ

أُقاسى خطوبا لايقوم بثِقْلها ... من الناسِ إلا كلُّ ذِى مِرَّةٍ جَلْدِ

باب

فى الحاجة

قال ابنُ الأعرابىّ : قيل للأحنف : أتيناك فى حاجةٍ ، لاتَرْزَؤُك ولا تنكؤك . فقال : « ليس مِثلى يُؤْتَى فى حاجةٍ لاتَرْزأ ولا تَنكأ » .

وقال أعرابىٌّ لرجلٍ : « إنى لم أصُنْ وجْهى عن الطَّلب إليك ، فصُنْ وجهَك عن رَدِّى ، وأنزِلْنى مِنْ كرمك بحيثُ وَجْهى مِنْ رجائك » .

وقال أبو عقيل بن دُرُسْت : « لم يقْضِ ذِمامَ التَّأميل ، ولم يَقم بحُرمة الرَّجاء إلّا مَن أعطاها حقَّها ، ووفّاها حظَّها ، وعرَف قدْرَها ، وكيف يستبقى النِّعمة فيها ، وكيف الشُّكرُ على أداء حقِّها ، بالبِشْر عند المسألة ، وقلّةِ التَّضجُّر عند المعاودة ، وتوكيد الضَّمان عند العِدَة ، وانتهازِ الفرصة عند القُدرة . ويكونُ النُّجح المعجل أحبَّ إليه من عُذْر المَصْدَق[٢] ، وحتّى يرى أنَّ حقّك عليه فى بذْل وجهك إليه أكثرُ من حقِّه عليك فى تحقيق

(١) يقول : لاأعرف من أين يصدر صوت التحية ، وذلك لثقل السمع ، فأطلب من قائدى أن يوجهنى إلى جهة من حياقى لأرد تحيته . ومثله قول ذى الإصبع فى المعمرين ٩٠ :

لاأسمع الصوت حتى أستدير له ... ليلا وإن هو ناغانى به القمر

(٢) المصدق : الصدق ، مصدر ميمى .

أملك فيه . ثم إيجاب سترها ، فإنَّ سَتْرَها هو المخبر عنها ، والدالُّ عليها ، والزَّائد فى قدرها ، والمتوَلِّى لنَشرها[١] » .

وقال الشاعر :

فإنَّ إحياءَها إماتتُها وإنَّ مَنًّا بِهَا يكدِّرَها[٢]

باب فى الوعد والوفاء به والخلف له

قال عمرو بن الحارث : « كنتَ متى شئتُ أن أجِدَ صفةَ من يَعِد وينجز وجدتُه ، فقد أعيانى من يعدُ ولا ينجز[٣] » .

وقال أبو إسحاق النَّظام : « كنَّا نلهو بالأمانى ، ونَطيب أنفسَنا بالمواعيد ، فَذَهَبَ مَنْ يَعِدُ ، وقطعَتْنا الهمومُ عن فضول الأمانى » .

وقال الشّاعر :

قد بَلَوناكَ بحمد اللـــه إن أغنى البلاءُ[٤]

فإذا جُــلُّ مواعيـــدِكَ والجَحدُ سواءُ

وقال أعرابىٌّ : «وعْدُ الكريم نقدٌ وتعجيل ، ووعد اللئيم مَطلٌ وتعطيل» .

---

(١) فى الأصل : « لبشرها » محرف .

(٢) البيت لعروة بن أذينة ، كما فى عيون الأخبار (٣ : ١٧٣) . وقبله :

لاتتركن ، إن صنيعة سلفت منك وإن كنت لاتصغرها

إلى امرئ ، أن تقول إن ذكرت عندك فى الجد لست أذكرها

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٣ : ١٤٤) وبعده : « قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون فقد صاروا يقولون ويفعلون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ، ثم صاروا لايقولون ولا يفعلون » .

(٤) البيتان بدون نسبة فى البيان (٢ : ٣٥٥) وعيون الأخبار (٣ : ١٤٥) .

وذمّ أعرابيٌّ رجلاً فقال : « إذا أَوْعَدَ [1] صدق ، وإذا وَعَدَ كذب ، ويغضَبُ قبل أن يُشتَمَ ، ويجزِم قبلَ أن يَعْلَم » .

وقال عبدُ الله بنُ قيس الرقيّات [2] :

اخْتَرْتُ عبدَ العزيزِ مرتغِبا ... واللهُ لِلمرْءِ خيرُ مَنْ قَسَما

مِن الهاليل مِنْ أميَّةَ يَزْ ... دادُ إذا ما مَدَحْتَه كرَما

جاءت به حُرَّةٌ مهذَّبةً ... كلبيَّةٌ كان بيتُها دِعَما

هُنَّ العَرَانينُ من قضاعةَ أَمْـ ... ـثالُ بنيهنَّ تمنع الذِّمما [3]

تُكِنُّهُ خِرْقةُ الدِّرَفْس من الشمْـ ... ـسِ كلَيْثٍ يُفرِّج الأَجَما [4]

يقُوتُ شِبْلَين فى مَغارِها ... قد ناهَزَا للفِطام أو فُطِما [5]

لم يأتِ يومٌ إلا وعندَهُما ... لحمُ رجالٍ أو يَوْلَغان دَما [6]

فذاك أشبَهْتَهُ ابنُ ليْلَى ولـ ... ـكنَّ ابنَ ليلَى يفوقُه شيَما [7]

---

(١) فى الأصل : « وعد » .

(٢) من قصيدة فى ديوانه ص ٢٥٣ - ٢٦٠ يمدح بها عبد العزيز بن مروان ، مطلعها :

طرقته أسماء أم حلما ... أم لم تكن من رحالنا أمما

(٣) فى الأصل : « بينهن » ، صوابه من الديوان .

(٤) فى شرح الديوان : « يريد الراية » يعنى خرقة الدرفس .

(٥) فى الديوان : « شبلين عند معارقة » . وفى الأغانى (٤ : ١٦٠) : « ترضع شبلين وسط غيلهما » . وفى اللسان (ولغ) : « مرضع شبلين » . وقد نسب البيت وتاليه فى اللسان إلى ابن هرمة ؛ قال : « ونسبه الجوهرى لأبى زبيد الطائى » . وهذا وهم فى النسبة والرواية .

(٦) يقال ولغ يولغ ، مثل وجل يوجل . وروى : « يألغان دما » ، ولذلك قصة ذكرها صاحب الأغانى . ورواية الأغانى واللسان : « ما مر يوم إلا وعندهما » .

(٧) هذا على الالتفات . ورواية الديوان : « فذاك شبهته ابن ليلى » ؛ يقال شبهه إياه وشبهه به .

مَنْ يَهَبُ البُخْتَ والولائد كالـ غِزْلانِ والخيلَ تعلك اللجما
يُنكر « لا » إنّ « لا » لمنكَرَةٌ مِنْ فيه إلّا مُحَالِفاً نَعَما

وقال زيادَة بن زيد(١) :

إذا فُرْجَةٌ سدّتْ عليكَ فروجَها فأنتَ مُلاقٍ لا مَحالةَ مَذْهَبا(٢)
فلم يجعلِ اللهُ الأُمورَ إذا اغتدت عليك رِتاجًا لا يُرامُ مُضبَّبا
كفاك الغِنى يوماً إذا ما تقلَّبتْ به صَيرفيَّاتُ الأمورِ تقلبا
وإنى لمزْوَرٌّ قليلٌ تقلُّبى لوجهِ امرىءٍ يوماً إذا ما تجنَّبا(٣)
قليلٌ ليوم الشَّرِّ وَيْكَ تعرُّضى فإنْ حَلّ يوما قلتُ للشَّرِّ مَرْحَبا
مَلَكْنا ولم نُملَكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ وكان لنا حقّاً على الناس تُرْتُبا(٤)

وقال هُدْبة العُذْرِىّ(٥) :

فأُبْ بى إلى خيرٍ فقد فاتنى الصِّبا وصِيحَ بريْعانِ الشَّبابِ فنُفِّرا(٦)
أُمورٌ وألوانٌ وحالٌ تقلَّبتْ بنا وزمانٌ عُرْفُه قد تنكَّرَّا
أُصِبْنا بما لو أنّ سَلْمى أصابَهُ لَسُهِّلَ من أركانه ما توعَّرا(٧)

(١) فى الأصل : « زياد بن زيد »، تحريف . وزيادة بن زيد ، هو ابن أخت هدبة ابن الخشرم ، كما فى اللسان (رتب) . وقد قتله هدبة كما فى الأغانى (٢١ : ١٧٢) .
(٢) فى الأغانى (٢١ : ١٧٢) : « وإن جهة سدت عليك فروجها » .
(٣) فى حماسة البحترى ٨٥ والأغانى : « وإنى لمراض قليل تعرضى » .
(٤) ترتبا ، أى ثابتا ، كما فى اللسان (رتب) عند إنشاد البيت . ويروى كما فى اللسان : « فضل على الناس ترتبا » ومعناه فى هذه الرواية : على الناس جميعا . ورواية الأغانى : « كان لنا حقا » .
(٥) هو هدبة بن خشرم ، شاعر فصيح من بادية الحجاز ، وكان راوية الحطيئة . وهو وإخوته حوط وسيحان والواسع ، وأمه حية بنت أبى بكر بن أبى حية ، شعراء جميعا . وكان بينه وبين زيادة بن زيد مناقضات ومهاداة بالأشعار انتهت بقتل هدبة لزيادة . انظر الأغانى (٢١ : ١٦٩ — ١٧٣) .
(٦) فى الأصل : « فأوبى إلى خير »، تحريف .
(٧) سلمى : أحد جبلى طيىء ، وهما أجأ وسلمى .

فإن ننجُ من أهوالِ ماخاف قومُنا ... علينــا فإنّ اللهَ ماشاء يَسَّرا

وإنْ غالَنا دهرٌ فقد غال قبلَنا ... ملوكَ بنى نَصْرٍ وكِسرى وقَيْصَرا (١)

وذى نَيربٍ قد عابَنى لينالَنِى ... فأعيا مَداهُ عن مَداىَ فقَصَّرا (٢)

فإن يكُ دَهرٌ نالنى فأصابَنى ... برَيْبٍ فإنْ تَشْوِى الحوادثَ مَعْشَرا (٣)

فلستَ إذا الضَّرَّاءُ نابَتْ بجُبَّإٍ ... ولا جَزِعٍ إنْ كان دَهرٌ تغيَّرَا

وكان هُدبةُ هذا من شياطينِ عُذْرة ، وهذا شعرُه كما ترى ، وقد أُمِرَ بضرب عنقه وشَدّ خِناقه . وقليلاً ماترى مثلَ هذا الشّعر عند مثل هذه الحال ؛ وإنَّ آمرأً مجتمعَ للقلب ، صحيحَ الفكر ، كثير الرين (٤) ، عَضْبَ اللّسان فى مثل هذه الحال ، لشَاهِيكَ به مطلقاً غير موثق ، وادِعًا غير خائف . ونعوذ بالله من امتحان الأخيار .

وهو القَائلُ فى تلك الحال :

فلا تعذُلينى لا أرى الدَّهرَ مُعْتِبًا ... إذا ما مضى يومٌ ولا اللَّوْمُ مَرْجِعا

ولكنْ أرى أنّ الفتى عُرْضةُ الرَّدى ... ولاقِى المنايا مُصعِدا ومفرِّعا (٥)

---

(١) فى العمدة (٢ : ١٧٨) عند ذكر عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى أحد ملوك الحيرة : « ويقال إن نصرا هذا هو الساطرون صاحب الحضر . وهو جرمقانى من أهل الموصل ، وقيل هو من أشلاء قنص بن معد بن عدنان » .

(٢) النيرب ، بالفتح : الشر والنميمة . وفى الأصل : « وذى يثرب » ، محرف .

(٣) تشوى : تخطئ ولا تصيب . و « إن » قبلها نافية . وبين النحويين خلاف فى نحو هذا التعبير ، فقال بعضهم : لاتأتى إن النافية إلا وبعدها « إلا » . ورد عليهم بقوله تعالى : (إن أدرى أقريب) ، (وإن أدرى لعله فتنة) ، و (فيما إن مكناكم فيه) . انظر ابن هشام فى المغنى .

(٤) كذا فى الأصل . ولعلها : « الزبن » أى الدفع .

(٥) مفرعا ، هنا بمعنى منحدرا . وفى الأصل « مفزعا » تحريف . والتفريع من الأضداد ؛ يقال فرعت فى الجبل ، إذا صعدت ، وفرعت أى انحدرت . انظر اللسان (فرع ١١٩) والأضداد ٢٧٥ .

وإن التُّقَى خيرُ المتاع وإنما ... نَصيبُ الفتَى مِن ماله ماتمتَعا (١)

فلا تَنْكِحى إنْ فرَّقَ الدَّهرُ بيننا ... أغمَّ القفا والوجهِ ليس بأنْزَعا (٢)

ضروبا لِلَحْيِيه على عَظْم زَوْره ... إذا القوم هشُّوا للفعَال تقنّعا (٣)

وأُخرى إذا مازارَ بيتَك زائرٌ ... زيالك يومًا كان كالدَّهرِ أجمَعا (٤)

سأذكرُ من نفسى خلائقَ جمَّةً ... ومَجْـدًا قديماً طالما قد ترفّعا

فلم أرَ مثـلى كاوياً لدوائهِ ... ولاقاطعًاعِرقًا سَنونا وأخْدَعا (٥)

وما كنت ممَّن أرَّثَ الشرَّ بينَهم ... ولا حين جدَّ الشرُّ ممَّنْ تخشّعا

وكنتُ أرى ذا الضِّغنِ ممّن يكيدنى ... إذا ما رآنى فاترَ الطّرْفِ أخْشَعا

وما قرأتُ فى الشِّعر كشعر عبد يغوث بن صَلاءَة الحارثىّ ، وطرفة ابن العَبْد ، وهدبة هـذا ، فإنّ شِعرَهم فى الخوفِ لا يقصِّر عن شِعرهم فى الأمْن (٦) . وهذا قليلٌ جدًّا .

---

(١) البيت فى حماسة البحترى ٢٥٠ .

(٢) البيت فى اللسان (١٠ : ٢٣٠) . وقد روى فى حماسة البحترى ١٨٩ من بيتين هما :

فلا تنكحى إن فرق الدهر بيننا ... أكيبد مبطان الضحى غير أروعا

كليلا سوى مانال من أمر ضرسه ... أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

وللشعر قصة فى الأغانى (٢١ : ١٧٥) والخزانة (٤ : ٨٤ — ٨٨) . وبعض الأبيات فى عيون الأخبار (٤ : ١٥) بدون نسبة .

(٣) فى الأصل : « لحييه » ، صوابه فى حماسة البحترى ١٨٩ . وبعد البيت فى حماسة البحترى :

أصيهب لايرضيك فى الحى قاعدا ... إذا مشى أو قال قولا تبلتعا

وكونى حبيسا أو لأروع ماجد ... إذا ضن أوباش الرجال تبرعا

وصول وذى أكرومة وحمية ... وصبر إذا ماالدهر عض فأوجعا

(٤) كذا فى الأصل .

(٥) فى الأصل : « عرفا » بالفاء ، تحريف . والسنون ، بالفتح : وصف من سن الماء أى أرسله من غير تفريق ؛ فإذا فرقه بالصب قيل « شن » بالشين المعجمة . والسنون ، لم يذكر فى المعاجم .

(٦) نحو هذا الكلام فى البيان والتبيين (٢ : ٢٦٨) . أما شعر عبد يغوث =

من أشعار الأعراب

أنشدنى ابنُ الأعرابىِّ فى معنى قوله :

* كمَخْض الماءِ ليس له إتَاءُ[1] *

وما كان مثلى يعتريكَ رجاؤُه ... ولـكن أساءتْ هِمّةً مِن فتى مَحْضِ
وإنّى وإشرافى إليك بهمَّتى ... لـكالمُرْتجى زُبداً من الماء بالمخضِ

وقال الآخر فى مثل قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

فلولا اتّقاءُ الله قلتُ مقـالةً ... تَسِير مع الرُّكبان أبْرَدُها يَغْلِى
أبِنْ لى فـكنْ مِثْلِى أوَ ٱبْتغ صاحباً ... كمثلكَ ، إنى مُبْتغٍ صاحبًا مِثْلى[2]
ولا يلبثُ الأصحابُ أن يتفرَّقُوا ... إذا لم يؤلِّف رُوح شكلٍ إلى شكلِ

فقال :

لـكلِّ ٱمرئٍ شـكلٌ يقرُّ بعينِه ... وقُرَّةُ عينِ الفَسْل أن يتبع الفَسْلا[3]
وتعرفُ فى جُودِ ٱمرئٍ جُودَ خالِه ... ويَنذُلُ أَنْ تلقَى أخَا أمِّهِ نَذْلا[4]

وفى غير هذا الباب يقول الجَرَنفَس اللص[5] :

= فإنه يعنى به القصيدة اليائية التى رواها الضبى فى المفضليات (١٥٥ - ١٥٨) . وانظر الأمالى (٣ : ١٣٢) والأغانى (١٥ : ٧٢) والنقائض ١٥٣ . وأما شعر طرفة فلم أقف عليه .

(١) عجز بيت للربيع بن أبى الحقيق رواه الجاحظ فى البيان (٣ : ٢٠٣) والحيوان (٣ : ٦٨) . وصدره كما فيهما وكما فى اللسان (١٨ : ١٩) :

* وبعض القول ليس له عناج *

(٢) فى الأصل : « أو اتبع . . . فإنى متبع » ، والوجه ماأثبت .

(٣) الفسل ، بالفتح : الرذل النذل الذى لامروءة له ولا جلد . وفى الأصل : « الفيل أن يتبع الفيلا » ، تحريف ، وقد جاء على الصواب الذى أثبت فى اللسان (١٤ : ١٧٩) .

(٤) فى الأصل : « ويبذل أن تلق » ، صوابه ماأثبت مطابقا مافى اللسان.

(٥) الجرنفس ، بالجيم والراء المفتوحين وآخره سين مهملة ، ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ٢٣٣ .

أبلغ بنى ثعَلٍ عــنِّى مُغَلغَلةً فقدْ أَتَى لكَ مِنْ نِىءٍ بإنْضَاجِ

أمَّا النهــــارَ ففى قَيْــدٍ وسِلسلةٍ

واللّيْلَ فى جوفِ منحُوتٍ من السَّاجِ

وقال بعضُ اللصوص :

أقَيْدٌ وَحَبْسٌ واغْترَابٌ وفرقةٌ وهَجْرُ حبيبٍ ، إنَّ ذا لَعظيمُ (١)

وإنَّ امرأً دَامت مَواثِيقُ وَدِّهِ عَلَى عُشْرِ مابى إنَّه لَـكريمُ

ومن المراثى المستحسَنة قولُ حارثة بن بدر الغُدانىّ ، يرثى زيادةَ ابنَ أبيه (٢) :

أبَا المغيرةِ والدُّنيا مغيِّرةٌ (٣) وإنَّ مَن غَرّت الدُّنيا لَمغْرُورُ

قد كانَ عِندكَ للمعروف مَعرِفةٌ وكان عندك للنَّـكْراء تنـكيرُ

وكنتَ تُوتَى فتؤْتِى الخيرَ من سعةٍ إن كان قبرُكَ أمْسَى وهومهجورُ (٤)

صَلَّى الإلٰهُ على قبرٍ بِمَحْنِيةٍ دُونَ الثَّوِيّة يسفِى فوقهُ المُورُ (٥)

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

وما حسَبُ الأقوامِ إلا فِعالهم ورُبَّ حسيبِ الأصلِ غيرُ حَسيبِ

---

(١) البيتان فى البيان (٤ : ٦٢) . وهما فى الحماسة (٢ : ١١١) برواية أخرى .

(٢) الأبيات فى زهر الآداب (٤ : ٥٧) والأغانى (٢١ : ١٩) ومعجم البلدان (الثوية) .

(٣) فى زهر الآداب فقط : « مفجعة » . وفى معجم البلدان : « وإن من غر بالدنيا » .

(٤) فى زهر الآداب : « وكنت تغشى نتوَى المال فى سعة » وفى الأغانى : « تؤتى فتعطى الخير عن سعة » ، وفى زهر الآداب : « فالآن بابك أمسى » ، وفى الأغانى : « فاليوم بابك دون الهجر مهجور » .

(٥) الثوية ، بفتح الثاء وضمها : موضع قريب من الكوفة . وفى معجم البلدان وزهر الآداب : « على قبر وطهره * عند الثوية » . وفى الأغانى :

إن الرزية فى قبر بمنزلة يجرى عليها بظهر الكوفة المور

وقال الآخرُ فى مثله :

ليس الكريمُ بمَنْ يدنِّسُ عِرضَه ... ويَرَى مُرُوءتَه تكون بمنْ مضَى

حتَّى يَشِيدَ بناءهم ببنائِه ... ويَزِينَ صالحَ ماأتَوْه بما أتَى

وقال عبد الله بن مُعاوِيةَ بنِ عبد الله بن جعفر :

لَسْنا وإنْ كرُمَتْ أوائلُنا ... يومًا على الأحسابِ نَتَّكِلَ

نَبْنِى كما كانت أوائلُنا ... تَبْنِى ونَفْعَلُ مِثْلَ مَافعَلوا[1]

وقال عُمر بنُ الخطّاب : « كفى بالمرء عيباً أن تكون فيه خَلةٌ من ثلاث : أن يبدو له مِن أخيه مايخفى عليه من نفسه ، أو يَعيبَ شيئاً ثم يأتىَ مثله ، أو يؤذِىَ جليسَه فيما لايعنيه » .

ووصف أعرابىٌّ رجُلا فقال : « آخَذَ النّاسِ بما به أمَرَ ، وأتْرَكُهم لما عنه زَجَر » .

من هجا امرأته

قدِم أعرابىٌّ فحلَفَ بطلاقِ امرأتَيه على شىء فحنِث ثم هربَ فقال :

لو يعلم الغرَماءُ منزلَتَيْهما ... ما خوَّفونى بالطّلاقِ العاجلِ

قد مَلَّتا ومَلِلْتَ من وجْهَيهما ... عجفاءُ مرضِعةٌ وأُخرَى حاملُ

وقال الأقرع بن مُعاذ القُشَيرىّ :

لَعمرُك إنّ المسّ من أُمّ خالدٍ ... إلىَّ وإنْ ضاجَعْتُها لَبغيضُ

إذا بُزَّ عنها ثوبُها فكأنما ... على الثّوْب نملٌ عاذمٌ وبَعوضُ[2]

---

(١) البيتان رويا فى حماسة أبى تمام (٢ : ٣٦٥) منسوبين إلى المتوكل الليثى .

(٢) فى الأصل : « إذا فرشتنا » . عاذم : ذو عض . وفى الأصل : « عازم » .

وقال أعرابيٌّ يتألّه، لامرأته ؛ وما الأعرابُ وهذا المذهبُ ، ولكن كذا وقَعَ ، والله أعلمُ بكثيرٍ من الرِّواية :

لولا مخافةُ ربِّى أنْ يُعاقِبَنى وأنَّها عِدَّةٌ تُقْضَى وأوتارُ
لقد جعلْتُ مكانَ الطَّوقِ ذا شُطَبٍ وتُبْتُ بعدُ فإنّ اللهَ غفَّارُ

وقال بعض المولَّدين :

تجهَّزى للطَّلاقِ وانصرِفى ذاكِ جَزَاءُ الجوامِحِ الشُّمُسِ (١)

[فأجابته المرأةُ (٢)] :

لَلَيْلَتِى حين بِتُّ طالقةً ألذُّ عِنْدِى مِنْ لَيلة العُرُسِ

وأنشدنى ابنُ الأعرابىِّ لأعرابى :

قد قَرَنُونى بعجوزٍ جَحْمَرِشْ ناتِئةِ النَّابِ كَزُومٍ قَنْفَرِشْ (٣)
كأنما دَلاهــا على الفُرُشْ (٤) مِنْ آخرِ اللَّيلِ كلابٌ تهترِشْ
وجلدُها مِنْ حَكِّها القَملَ بَرِشْ كأنّ طىَّ بَطْنِها طىٌّ كَرِشْ
فَقْماءُ فى حِضْنِ الضَّجِيع تهتَمِشْ تَخَشْخشَ الضَّبِّ دنا للمُحْترِشْ

وقال رجلٌ من بنى نُميرٍ لامرأته ، وكانت حضَرية :

لَعمرِى لَأعرابيّــةٌ بدويةٌ تظلُّ بِرَوْقَىْ بَيتِها الرِّيحُ تخفقُ
أحبُّ إلينا من ضِنَاكٍ ضِفَنَّةٍ إذا رُفِعَتْ عنها المراوِحُ تعرقُ (٥)
كبِطِّيخةِ البُسْتان ظاهرُ جِلدها صحيحٌ ويبدُو داؤها حين تُفْتَقُ

---

(١) جمحت المرأة : خرجت من بيت زوجها إلى أهلها قبل أن يطلقها . وفى الأصل : « الجوائح » تحريف . والشمس : جمع شموس ، وهى النفور .

(٢) ليستا فى الأصل . وبهما يصح الكلام .

(٣) الكزوم : الهرمة المسنة . والقنفرش : العجوز الكبيرة .

(٤) دلاها ، أى مايظهر لها من صوت حين تبدى دلاها .

(٥) الضناك ، بالكسر : الضخمة الثقيلة العجيزة . والضفنة : الرخوة الضخمة .

وأنشدنى محمد بن يَسِير[١] فى امرأته أو فى غيرها :

أُنْبِئْتُ أنَّ فتاةً كنتُ أخطبُها عُرقوبُها مِثلُ شَهرِ الصَّومِ فى الطولِ

أسنانُها مائةٌ أو زِدْن واحدةً كأنّها حين يبدو وَجْهُها غُولُ

وإنما أكتب لك من كلّ بابٍ طَرَفاً ، لأنّ إخراجَك مِن بابٍ إلى بابٍ أبقى لنشاطك ، ولو كتبتُه بكمالِه لـكان أكملَ وأنبل ، ولـكن أخافُ التَّطْويل ، وأنتَ جديرٌ أن تعرف بالجملةِ التّفصيلَ ، والآخرَ بالأوّل .

مَن هجته زوجته

قالت عصيمة الحنظليّة :

كأنّ الدّارَ حين تـكونُ فيها علينا حُفْـرَةٌ مُلِئَتْ دُخانا

فليتَك فى سَفين بنى عِبادٍ فتصبِـحَ لانَرَاك ولا تَرانا[٢]

فلو أنّ البُـدور قَبِلْنَ يوماً لقـد أعطيتُها مائةً هِجانا

وقالت امرأةٌ من بنى ضبة لزوجها :

تراهُ أهْوَجَ ملعوناً خليقتُه يمشى على مِثْل معوَجِّ العراجين

وما دعوتُ عليه قطُّ ألعنُه إلّا وآخَـرُ يَتْلُوهُ بآمِين

فليتَه كان أرضُ الرُّوم مَنْزِلَه وأنّنى قبلَه صُيِّرتُ بالصِّينِ[٣]

وقالت جمرة الأزدية لزوجها أبى وائل :

---

(١) فى الأصل : « بشير » ، تحريف . وانظر البيت الأول مما يلى فى عيون الأخبار (١ : ٣١٧) .

(٢) فى الأصل : « فتصبح لايزال » ، محرف .

(٣) إلى هنا ينتهى القسم الأول من التكملة وهو نهاية ص ١٥٦ من نسخة كوبربلى . وتبدأ بعده بقية التكملة من منتصف ص ١١ من نسخة كوبريلى إلى مايقرب من نهاية ص ١٧ . وعلة هذا الاضطراب تهاون الناسخ أو جامع نسخة أصل الناسخ . وقد رددت الوضع إلى نصابه بهذا الترتيب .

لعمرك ما إن أبو وائل إذا ذُكِرَ القومُ بالطائلِ
فياليتنى لم أكنْ عِرْسَه وعُوجِلْتُ بالحدَث العاجلِ

وقالت امرأةٌ من بنى زياد الحارثى (١) :

فلا تأمُرُونى بالتزوُّج إنَّنى أريد كرامَ النَّاس أو أتبتَّلُ
أريد فتًى لايملأُ الهَوْلُ صدرَه يُريحُ عليه حلمُه حين يجهلُ
كمثل الفتَى الجعْدِ الطَّويل إذا غَدا كعالية الرُّمح الطويل أوَ اطوَلُ

وقالت امرأةٌ من باهلة (٢) :

أحبُّ الفتى ينفِى الفواحشَ سمعُه كأنَّ به كلِّ فاحشةٍ وَقْرَا
سليمُ دَوَاعِى الصَّدْرِ لاباسطٌ أذًى ولا مانع خيراً ولا قائلٌ هُجْرا
كَمثل الفتَى الذُّهْلىِّ تحسَبُ وجهَه إذا مابدا فى ظلمةٍ طالعاً بَدْرا

وقال لبيد بن ربيعة :

إنما يحفظُ التقَى الأبرارُ وإلى الله يستقرُّ القَرَارُ
وإلى الله تُرْجَعُونَ وعِنْدَ اللهِ وِرْدُ الأمورِ والإصدارُ
إنْ يَكنْ فى الحياة خيرٌ فقد أُنْ ظِرتَ لوكان ينفع الإنظارُ
عشْتُ دهراً فلن يدوم على الأيَّـــام ِ إلَّا يَرَمْرَمٌ وتِعَارُ (٣)

وأنشدنى الأصمعىُّ قال : أنشدنى رجلٌ ، ولم يُسمِّهِ :

إذا مابَدَا عمرٌو بدَتْ منه صورةٌ تدلُّ على مكنُونِهِ حين يُقْبِلُ
بياضُ خُراسانٍ ولُـكْنَـةُ فارسٍ وَجُثَّةُ رُومىٍّ وشَعْرٌ مُفَلْفَلُ
لقد ألَّفَتْ أعضاءُ عمرٍو عِصابَةً يدُلُّ عليها آخِرَ القَوْمِ أوَّلُ

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) الأبيات نسبت فى الحماسة (٢ : ١٦) إلى سالم بن وابصة .

(٣) الأبيات فى ديوان لبيد ص ١٠ — ١٣ طبع فينا سنة ١٨٨٠ . ويرمرم وتعار بكسر التاء : جبلان فى بلاد بنى قيس . وفى الأصل : « يدمدم ويمار » تحريف .

وقالت أخت ذى الرُّمَّةِ ترثيه[١] :

تعزَّيتَ عن أوفى بغَيلانَ بعدَه   عَزاءً وجفنُ العَين مَلآنُ مُترَعُ

ولَمْ تُنْسِنِي أوفى المصيباتُ بَعْدَهُ   ولـكنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْح أوجعُ

وذو الرُّمَّة القائل : «إذا قلت كأنَّ فلم أجِدْ مخْـرَجًا فقطَعَ اللهُ لِسَانى[٢]».

وأنشد :

لا أتَّقى حَسَكَ الضَّغائنِ بالرُّقَى   فِعْلَ الذَّليلِ ولو بَقِيتَ وحِيدا

لـكن أعِدُّ لها ضغائنَ مِثلَها   حتَّى أداوىَ بالحُقود حُقودا

كالخمرِ خَيْرُ دوائها منها بها   تَشْفِى السَّقِيمَ وتُبْرِئُ المنجودا[٣]

فأخذ الحِـكَمىُّ هذا فقال :

وكأْس شربْتُ على لذَّةٍ   وأخرَى تداوَيْتُ منها بها[٤]

وقال ابنُ هَرْمة :

إنَّ أياديك عندى غيرُ واحدةٍ   جَلَّتْ عن الوَصْفِ والإحصاء والعددِ

وليس منها يدٌ إلَّا وأنْتَ بها   مُستوجِبُ الشُّـكرِ منِّى آخِرَ الأبَدِ

وقال الآخر :

سأشكُرُ ما أبْقانىَ اللهُ خالِدًا   كشُكْرِى، ولا يَدْرِى، علىَّ بن ثابتِ

حمَلْتُ عليــه مُثْقِلاً فأطاقَهُ   وحَمَّلَنى مِن شكرِه فوقَ طاقتى

ورأى رجلٌ من النبيط الحجَّاج بعد موته فى منامه فقال : ياحجَّاج ،

---

(١) الشعر منسوب فى الحماسة (١ : ٣٢٨) إلى هشام بن عقبة ، يرثى أخويه : أوفى ، وذا الرمة . والتحقيق أنه لمسعود أخى ذى الرمة يرثى ذا الرمة وابن عمه أوفى بن دلهم . انظر حواشى (٦ : ٥٠٦) .

(٢) يعنى بذلك قدرته على التشبيه .

(٣) المنجود : المكروب ، والمعيى .

(٤) انظر العقد (٦ : ٣٧٨) .

إلامَ صيَّرك ربُّك ؟ فقال : وماذا عليكَ يا ابنَ الزَّانية ، فقال : ماسلِمْنا مِن قَولك مَيْتاً ، ولا مِن فِعْلك حَيًّا .

وقال الأشهب — رجلٌ من أهل الكوفة — يهجو نُوح بن دَرَّاج :

إنَّ القيامة فيما أحسَبُ اقتربت إذ صار حاكمناً نوحُ بنُ درّاج
لو كان حَيًّا لَهُ الحجَّاجَ ماسَلِمَتْ صَحيحةً يدهُ من نَقْش حَجَّاجِ

وكان الحجَّاج يَشِمُ أيدىَ النَّبَط علامةً يُعْرَفُون بها .

وقال رجلٌ من طيء لرجلٍ من فَزارة ، وكان الرجل يتوعّده :

فإن كان هذا يافزارُ تجلُّباً لنَخْشَى فما نرتاع للجلباتِ
أألآن لما أنْ علا الشَّيبُ مَفرِقى وصارت نُيُوب العَوْدِ مختلفاتِ
فلو أنَّ سافى الريحِ يَحمِلُكمْ قَذًى لأعيُنِنا ما كنتُمُ بقَذاةِ
ألستَ فزاريًّا تبيَّنُ لؤمُهُ إذا قام بين الأنْفِ والسَّبَلاتِ
ترى الخيلَ تستحيي إذا ماركبْتَمَ عليها حَياءَ البُدَّنِ الخَفِرَاتِ

وقال أبو عبيدة : « ما ينبغى أن يكون فى الدُّنيا مثل النظّام : سألته وهو صبىّ عن عَيب الزُّجاج ، فقال : سريع الكَسْرِ ، بطىء الجبر » .

ومَدَحوا النَّخلةَ عِندَه ، فقال : « صعبةُ المرتقَى ، بعيدةُ المَهْوَى ، خشِنة المسّ ، قليلة الظلِّ » .

وذكر النظّام الخليلَ بنَ أحمدَ فقالَ : « توحَّدَ به العُجْبُ فأهلَكَه ، وصوَّر له الاستبدادُ صوابَ رأيه فتعاطَى مالا يحسنُه ، ورامَ مالا يناله ، وفتَنَتْه دوائرُه التى لايحتاج إليها غيره[1] » .

---

(١) يعنى دوائر العروض .

وكان أبو إسحاق إذا ذكر الوهمَ لم يشكَّ فى جُنونه ، وفى اختلاط عقله . وهكذا كان الخليلُ ، وإن كان قد أحسَنَ فى شىء .

وكان[١] النظّام كثيراً ماينشد :

فلو كنت أرضَى لا أبالَكَ بالذى ... به الخامل الحَشَّامُ فى الخفْض قانع

قُصرْتُ عَلَى أدْنى الهموم وأصبحَتْ ... عَلَىّ وعندى للرِّجال صنائعُ

وقال المَرِيسىُّ[٢] لأبى الهُذيل بحضرة المأمون ، بعد كلامٍ جرى : كيف ترى هذه السِّهام ؟ قال : ليِّنة كالزُّبد ، حُلْوة كالشُّهد ، فكيفَ ترى سهامَنا ؟ قال : ما أحسستُ بها ، قال : لأنَّها صادفَتْ جَمادا .

وأُنشِدَ أبو الهذيل :

فإذا توهَّمَ أنْ يراهَا ناظرٌ ... تركَ التَّوهُّمُ وجْهَها مَكلُوما

فقال : « هذِهِ تُنَاكُ بأيرٍ من خاطر » .

وأنشدنى أبو الهذيل بعد أن أنشد هذا البيت :

اسجُدْ لقِردِ السَّوء فى زمانِهِ ... ولا تُسَائِلْ عن خَبِيء شَانِهِ[٣]

وقال آخر :

كم من كريم ضَعْضَعَ الدَّهرُ حالَهُ ... وكم مِنْ لئيمٍ أصبَحَ اليومَ صاعِدَا

وقد قال فى الأمثال فى النَّاسِ واعظٌ ... بتجربةٍ أهْدَى النَّصيحةَ جاهِدا

---

(١) فى الأصل : « فكان » .

(٢) هو بشر بن غياث المريسى ، صاحب المريسية ، من مرجئة بغداد . ونسبته إلى « مريس » : قرية بصعيد مصر ، أخذ عن أبى يوسف الفقه ، فلما أظهر قوله بخلق القرآن هجره أبو يوسف . توفى سنة ٢١٨ . انظر الفرق بين الفرق ١٩٢ ولسان الميزان (٢ : ٢٩) والسمعانى ٥٢٣ — ٥٢٤ وتاريخ بغداد ٣٥١٦ .

(٣) انظر شبيه هذا الرجز فى الحيوان (١ : ٣٥٥) واللسان (٢٠ : ٣٦) .

إذا دولةٌ للقِرد جاءت فكُنْ لهُ   وذلك من حُسن المداراة، ساجداً (١)
بذاك تداريهِ ويُوشِكُ بعدَها   تَراه إلى تُبَّانِهِ الرَّثِّ عائدا

وأنشدنى الأصمَعىُّ فى معنى قول الفرزدق :

* بهِ لابظِى بالصَّريمةِ أعفرا (٢) *

لرجل من بنى القَين :

أقولُ لصالحٍ لمَّا دَهَتْهُ   بَنات الدَّهرِ وَيْحَكَ مادَهَاكا
شجاكَ العَزْل ، لا بأخِى نَوالٍ   منَ الفتيان كُرْبةُ ماشجاكا
أتيتُك زائراً فرجَعتُ صِفْرًا   كذاك تكونُ أوبة من أتاكا
أحبُّ لك السلامة يا ابنَ أُمِّى   وإنْ كنتَ امرأ بخِلَتْ يَدَاكا
حِفاظاً للعشيرة لا بِعُرْفٍ   فإنَّ العُرف مَنَّ بِهِ سِواكا

وقال الفرزدق :

ألا خبِّرُونى أيُّها الناس إنّنى   سألتُ ومن يَسْأَلْ عن العِلم يَعْلَمِ
سؤالَ امرئٍ لم يُغْفِلِ العلمَ صدرُه   وما العالمُ الواعى الأحاديثَ كالعَمِى

وقال أيضا :

ألم تعلموا يا آل طَوْعةَ أنما   يَهِيجُ جَليلاتِ الأمور دقيقُها
سَأُثْنِى عَلَى سعدٍ بما قد عَلِمْتُهُ   وخير أحاديثِ الرِّجال صدوقُها (٣)]

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) صدره كما فى الديوان ٢٤٦ :

* أقول له لما أتانى نعيه *

يخاطب مسكينا الدارمى ، وكان مسكين قد رثى زياد بن أبيه . وقبل البيت :

أتبكى امرأ من أهل ميسان كافرا   ككسرى على عدانه أو كقيصرا

(٣) إلى هنا تنتهى التكملة التى بدأت فى ص ١٤٧ .

قال أبو عثمان : ومما أكتب لك من الأخبار العجيبة(١) التى لايجسر عليها إلا كلٌّ وَقَاحٍ أخبارُ بعضِ العلماء وبعضٍ من يؤلِّف الكُتب ويقرؤها ويدارس أهل العبر(٢) ويتحفَّظها .

زعموا أنّ الضبع تكون(٣) عامًا ذكراً وعاماً أنثى . وسمعتَ هذا من جماعةٍ منهم ممَّنْ لا أستجيز تسميته(٤) .

قال الفضل بن إسحاق : أنا رأيتُ العَفْص والبَلُّوط فى غصن واحد .

قال : ومن العفْص مايكونُ مثلَ الأُكَر . وقد خبَّرنى بذلك غيرُه ، وهو يشبه(٥) تحوُّلَ الأنثى ذكراً والذَّكرِ أنثى .

وقد ذكرت العربُ فى أشعارها الضِّباعَ والذِّئابَ والسِّمعَ والعِسبار ، وجميعَ الوحوش والحشرات والأحناش(٦) ، وهم أخْبَرُ الخلقِ بشأن الضَّبع ، فكيف تركَتْ ماهو أعجبُ وأطرَفُ(٧) .

وقد ذكرت العلماء الضِّباعَ فى مواضعَ من الفُتْيا لم نرَ أحداً ذكَرَ ذلك . وأولئك بأعيانهم هم الذين زعموا(٨) أن النمر الأنثى(٩) تضع فى مشيمةٍ واحدةٍ جرواً وفى عنقه أفعى قد تطوَّقتْ به(١٠) . وإذا لم يأتِنا فى تحقيق

---

(١) فيما عدا ل: «وما لا أكتبه لك من الأجناس العجيبة» محرف .
(٢) فيما عدا ل : «أهل البصرة» .
(٣) فيما عدا ل : «يكون» .
(٤) فيما عدا ل : «منهم من لاأستجيز تسميته» .
(٥) ل : «وهذا لايشبه» .
(٦) ل : «والأخفاش» ، صوابها ماأثبت . وفيما عدا ل: «والأجناس» .
(٧) فيما عدا ل: «وأظرف» ، تحريف .
(٨) فيما عدا ل : «يزعمون» .
(٩) ط : «النمر» س ، هـ : «النمرة» .
(١٠) انظر ماسبق فى (٤ : ٢٢٢ / ٦ : ٣٤) .

[هذه] الأخبارِ شعرٌ شائع ، أو خبرٌ مستفيض ، لم نلتفِتْ لِفْتَه[١] ، وقد أقرَرْنا أن للسَّقَنْقُور أيرَين ، وكذلك الحِرْذَون والضبّ[٢] ، حين وجَدْناه ظاهراً على ألسنة الشُّعراء وحكاية الأطِبّاء .

(خرطوم الفيل)

والخرطوم للفيل هو أنفُه ويقومُ مقام يده ومقام عنقه[٣] ، والخَرْق الذى هُوَ فيه لاينفذ ، وإنما هو وعاءٌ[٤] إذا ملأه الفيل من طعام أو ماء أولجه فى فيه[٥] ؛ لأنّه قصير العُنق لاينال ماء ولا مرعى . وإنما صار ولدُ البُخْتىِّ من البُخْتيّة جَزُور لحمٍ لقِصَر عنقه ، ولعجْزه عن تناوُل الماء والمرعَى .

(خرطوم البعوضة)

وللبعوضة خرطومٌ ، وهى تُشَبَّهُ بالفيل[٦] إلاَّ أنّ خرطومها أجوفُ فإذا طَعَنَ به فى جوف الإنسان والبهيمة فاستقَى به الدَّمَ من جوفه قذفت به إلى جوفها[٧] ، فهو لها كالبلعوم والحلقوم .

وللذبابة خرطومٌ تخرِجُه إذا أرادَتِ الدَّم ، وتُدْخِلُه إذا رَوِيَتْ . فأمّا

(١) فيما عدا ل : « لم نلتفت إليه » .
(٢) انظر مامضى فى (٤ : ١٦٣ ، ١٦٤ / ٦ : ٥٧ ، ٧٢ ، ٧٥) .
(٣) كلمة « ومقام » ساقطة من ط .
(٤) فيما عدا ل : « وإنما هو وغل » مع زيادة واو بعدها ، تحريف .
(٥) ط : « أو فى لجه فيه » ، س : « أو لحه فيه » ، هـ : « أو لجه فيه » والصواب من ل .
(٦) فيما عدا ل : « وهو أشبه بالفيل » ، تحريف .
(٧) جعل الضمير فى صدر العبارة مذكرا ، عنى البعوض ، وفى آخرها مؤنثا ، أراد البعوضة .

مَنْ سَمَّى(١) خطمَ الخنزيرِ والكلبِ والذّئبِ خرطوما فإنما ذلك على التشبيه .
وكذلك يقولون لكلِّ طويل [الخطم(٢)] قصير اللَّحيَيْن .

وقد يقال للخَطْم خرطوم [على قوله : ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾] .
وأنشد [نا] ابنُ الأعرابي لفتًى من بنى عامر :

ولا أقومُ على شيخى فأشتُمُه   ولا أمرُّ على تلك الخَراطيمِ

جعل سادةَ عشيرته فى النَّادى [والمجالس] كالخراطيم والمقاديم والهوادى ، وعلى ذلك قالوا : بنو فلانٍ [أنفُ بنى فلانٍ و] رؤوسُهم وخَراطيمُهم ، ومعنى العامريِّ الذى ذهب إليه فى شعره كأنَّه عظَّم المشيخَة أن يمرّ بهم(٣) ، وقد قال الشاعر :

* هم الأنفُ المقدَّمُ والسَّنامُ(٤) *

والفِيلُ والببْرُ ، والطَّاوس والببْغا ، والدّجاج السِّنديُّ ، والكركَدَّن ، مما خصّ الله به الهندَ . وقد عدَّد ذلك مطيعُ بن إياس ، حين خاطب جاريةً له [كانت] تسمى « رُوقَة » ، فقال :

رُوقَ أىْ رُوقَ كيف فيكِ أقولُ   سادسنا دونى وأرمائيل(٥)

---

(١) فيما عدا ل : « يسمى » .

(٢) تكملة يفتقر إليها الكلام .

(٣) المشيخة : الشيوخ . فيما عدا ل : « الشيخة » وهى صحيحة أيضا ، جمع شيخ ، وتقرأ كعنبة وشيمة . وللشيخ جموع أخر .

(٤) لعله رواية فى بيت حسان بن ثابت :

فلا تفخر فإن بنى قصى   هم الرأس المقدم والسنام

(٥) فيما عدا ل : « صار بيننا ورد ورمل ونول » . وما أثبت من ل محرف أيضا . وأرمائيل : لغة فى أرمئيل ، وهى مدينة كبيرة بين مكران والديبل من أرض السند .

وبعيدٌ مَنْ بَيْنَهُ حيثُما كا نَ وبينَ الحبيب قَنْدَابيلُ(١)

[رُوقَ يا رُوقَ لو ترينَ مَحَلِّى ببلادٍ معروفها مجهولُ]

ببلاد بها تبيض الطواوي سُ وفيها يُزاوجُ الزّندَبيلُ

وبها البَبَّغاء والصُّفْرُ والعو دُ لهُ فى ذَرَى الأراك مَقيلُ(٢)

والخموعُ العَرْجاءُ(٣) والأيِّلُ الأقْ رَنُ والليْثُ فى الغِياضِ النَّسُولُ(٤)

وقال أبو الأصلع الهندىُّ ، يفخر بالهند وما أخرجت بلاد الهند(٥) :

لقد يَعذِلُنى صحبى وما ذلك بالأمثَلْ

وفى مِدْحَتِيَ الهندَ وسهمُ الهندِ فى المَقْتَلْ

وفيه السّاجُ والعاجُ وفيه الفيلُ والدَّغْفَلْ(٦)

وإنَّ التّوتِيا فيه كمثل الجبل الأطْوَلْ

وفيه الدّارَ صينِيٌّ وفيه ينبتُ الْفُلْفُلْ(٧)

والمتشابه(٨) عندهم من الحيوان [الفيل و] الخنزير ، والبعوضة ، والجاموس . وقال رؤبة :

ليث يَدُقّ الأسَدَ الهَمُوسَا(٩) والأَقْهَبَيْنِ الفيلَ والجاموسا(١٠)

---

(١) قندابيل : مدينة بالسند . فيما عدا ل : « وبين الحبيب بين وبيل » .

(٢) الصفر ، بالضم : ضرب من النحاس . ط ، هـ : « والصقر والعرد » س : « والصقر والعود » ل : « والصفرد والعود » ، والوجه ماأثبت . ط ، هـ : « ذرى الاياط » هـ : « ذرى الأباط » ، وأثبت مافى ل . وذرى الأراك ، بفتح الذال : كنفه .

(٣) الخموع العرجاء ، أى الضبع .

(٤) النسول : وصف من النسلان ، وهو السرعة . فيما عدا ل : « الشبول » محرفة .

(٥) فيما عدا ل : « وما أخرجت ببلادها » .

(٦) فيما عدا ل : « وفيه العود والدغفل » . والدغفل : ولد الفيل .

(٧) ل : « وفيها منبت » .

(٨) ل : « والمتشابهة » .

(٩) الهموس : الخفى الوطء . فيما عدا ل : « الهاموسا » ، صوابه فى ل والديوان واللسان (همس ، قهب) .

(١٠) الأقهب : ماكان لونه إلى الكدرة مع البياض السواد . ط ، هـ : « والأقهمين » =

(هجاء أبى الطروق لامرأته)

٥١ ولما هجا أبو الطّروق[١] الضبيُّ امرأتَه ، وكان اسمها شعفرَ[٢] [بالقُبح والشناعة فقال :

جاموسة وفيلةٌ وخَــنزرُ وكلُّهنَّ فى الجمالِ شَعْفرُ

جعل الخنزير خَنزَرًا[٣] ، فجمعها كما ترى للتّشابه . وقال الآخر :

كأنّ الذى يَبْدُو لنا من لِثامِها جَحافلُ عَيْرٍ أو مَشافِر فِيلِ[٤]

(شعر فى الفيل)

والفيل يوصف [بالفَقَم] ، ولذلك قال الأعرابىّ :

قد قادنى أصحَبِىَ المعَمَّمُ[٥] ولم أكن أُخْدَعُ فيما أعْلَمُ

إذ صُفِقَ البابُ العريضُ الأعظمُ[٦]

وأُدْنِىَ الفيــلُ لنَـا وترجموا[٧]

وقيل إنَّ الفيلَ فِيلٌ مِرْجَمُ[٨] خُبَعْثِنٌ قد تمَّ منه المحزِمُ[٩]

= هـ : « والأفهمين » صوابه فى ل والديوان واللسان (قهب ، همس) .

(١) فيما عدا ل : « أبو طروق » .

(٢) فيما عدا ل : « سعفير » .

(٣) ل : « خنزر » وفيما عدا ل : « خنزيرات » ، والوجه ماأثبت .

(٤) فيما عدا ل : « أشافر » ، محرفة .

(٥) الأصحب : الذى يضرب لونه إلى الحمرة . وقد عنى به قائد الفيل . فيما عدا ل : « ياصاحبى المعصم » .

(٦) صفق الباب : فتحه . فيما عدا ل : « إذ يصفق الناب » محرفة .

(٧) أدنى : قرب . ط ، س : « وأذنى » محرف . ط : « له أو ترجم » س : « له أو ترحم » هـ : « له أو تزحم » ، والصواب فى ل .

(٨) المرجم : الشديد ، كأنه يرجم به . هـ : « مزجم » محرف .

(٩) الخبعثن : الضخم الشديد . ط : « خنفش » : س : « خنفش » هـ =

أجردُ أعلى الجسمِ منه أَصحَمُ[1] يجرُّ أرحاءً ثِقالاً تَحْطِمُ[2]
ماتحتها من قَرْضِها وتهشِمُ[3] وحنكٌ حينَ يُمَدُّ أفقمُ[4]
ومشفرٌ حين يُمَدُّ سَرْطَمُ[5] يَرُدُّهُ في الجوف حين يطعَمُ[6]
لو كان عندى سَبَبٌ أو سُلَّمُ نجَّيتُ نفسى جاهداً لا أظلِمُ

وقال آخر :

مَنْ يركبِ الفيلَ فهذا الفيلُ إنّ الذى يركَبُهُ محمــولُ
على تهاويلَ لهــا تهويلُ كالطَّودِ إلّا أنّهُ يجــولُ
* وأذنٌ كأنها مِنديلُ *

وقال عمارة بن عقيل[7] يضرب المثل بقوَّة الفِيل :

إذا أتانا أميرٌ لم يقلْ لهمُ هَيْداً وجالتْ بنا منه الأحابِيلُ[8]

= « حنفص » والصواب فى ل . والحزم : موضع الحزام من الدابة . ل : « الحرم » وفيما عدا ل : « الخزم » ، صوابهما ماأثبت .

(١) الأصحم : مالونه الصحمة ، وهى لون من الغبرة إلى سواد قليل . فيما عدا ل : « الضخم » تحريف .

(٢) الأرحاء : جمع رحى ، وهى تلك التى يطحن بها الحب ، شبه بها أخفافه . س : «أرخاء» وفى سائر النسخ « أرجاء » بالجيم ، والوجه ماأثبت .

(٣) ه : « من قوضها » ل : « من فوقها » . فيما عدا ل : « مبهم » بدل : « وتهشم » محرف .

(٤) الفقم : أن يخرج أسفل اللحى ويدخل أعلاه . ط ، س : « أفمم » ه : « أقعم » صوابهما فى ل .

(٥) السرطم ، بفتح السين والطاء : الطويل .

(٦) فيما عدا ل : « حتى » تحريف . ه : « يمطم » ط : « يعظم » صوابهما فى ل ، س .

(٧) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان النحويون البصريون يأخذون عنه اللغة . انظر الأغانى (٢٠ : ١٨٣ - ١٨٨) . وفيما عدا ل : « عمارة بن الوليد » تحريف .

(٨) العرب تقول : « هيد مالك » إذا استفهموا الرجل عن شأنه . فيما عدا ل : « لم يقم لهم هذا وجاءت بنامنه الأحاييل » ، محرف .

وعَضَّ مجهودنا الأقصى وحَمَّله مِنَ المظالم مالا يحملُ الفِيلُ(١)»

وقال أبو دَهْبَلٍ (٢) يمدح أبا الفيل الأشعرىّ :

إنّ أبا الفيل لاتحصى فضائله قدعَمَّ بالعُرْفِ كلَّ العُجْمِ والعَربِ

ونظر ابن شهلة المدينىّ (٣) إلى خُرطوم الفيل وإلى غُرموله فقال :

ولم أرَ خُرطومَينِ فى جسمٍ واحدٍ قد اعتدَلاَ فى مَشْرَبٍ ومَبال

فقد غلِط لأنّ الفيلَ لايشرَبُ بخرطومه ولكن به يُوصِلُ الماءَ إلى فمه ، فشبَّه غُرموله بالخرطوم . وغرموله يشبَّه بالجَعْبة والقنْديل (٤) والبَرْبخ (٥) .

وقال المخبَّل فى تعظيم شأن الفيل :

٥٢ أتهزأ مِنِّى أمُّ عمرة أنْ رأت نهارًا وليلاً يَبلِّيانى فأسْرَعَا(٦)

فإن أكُ لاقيتُ الدَّهارِيسَ منهما فقد أفْنيا النُّعْمان قبلى وتبَّعا(٧)

ولا يلبثُ الدَّهرُ المفرِّق بَيْنَهُ على الفيل حتى يستدير فيصْرَعا

وقال مروان بن محمد وهو أبو الشَّمَقْمَق — [و] حدّثنى صديقٌ لى قال : سألتُ أبا الشَّمقمقِ عن اسمه ونسبه (٨) . فقال : أنا مَرْوَان بن محمد ، مولى مروانَ بنِ محمد : —

---

(١) فيما عدا ل : « وعض مجهولنا الأقصى » .

(٢) ط : « الهذين » س ، هـ : « أبو الهذيل » ، وأثبت ما فى ل .

(٣) فيما عدا ل : « ابن أبى سلمة المدنى » .

(٤) فيما عدا ل : « والمنديل » .

(٥) ل : « الربخ » وفيما عدا ل : « النزع » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٦) فيما عدا ل : « أم عزة » وفيه أيضا « أبلياني » وهى صحيحتان . وشاهد المضعف قول العجير :

وقائلة هذا العجير تقلبت به أبطن بلينه وظهور

(٧) فيما عدا ل : « فقد أبليا » .

(٨) فيما عدا ل : « وكنيته » تحريف . وقد سبقت ترجمة أبى الشمقمق فى (١ : ٢٥٥) .

ياقوم إنّى رأيتُ الفِيلَ بعدَكُم فبارَكَ اللهُ لى فى رُؤْيةِ الفيلِ
[رأيت بيتاً له شئٌ يحرّكهُ فكدتُ أصنعُ شيئاً فى السراويلِ
وقالت دودةَ لأمِّها :
يا أمِّ إنّى رأيتُ الفيلَ مِن كَثَبٍ لابارَكَ اللهُ لى فى رؤية الفيلِ]
لمّا بصُرْتُ بأيرِ الفِيل أذهَلنى عن الحميرِ وعن تلك الأباطيلِ [١]

(خطبة بدوى فيها ذكر الفيل)

وقال الأصمعى : جَنَى قومٌ من أهل اليمامة [جناية] فأرسل إليهم السُّلطانُ جنداً من مُحَارِبَةِ ابن زياد [٢] ، فقام رجلٌ من أهل البادية يُذَمِّرُ أصحابَه [٣] فقال : « يامعشرَ العرب ، ويابنى المحصَنات ، قاتِلُوا عَن أحسابكم ونِسائكم . والله لَئِنْ ظَهَرَ هؤلاء القومُ عليكم لا يَدَعُون بها لِينَةً حَمْراءَ [٤] ، ولا نخلةً خضراء [٥] إلّا وضعُوها بالأرض . ولا أُغُرُّكم مِن نُشّابٍ معهم [٦] ، فى جِعاب كأنّها [٧] أيور الفِيَلة ، يَنزِعُون فى قِسِىٍّ كأنّها العَتَلُ [٨]

---

(١) الأباطيل : جمع الباطل . ل : « البواطيل » وهى صحيحة فى مذهب الكوفيين الذى يجيزون زيادة الياء فى مثل هذا الجمع .

(٢) فيما عدا ل : « من غازية ابن زياد » .

(٣) التذمير والذمر : الحض والحث . فيما عدا ل : « من أصحابه » ، تحريف .

(٤) اللينة ، بالكسر : الدقل من النخل . فيما عدا ل : « فيها لبنة حمراء » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « ولا كلة خضراء » ، تحريف .

(٦) النشاب ، بالضم وتشديد الشين : السهام ، واحدها نشابة .

(٧) فيما عدا ل : « كأنه » ، تحريف .

(٨) النزع : جذب الوتر بالسهم . والعتل : جمع عتلة ، وهى الهراوة الضخمة . فيما عدا ل : « الفيل » ، تحريف .

تئطّ إحداهُنّ أطِيطَ الزُّرنُوق[١] ، يَمْغَطُ أحدُهم فيها حتى يتفرّق شعرُ إبطَيْه[٢] ، ثم يُرْسِل نُشَّابةً كأنها رِشاءٌ منقطع[٣] ؛ فما بينَ أحَدِكم وبين أن تفضخ عينه[٤] أو يُصدَع قلبُه منزلةٌ » .

قال : فخلَعَ قلوبَهم فطارُوا رُعْبًا .

(الزندبيل)

قالوا : الفِيَلة ضربانِ : فيلٌ وزندبيل . وقد اختلفوا فى أشعارهم وأخبارهم . فبعضهم يقول كالبُخْت والعراب ، والجواميسِ والبقَر ، والبَراذين والخيل ، والفأر والجِرذان ، والذّرّ والنمل . وبعضهم يقول : إنما ذهبوا إلى الذَّكرِ والأُنثى .

قال خالدٌ القنَّاص ، فى قصيدته تلك المزَاوَجَةِ [والمخمَّسة] ، التى ذكر فيها الصَّيد[٥] فأطنَبَ فيها ، فقال حينَ صار إلى ذِكْر الفيل :

ذاك الذى مِشفَرُهُ طويلُ وهو من الأَفيال زَنْدَبيلُ

---

(١) الزرنوق : واحد الزرنوقين ، وهما دعامتا البئر . فيما عدا ل : « الزربوق » محرفة .

(٢) يقال معط الوتر يمعطه ، بفتح العين المهملة ، ومغطه بفتح الغين المعجمة ، أى أغرق فى نزعه ، ويقال فيه أيضا مخطه يمخطه . فيما عدا ل : « يمعط » بالمهملة وهما صحيحتان . وفيما عدا ل : « حتى يعرق شعر إبطيه » .

(٣) الرشاء : الحبل . فيما عدا ل : « رشأ » ، محرف .

(٤) الفضخ : كسر كل شىء أجوف ، نحو الرأس والبطيخ . والكلمة محرفة فى الأصل : فى ل : « تفضح » بالحاء المهملة ، وفيما عدا ل : « تنضح » ، والوجه ما أثبت .

(٥) فيما عدا ل : « الضبة » ، تحريف ، ولعل سبب التحريف كلمة « فيها » التالية فإن الضمير فيها للقصيدة لا لشىء آخر .

فذهب إلى العِظَم[1] . [وقال الذَّكوانى :

* وفيلة كالطَّوْدِ زندبيل *]

وقال الآخر :

* مِن بين فِيلاتٍ وزَنْدَبِيلِ[2] *

فجعل الزَّنْدَبِيل هو الذكر . وقال أبو اليقظان[3] سحيم بن حفص[4] : إنّ الزَّنْدَبيلَ هو الأُنثى . فلم يقِفُوا مِن ذا على شىءٍ[5] .

(الجنّ والحن)

وبعض النّاس يقْسِم الجنَّ على قِسْمين فيقول : هم[6] جِنّ وحِنّ ، ويجعل التى بالحاء أضعفَها . وأما الرّاجزُ[7] فقال :

أَبِيتُ أَهْوِى فى شَيَاطِينَ تُرِنّْ مُختلفٍ نَجْرَاهُمُ جِنٌّ وحِنّ[8]   ٥٣

ففرق هذا بين الجنسين .

---

(١) فيما عدا ل : « الفطس » تحريف .

(٢) الفيلات : جمع فيلة ، وهى أنثى الفيل . فيما عدا ل : « فيلان » محرف .

(٣) ط : « أبو يقطان » ، صوابه فى ل ، س . وفى ه : « أبو يقظان » . وانظر ماسبق فى حواشى (٢ : ١٠) .

(٤) هذا ماذكره الجاحظ أيضا فى (٢ : ١٥٥ / ٣ : ٢١١) . وانظر للخلاف فى اسمه ماسبق فى (٢ : ١٠) .

(٥) فيما عدا ل : « من ذلك على شىء » .

(٦) بدلها فيما عدا ل : « فيكون » ، تحريف .

(٧) الرجز للمهاصر بن المحل ، كما فى اللسان (١٦ : ٢٨٩) . وانظر ماسبق فى (٦ : ١٩٢) .

(٨) النجر : الطبع والأصل والشكل والهيئة . ط ، ه : « نجراهم » ، وهى رواية اللسان . وفى س : « نجوهم » .

(الناس والنسناس)

وسمع بعضُ الجهّال قولَ الحسَن: « ذهبَ النَّاسُ وبَقِيتُ في النِّسناس » فجعَلَ النَّسناس جنساً على حِدَة . وسمع آخرون [هم] أجهلُ من هؤلاء قولَ الكميت : * نِسناسهم والنَّسانسا *

فزعموا أنّهمْ ثلاثةُ أجناسٍ : ناس ، ونِسْناس، ونَسانِسُ[1] هذا سوى القول في الشِّق ، وواق [واق] ، وذوال باى[2] ، وفي العُدَار[3] ، وفي أولاد السَّعالِي من الناس ، وفي غير ذلك مما ذكرناه في موضعه من ذكر الجنّ والإنس .

وقد علم أهلُ العقلِ أنّ النَّسناس [إنما] وقَعَ على السِّفْلة والأوغاد والغَوْغاء ، كما سمَّوا [الغوغاء] الجراد إذا ألقَى البيضَ وسخُف وخَفّ وطار[4] .

(هياج الفيل)

قال : وإذا اغْتَلَمَ الفيلُ قَتَلَ الفِيَلَة والفيَّالين وكلَّ مَن لقِيَه من سائر النَّاس ، ولم يقمْ له شيءٌ ، حتى لا يكونُ لسُوَّاسِه هَمٌّ إلّا الهرَبُ ، وإلّا الاحتيالُ لأنفسهم .

---

(١) النسناس : بفتح النون ويكسر . أما النسانس ، بفتح أوله ، فهم الإناث من النسناس ، أوهم أرفع قدرا ، أوهم يأجوج ومأجوج ؛ أو خلق على صورة الناس وخالفوهم في أشياء وليسوا منهم . انظر القاموس .

(٢) فيما عدا ل : « والزوال » . وانظر ماسبق في (١ : ١٨٩) .

(٣) في القاموس (عدر) : « وكغراب : دابة تنكح الناس باليمن ، ونطفتها دود . ومنه ألوط من عدار » . ط ، س : « في أولاد العراق » ، هـ : « في العراق » صوابهما في ل .

(٤) ل : « وطاش » .

وتزعُم الفُرس أنّ فِيلاً من فِيَلة كِسرى اغتلمَ ، فأقبَلَ نحوَ النّاس فلم يقمْ له شيءٌ ، حتى دنا من مَجلس كِسرى فأقشَعَ عنه جُندُه[1] ، وأسلمتْهُ صنائعُه ، وقَصَد إلى كسرى ولم يبقَ معه إلاّ رجلٌ واحدٌ من فرسانِه[2] كان أخصَّهم به حالاً ، وأرفعَهم[3] مكاناً . فلمّا رأى قُرْبَه[4] من الملك شَدّ عليه بِطَبْرَزِينٍ[5] كان فى يده فضرَبَ به جبهتَه ضربةً غابَ لها جميعُ الحديدة[6] فى جبهته ، فصدَفَ عنها[7] وارتدع ، وأبَى كِسرَى أن يزُولَ من مكانه ، فلمَّا أيقَنَ بالسَّلامة قال لذلك الرجل : ما أنا بما وَهَبَ اللهُ لى من الحياةِ على يدك[8] بأشدَّ سروراً منّى بالذى رأيتُ من هذا الجلَد والوفاء والصَّبْر[9] فى رجلٍ من صنائعى[10] ، وحين لم تخطئْ فِرَاسَتى ، ولم يَفِلْ رأيى[11] فهل رأيت أحداً قطُّ أشدَّ منك ؟ قال : نعم . قال : فحدِّثْنى عنه . قال : عَلَى أن تؤمِّننى . فأمّنه فحدَّث عن بَهْرام جُوبين[12] بحديثٍ شقَّ على الملِك وكرِهَه ، إذْ كان عدُوَّه على تلك الصِّفة .

---

(١) أقشعوا : تفرقوا ، كانقشعوا وتقشعوا . فيما عدا ل : « فانسع عنه جنده » تحريف .

(٢) ط ، ﻫ : « من فرسانهم » .

(٣) ط فقط : « وأرفقهم » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فلما قرب » .

(٥) الطبرزين : فأس يعلقها الفارس فى سرج جواده . انظر المعرب للجواليقى ١٩٤ وأدى شير ١١١ . وفى معجم استينجاس : « تبرزين A battle-axe(usually : fixed to the saddle) . أى فأس القتال ، وهى تعلق عادة فى السرج .

(٦) فيما عدا ل : « الحديد » .

(٧) فيما عدا ل : « عنه » .

(٨) فيما عدا ل : « مما وهب الله لى من الحياة على يديك » .

(٩) فيما عدا ل : « والظفر » .

(١٠) فيما عدا ل : « صنائعنا » .

(١١) فال رأيه يفيل فيالة وفيولة : أخطأ وضعف . ل : « ولم يزل وأبى » ، تحريف .

(١٢) ط ، ﻫ : « سوبين » س : « سومن » بالإهمال . وأثبت ما فى ل . وفى =

قال : إذا اغتَلَمَ الفِيلُ وصَالَ وغَضِبَ وخَمِط[١] خلاَّهُ الفيَّالون والرُّوَّاضُ ، فربَّما عادَ وحشيًّا .

(أهليُّ الفيلة ووحشيُّها)

والفيلة من الأجناس التي يكون فيها الأهليّ والوحشيّ ، كالسّنانير والظِّباء والحمير وما أشْبَهَ ذلك . وأنشد الكِرمانيّ لشاعر الْمولْتانِ[٢] قولَه :

فكنتُ فى طلبى مِنْ عندِه فرَجًا

كراكب الفيل وَحْشِيًّا ومُغْتَلِمَا[٣]

وهذه القصيدة [هى] التى يقول فيها :

قد كنت صَعَّدْتُ عن بُغْبُورُ مغتربًا ... حتى لقيت بها حِلْفَ النَّدَى حَكَمَا[٤]

٥٤ قَرْمٌ كأنَّ ضيــاءَ الشَّمْس سُنَّتُــه

لو نَـاطَقَ الشَّمْس ألقَتْ نحــوه الـكَلِمَا[٥]

= التنبيه والإشراف ٨٩ عند ذكر ملوك الساسانيين : « والعشرون هرمز بن أنو شروان ، ملك اثنتى عشرة سنة ، وخالف عليه بهرام جوبين الرازى ، فآل ذلك إلى أن سمل هرمز . ولا يعلم فيمن قبله وبعده من ملوك الفرس من سمل غيره » . وانظر التنبيه والإشراف ص ١٣٣ ومعجم استينجاس ٢١١ . وفى الاشتقاق ٢٣١ « بهرام شوبين » .

(١) خمط : مثل غضب وزنا ومعنى . ل : « وخبط » .

(٢) المولتان ، سبق القول فيها فى ص ٧٥ . ط ، « لمومان » س : « المولمان » هـ : « المومان » ، صوابها ما أثبت من ل .

(٣) فيما عدا ل : « من عنده كرما » .

(٤) بغبور ، بضم أوله : لقب ملك الصين ، كما فى القاموس . ط ، هـ : « يعبور » ، صوابه فى ل . وصدر البيت ساقط من س .

(٥) ل : « قرما » . والسنة ، بالضم : الوجه ، أو حره ، أو دائرته ، أو الجبهة والجبينان .

(خصائص كسرى)

وتقول الفُرْس : أُعْطِيَ كسرى أبْرَوِيزَ[1] ثمانَ عشْرَةَ خَصْلةً لم يُعطها ملكٌ قطّ[2] ولا يعطاها أحدٌ أبداً ؛ من ذلك [أنّه] اجتمعَ له تِسْعُمائةٍ وخمسون فيلاً ، وهذا شيءٌ لم يجتمعْ عندَ ملِكٍ قطّ . ومن ذلك أنّه أنْزَى الذُّكورةَ على الإناث ، وأنّ فِيلةً منها وضعَتْ عنده ، وهى لاتتلاقح[3] بالعراق ، فكانت أوّل فِيلةٍ بالعراق وآخِرَ فيلةٍ تضع .

قالوا : ولقِى رُسْتَمُ الآزَرِىّ[4] المسلمين يوم القادسيّة ومعه [من الفيلة] عشرون ومائة فيل ، [وكنّ] من بقايا فِيَلة كِسرى أبرويز[5] .

قالوا : ومن خصاله أنّ النّاس لم يَرَوْا قط أمَدَّ قامةً ، ولا أتمَّ ألواحًا ولا أبرَعَ جمالا منه ، فلما مات فرسُهُ الشَّبْدِيز[6] كان لايحمله إلّا فِيلٌ من فِيَلته ، وكان يجمع وَطاءةَ[7] ظَهْر الفِيل وثَبات قوائمه ، ولِينَ مِشيته وبُعْدَ خَطوِه ، وكان ألطفَها بدَناً ، وأعدلَها جسما[8] .

---

(١) ل : « أبرواز » وهى إحدى لغات تعريبه . وأبرويز ، بكسر الواو وفتحها .

(٢) فيما عدا ل : « ملك مضى » .

(٣) فيما عدا ل : « لاتتناتج » .

(٤) الآزرى : نسبة إلى آزر ، كهاجر ، وهى ناحية بين الأهواز ورامهرمز . انظر القاموس (أزر) ومعجم البلدان (١ : ٥٧) والتنبيه والإشراف ٧٦ . فيما عدا ل : « الأدنى » تحريف .

(٥) ل : « أبرواز » . وانظر مامضى فى التنبيه الأول من هذه الصفحة .

(٦) ل : « الشبذار » وفيما عدال : « الصيد » ، صوابه ماأثبت من معجم استينجاس ٧٣١ . قال ماتفسيره : « اسم فرس مشهور لكسرى » .

(٧) س : « وطا » ، وفى سائر النسخ : « وطاء » ، والوجه ماأثبت .

(٨) فيما عدا ل : « ألطفها لدنا وأعدلها خيما » ، تحريف .

(أكثر خلفاء المسلمين فيلة)

قالوا : ولم يجتمع لأحدٍ من ملوك المسلمين[١] مِن الفِيَلة ما اجتمع عندَ أمير المؤمنين المنصور ، اجتمعَ عنده أربعون فيلا ، فيها[٢] عشرون فحلاً .

(شرف الفيل)

قالوا : والفِيل أشرَفُ مراكب الملوك ، وأكثرُها تصرُّفاً ، ولذلك سأل وَهْرِز الأسْوارُ[٣] عن صاحبِ الحبشة ، حين صافَّهم فى الحرب ، فقيل له : هاهو ذاكَ على الفيل . فقال : لا أرميه [وهو على مركب الملوك[٤]] . ثم سأل عنه فقيل له : قد نزل عنه ورَكِبَ الفرَس . قال : لا أرميه وهو على مركب الحُمَاةِ . قيل : قد نزَل عنه وركب الحمار . قال : قد نزل عن مَرْكبِه لِحمارٍ ! فدعَا بعِصابةٍ رَفَع بها حاجِبَيْه — وكان قد أسنَّ حتى سقط[٥] حاجباه على عينيه — ثم رماه فقتلَه .

(ذكاء الفيل)

وكان سهلُ بنُ هارونَ يتعجَّبُ مِنْ نَظَر الفيلِ إلى الإنسان ، وإلى كلّ شيء يمرّ به[٦] . وهو الذى يقول :

ولمَّا رأيتُ الفيلَ ينظُرُ قاصداً ظننْتُ بأنّ الفيلَ يلزمُه الفرضُ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « الإسلام » .

(٢) فيما عدا ل : « منها »

(٣) الأسوار ، بالضم والكسر : قائد الفرس . فيما عدا ل : « ولذلك » .

(٤) هذه التكملة من ل ، س . وكلمة « هو » ليست فى س . وانظر البغال ٣٤٦ .

(٥) فيما عدا ل : « سقطت » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « إلى كل مايمر به » .

(٧) لعله يعنى أنه موضع للتكليف والمطالبة بالفرض . س : « الهرض » .

قال أبو عثمان : وقد رأيتُ أنا فى عَين الفيل من صحّة الفَهْم والتأمُّلِ إذا نظرَ بها ، و[ما] شبهت نظرَه إلى الإنسان [إلاّ] بنظرِ ملكٍ عظيم الكِبْر راجح الحِلم . وإذا أردْتَ أن ترَى من الفيل ما يُضحِك ، وترَاهُ فى أسخَفِ حالاته [وأجهلِهِ] فألق إليه جوزةً ، فإنَّه يريد أن يأخذ[١] بطرَف خُرطومِه ، فإذا دنا منها تنفَّسَ ، فإذا تنفَّس طارت الجَوزة من بين يديه ، ثم يدنو ثانيةً ليأخذَها فيتنفسُ أخرى ، فتبعد [عنه] ، فلا يزال ذلك دأبَه .

(فضله فى الحرب)

قالوا : ويفضُل الفيلُ القرسَ فى الحرب أنّ الفيل يحمِى الجماعة كلهم ، ويقاتل ويَرمِي ويزجّ بالمزاريق[٢] ، وله من الهول ماليس للفرس[٣] ، وهو أحسن مطاوعةً ، ولا يُعْرَفُ بجِماحٍ ولا طِماحٍ ولا حِران .

والخيولُ العِتاقُ ربَّما قتلَت الفُرسانَ بالحِرانِ مَرَّةً وبالإقدام مَرَّة ، وبسُوء الطّاعة وشدّة الجزع ، وربَّما شبَّ الفرسُ بفارسه حتى يلقِيَه بين الحوافر والسُّيوف ، للسَّهم يصيبه والحجرِ يقع به[٤] . ٥٥

وما يُشبه ظهرُ الفرَسِ مِن ظهره ، وظهرُ الفيل منظرةٌ من المناظر[٥] ومَسْلَحَةٌ من المسالح :

---

(١) فيما عدا ل : « فإنه يأخذها » .

(٢) المزراق : رمح قصير . فيما عدا ل : « المذاريق » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « وليس له من الهول ماللفرس » ، وهو عكس مايريد .

(٤) فيما عدا ل : « لسهم يصيبه ولحجن يقع به » .

(٥) فيما عدا ل : « قنطرة من القناطر » ، تحريف .

(عمر الفيل)

وفى الفِيَلةِ عجبٌ آخَرُ ، وذلك أنّ قِصَر الأعمارِ مقرونٌ بالإبلِ والبراذين وبكلِّ خَلْقٍ عظيم . وكلُّ شيء يعايشُ النَّاسَ فى دُورهم وقُراهم ومَنازلهم فالناس أطولُ أعماراً منها ، كالجمل ، والفَرَس والبرذَوْن ، والبغلِ والحِمار ، والثَّوْر والشَّاة ، والكلْب والدَّجاج ، وكلِّ صغيرٍ وكبيرٍ ؛ إلاّ الفيل فإنّه أطولُ عمراً .

والفيلُ أعظم مِن جميع الحيوان جسماً وأكثرُ أكلاً ، وهو يعيشُ مائة السنة ومائتى السَّنة[١] .

وزعم صاحبُ المنطق فى كتاب الحيوان أنّه قد ظهَرَ فيلٌ عاش أربَعمائة سنة . فالفيل فى هذا الوجه يشارك الضِّباب والحيَّات والنُّسُور ، وإذا كان كذلك فهو فوقَ الوَرَشان وعَيْر العانة — وهو من المعمَّرين وفوقَ المعمَّرين — وهو مع ذلك أعظم الحيوان[٢] بدناً ، وأطولُها عمراً .

(الأسد والفيل)

وقال بعض من يستفهم ويحب التَّعلمَ[٣] : مابال الأسد إذا رأى الفيلَ عَلِم أنّه طعام له ، وإذا رأى النَّمر والبَبْر لم يكونا عنده كذلك ؟ وكيف وهو

---

(١) فيما عدا ل : « المائة سنة والمائتى سنة » بتعريف العدد وتنكير المضاف إليه ، وهو وجه جائز مع قبح ، حكاه ابن عصفور . قال الخفاجى فى شرح درة درة الغواص (١٣٥) : « ووقع فى صحيح البخارى : وأتى بالألف دينار » . ونقل الخفاجى عن التسهيل : « إذا قصد تعريف العدد أدخل حرفه على الآخر إن كان مضافا ، أو عليهما شذوذا لاقياسا ، خلافا للكوفيين » . فما أثبت من ل هو الوجه المرتضى .

(٢) فيما عدا ل : « أطول الحيوان » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « العلم » .

أعظمُ وأضْخَم وأشْنَع وأهْوَل ؟ فإن كانَ الأسدُ إنما اجترأ عليه لأنّه [من] لحمٍ ودمٍ ، واللّحْمُ طعامُه والدَّم شرابُه ، فالببر والنَّمر من لحمٍ ودم ، وهما أقلُّ من هؤلاء وأقْأ جسما .

قال القوم : ومَتَى قَدَّرَ الأسدُ فى الفيل أنه إذا قاتله غلبه ، [وإذا غلبه قَتله] ، وإذا قتلَه أكلَه ؟ وقد نَجِدُ الببْرَ فوقَ الأسد وهو لايعْرِض له ، والأسد فوق الكلب وهو يشتهى لحمه ، و [يشتهى] لحم الفهد[١] بأكثر ممّا يشتهى لحمَ الضّبع والذئب ، وليست علّته المواثبة[٢] التى ذهبتم إليها .

(معرفة الحيوان)

فأمّا عِلْم جميعِ الحيوانِ بمواضع ما يُعيشها[٣] ، فَمنْ علّم البعوضةَ أنّ مِن وراء[٤] ظاهرِ جلد الجاموس دمًا ، وأنّ ذلك الدمَ غذاءٌ لها ، وأنّها مَتَى طعنَتْ فى ذلك الجلدِ الغليظ الشَّثْن[٥] ، الشديد الصُّلبِ ، أن خرطومَها ينفذ فيه على غير مُعاناة[٦] . ولو أن رجلا منّا طعَنَ جلدَه بشوكةٍ لانكسرت الشَّوكةُ قبل أن تصل إلى موضع الدم . وهذا بابٌ يُدْرَك بالحسِّ وبالطّبع وبالشبه وبالخِلْقة[٧] . والذى سخّر لخرطوم البَعوضةِ جلدَ الجاموس ، هو الذى سخَّر الصخرةَ لذنَب الجرادة ، وهو الذى سخَّر قمقُمَ النُّحاس لإبرة العقرب[٨] .

---

(١) فيما عدا ل : « القنفذ » ، تحريف . وانظر لولوع الأسد بلحم الفهد ماسبق فى (٤ : ٢٢٨ / ٦ : ٤٨١) .
(٢) فيما عدا ل : « تحله الموائية » ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « بالمواضع التى تعيشها » .
(٤) فيما عدا ل : « أن بين » .
(٥) الشثن : الغليظ . ل فقط : « المتين » .
(٦) فيما عدا ل : « من غير معاناة » .
(٧) ل : « وبالبنية والخرقة » ، تحريف .
(٨) انظر ماسبق فى (٥ : ٥٥٠) .

(علة عدم تلاقح الفيلة بالعراق)

وقال بعض خصماء الهند [(١)] : لوكانت الفيلة لاتتلاقحُ عندنا بالعراق لأنها هنديَّة لتغيّر الهواءِ والأرض ، فعقَر ذلك أرحامَها ، وأعْقَمَ أصلابَها لكان ينبغي للطواويس أن لاتتزاوج عندنا[(٢)] ولا تبيض ولا تُفرخَ[(٣)] . ٥٦

ونحن قد نَصيد البلابِل والدباسيّ[(٤)] ، والوراشين ، والفواخت والقَماريَّ [والقَبَجَ] والدُّرَّاج ، فلا تتسافَدُ عندنا فى البيوت ، وهى من أطيار بساتيننا وضِياعنا ، ولا تتلاقَحُ إذا اصطَدْناها [كرارزة[(٥)]] ، بل لاتصوِّت ولا تغنِّى ولا تَنُوح ، وتبقى عندنا وحشيّةً كِمدةً ماعاشت ، فإن أخذْناها فراخاً زاوَجَتْ وعَشَّشتْ وباضت وفرّخت ، فلعلَّكم أن تكونوا لو أهديتم إلينا[(٦)] أولادَها صغاراً فنشأت عندنا وذهب عنها وحشة [الخَلاء ، وجدَتْ] أُنسَ الأهليّ ؛ فإنَّ الوحشة هى التى أكْمَدَتْها ، ونقضَتْ قوّتَها[(٧)] ، وأفنت شهْوَتَها .

---

(١) خصماء : جمع خصيم ، وهو المخاصم . فيما عدا ل : « بعض الحكماء » وليست بشىء .

(٢) فيما عدا ل : « للطاوس أن لايتزاوج عندنا » .

(٣) فيما عدا ل : « وأن لايبيض ولا يفرخ » .

(٤) الدباسى : جمع دبسى ، وهو ضرب من الحمام سبق الكلام عليه فى (١ : ١٩٤ ، ٢٨٨ / ٣ : ٢٠١ ، ٢٤٣) . فيما عدا ل : « الدناسى » ، تحريف .

(٥) الكرارزة : جمع كرز ، بضم الكاف وتشديد الراء ، وهو من الطير الذى قد أتى عليه حول .

(٦) فيما عدا ل : « إليها » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « ونقصت » بالمهملة .

(وفاء الشفنين)

وقد نجد الشِّفْنينَ الذَّكرَ تهلِكُ أنثاه فلا يُزاوِج غيرَها أبداً ، فى بلادها كان ذلك أوفى غير بلادها . ونحن لو جِئْنا بالأُسْد والذِّئاب والنُّمور والبُبُور فأقامَتْ عِندنا الدَّهرَ الطَّويلَ لم تتلاقح .

(قصة الذئب والأعرابى)

وقد أصاب أعرابىٌّ جروَ ذئبٍ فربّاه ورجَا حراستَه وأن يألفَه ، فيكونَ خيراً [له] من الكلب ، فلما قوِىَ وثب على شاةٍ له فأكلها(١) ، فقال الأعرابى :

أكلْتَ شُوَيْهَتِي ورَبِيتَ فينا ... فما أدراك أنَّ أباكَ ذِيبُ(٢)

(تسافد حمير الوحش)

وقد تتسافد عندنا [حمير الوحش(٣)] . وقد تلاقحتْ عندَ بعض الملوك .

(تلاقح الظباء فى البيوت)

وكان جعفرُ بنُ سليمانَ أحضَرَ على مائدته بالبَصرة يوم زارَهُ الرّشيدُ ألبانَ الظّباء وزُبْدَها وسِلاها(٤) ولبَأها ، فاستطاب الرشيدُ جميعَ طُعومِها

---

(١) ل : « على جمل له فأكله » ، والشاهد يأباه . وقد سبقت القصة فى (٤ : ٤٨ / ٦ : ٢٤) . وانظر ثمار القلوب ٣١٢ وعيون الأخبار (٢ : ٥) وجمهرة العسكرى ١٣٨ وغرر الخصائص ٥٥ ومحاضرات الراغب (١ : ١٢٢) وأمثال الميدانى (١ : ٤١) والمحاسن والمساوى للبيهقى (١ : ٩٦) .

(٢) فيما عدا ل : « وربيت عندى فما أدراك » .

(٣) موضع هذه التكملة بياض فى س .

(٤) أراد السلاء ، وهو بالكسر والمد : السمن ، والجمع أسلئة .

فسأل عن ذلك[١] وغمز جعفرٌ بعضَ الغلمان فأطلقَ عن الظِّباء ومعها خِشْفانُها[٢] ، وعليها شُمُلها[٣] ، حتى مرَّتْ فى عَرْصةٍ تُجاهَ عينِ الرَّشيد ، فلما رآها على تلك الحال وهى مقرَّطة مخضَّبة[٤] استخفَّه الفرح والتعجُّب[٥] حتى قال : ماهذه الألبان ؟ وما هذه السُّمْنان واللِّبأ والرَّائب والزُّبد الذى بينَ أيدينا ؟ ! قال : مِن حَلَبِ هذه الظِّباء أُلِّفَتْ[٦] وهى خِشْفانٌ فتلاقحتْ وتلاحقت[٧] .

(استنتاج الذئاب والأسد بالعراق)

ولو أطلقوا الذِّئابَ والأُسْد فى مُرُوجِ العراق ، وأقاموا لها حاجاتِها لتسافدَتْ وتلاقحت . فلعلَّهم لو تقدَّموا فى اصطناع أولاد الفِيَلة واقتنائها صغاراً أن تأنس[٨] حتى تتسافَدَ وتتلاقح .

وقد زعمتم أنَّ كسرى أبرويز[٩] استنْتج دَغْفَلاً واحداً[١٠] .

---

(١) ل : « فاستطاب الرشيد جميع ذلك » .

(٢) الخشفان : أراد به جمع خشف ، وهو ولد الظبية . والمعروف فى هذا الجمع « خشفة » كقردة . وقد سبق استعمال الجاحظ للخشفان فى (٤ : ٤٢٨ س ٢) .

(٣) الشمل : جمع شمال ، ككتاب ؛ وهو شىء كخلاة يغطى به ضرع الشاة إذا ثقلت . فيما عدا ل : « سملها » تحريف .

(٤) مقرطة : ذات أقراط ، هـ : « مفرطة » ، تحريف . وفيما عدا ل : « مخصبة » .

(٥) فيما عدا ل : « استخفه الطرب » .

(٦) فيما عدا ل : « اقتنيت » .

(٧) ط ، س : « فتسافدت وتلاقحت » هـ : « فتلاحقت وتلاحقت » ، وأثبت ما فى ل .

(٨) فيما عدا ل : « لم تلبث » .

(٩) ل : « أبرواز » . وانظر ماسبق فى حواشى ص١٨١ .

(١٠) الدغفل : ولد الفيل ، وهو بفتح الدال والفاء .

(احتجاج الهندى)

قال الهندىّ : تكفينا هذه الحُجَّة ، وهى بيننا وبينكم . أوَ ليس قد جَهد فى ذلك جميعُ الملوك من جميع الأمم فى قديم الدهر ، فلم يستنتجوا إلا واحدا . وعلى أنَّ[١] هذه الأحاديثَ من أحاديث الفُرْس ، وهم أصحاب نَفْجٍ وتزيّد[٢] ولا سيَّما فى كلِّ شىء ممـا [يدخل] فى باب العصبيَّة ، ويزيد فى أقدار الأكاسرة ، وإن كانوا كذلك فهم أظِنَّاءُ[٣] ، والمتهم لاشهادة له[٤] . ولكن هل رأيتم قطُّ هندياً أقرَّ بذلك ، أو هل أقرَّت[٥] بقايا [سائر] الأمم للفرسِ بهذا الأمر للفيلِ المعروفِ بهذا الاسم[٦] .   ٥٧

(استطراد لغوى)

ويقال رجل فيلٌ إذا كان فى رأيهِ فِيَالة ، والفِيَالة : الخطأ والفساد . وهم يسمُّون الرَّجُلَ بفيل . منهم فِيلٌ مولى زِياد . ويكنون بأبى الفيل ، منهم أبو الفِيل الأشعرىّ الذى امتدحه أبو دَهْبَل[٧] . وقال : الرَّاجز غَيْلان

---

(١) فيما عدا ل : « واعلم أن » :
(٢) النفج : الفخر والكبر . ط ، س : « نفخ » هـ : « نقع » ، صوابهما فى ل .
(٣) أظناء : جمع ظنين ، وهو المتهم الذى تظن به التهمة . فيما عدا ل : « أطباء » تحريف .
(٤) ط ، هـ : « وأتمهم لاشهادة له » س : « وأيمنهم لاشهادة له » ، صوابهما من ل :
(٥) فيما عدا ل : « أم هل أقر » .
(٦) مابعد كلمة « الأمر » إلى هنا ساقط من ل . والكلام بعد هذه الكلمة إلى : « أضحى » فى ص ١٩٠ ليس فى ل . وقد سبق متصلا بكلام آخر فى التكملة التى مضت فى ص ٨١ - ٨٥ .
(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ١٠) س ، هـ : « أبو ذهيل » ، تحريف .

يقال له راكبُ الفِيل : ومنهم عَنْبَسة الفيل ، وكذلك يقال لأبيه مَعدَان. وله حديث . وقال الفرزدق :

لقدكان فى مَعْدانَ والفيلِ زاجرٌ   لعَنْبسةَ الرّاوى علىَّ القصائدَا

وقال الأصمعىّ : إذا كان الرجلُ نبيلاً جباناً قِيلَ هذا فِيلٌ ، وأنشد :

يقولون للفِيلِ الجبان كأنّه   أزبُّ خَصِىٌّ نَفَّرَتْهُ القَعاقِعُ

وقال سَلمة بن عَيَّاش[1] : قال لى رؤبة : « ماكنتُ أرَى فى رأيك فَيالة » . ويقول الرَّجلُ لصاحبه : لم يَفِلْ رأيُك . وهو رأىٌ فائل ، ورجلٌ فِيل . وبالكوفة بابُ الفيل ، ودار الفِيل فى السبابجة[2] ، وكذلك حَمَّام فيل : وفى حمَّام فِيل يقول بعضُ السَّلَف :

لَعمْرُ أبيكَ ما حمَّامُ كِسرَى   على الثلثينِ من حمَّامِ فِيلِ

[وقال الجارود بن أبى سبرة[4]] :

وما إرْقاصُنا خَلْفَ المَوَالِي   كسنَّتنا على عهد الرّسولِ[5]

وأبو الفيل محمد بن إبراهيم الرافقىّ[6] كان فارس أهل العراق . وفِيلويه السّقطى هو الذى كان يُجرى لأمّه كلَّ أضْحى دِرهما . فحدثتنى امرأةٌ قالت قلتُ لأمّ فِيلُويَهْ : أوَ ما كان يجرى فِيلويَه فى كلِّ أضْحَى إلا درهمًا ؟ قالت : إى والله ، و ربّما أَدْخلَ أضْحى فى أضحى !

---

(١) فى الأصل : « سلمة بن عباس » ، تحريف . وقد سبقت ترجمته فى ص ٨٢ .

(٢) سبق الكلام على « السبابجة » فى حواشى ص ٨٣ . هـ : « السابجة » ط : « الساحة » س : « بالسابحة » ، والوجه ماأثبت .

(٣) فى الأصل : « على البانين » ، صوابه مما سبق فى ص ٨٤ .

(٤) التكملة مما سبق فى ص ٨٤ .

(٥) فى الأصل : « ولم أر قاصيا خلف الموالى كنسبتنا » ، تصحيحه مما سبق فى ص ٨٥ .

(٦) فى الأصل : « الرافعى » ، تحريف . وانظر ماسبق فى ص ٨٥ .

(مثالب الفيل)

وقال بعضُ من يخالف الهند : الفيل لا يُنْتَفع بلحمه ولا بلبَنه ، ولا بسمْنِه ولا بزبده ، ولا بشَعره ولا بوبَره ولا بصوفه ، عظيم المؤُونة في النفقَة[١] ، شديد التّشزُّن على الرُّوَّاض[٢] ، [و] إن اغتلم لم تفِ جميعُ منافعه في [جميع] دهرِه بمضرَّة ساعةٍ واحدة . وهو مرتفعٌ في الثمن ، وإن أخطئوا في تدبير مَطعَمِه ومَشربه ، وتعلُّمه وتلقنه[٣] هلَكَ سريعا ، ولا يتصرَّف كتصرُّف الدَّوابّ ، ولا يُركَب في الحوائج والأسواق[٤] و [في] الجنائز والزِّيارات . ولو أنَّ إنسانا عادَ مريضًا أو اتَّبع جنازةً على فِيلٍ لصارَ شُهرةً ، وتركَ الميِّتَ آية .

(رؤيا الفيل)

وسُئِل ابنُ سيرينَ عن رجلٍ رأى فيما يَـرَى النَّائم كأنه راكبٌ على فيل ، فقال : أَمرٌ جسيمٌ لا منفعة له[٥] .

قالوا : وقال رجلٌ للحجَّاج [بن يوسف] : رأيتُ في المنامِ رجلاً مِن عُمَّالك قدَّمَ فيلاً فضرَب عُنقَه . فقال : إن صدقَتْ رُؤْياك هلك دَاهَر ابن بصبهرى[٦] . ٥٨

---

(١) ط ، ل : « في المنفعة » .

(٢) التشزن : التحرف والاعتراض . فيما عدا ل : « التحرف على الرياض » ، تحريف .

(٣) ل : « وتقليبه وتنقله » .

(٤) فيما عدا ل : « في الأسواق » .

(٥) فيما عدا ل : « فقال له أمر جسيم لامنفعة فيه » .

(٦) في القاموس : « داهر ، كهاجر : ملك الديبل قتله محمد بن القاسم الثقفي » . فيما عدا ل : « زاهر » تحريف . وفي ل : « داهر بن صعصعة » .

(حكم أكل لحمه)

وسئل الشَّعبيُّ عن أكل لحمِ الفيـــل ، فقال : ليس هو من بهيمة الأنعام .

(خرطوم الفيل)

وخرطومُه ، الذى هو سلاحُه والذى به يبطِشُ وبه يعيش ، مِنْ مَقاتِله .

وقال زَهْرة بن جُوَيَّة [١] يوم القادسية : أمَا لهذه الدابة مقتل ؟ قالوا : بلَى ، خُرطومه ، فشدَّ عليهم حتى خالَطَهم ، ودنا من الفيل ، فحمَلَ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه فضرَبَ خرطومَه فبَرَك وأدبر القوم .

(بعض صفة الفيل)

قال : والفيل أفقَمُ قصير العنق [٢] ، مقلوبُ اللسان ، مشوَّه الخَلْق ، فاحش القُبْح ، ولم يفْلِـحْ [٣] ذو أربعٍ قطُّ قصير العُنق فى طلبٍ ولا هرب . ولو [لا] أنَّ مسلوخَ الثَّور [٤] يجول فى إهابه ، ولولا سعته وغَبَبُه ، لما خَطَا [٥]

(١) زهرة ، بفتح الزاى ، كما فى القاموس (زهر) . وجؤية ، أوله جيم ، كما فى ل وتاج العروس (زهر) قال : « وهو الصواب . ويقال فيه زهرة بن حوية بالحاء المهملة المفتوحة وكسر الواو . وقيل إنه تابعى ، كما حققه الحافظ . وقيل صحابى » . انظر الإصابة ٢٨١٥ . وفيما عدا ل : « حيوة » تحريف . وجاء فى نسخة القاموس المطبوعة : « بن جويرية » .

(٢) فيما عدا ل : « صغير العنق » .

(٣) فيما عدا ل : « ولم يصلح » .

(٤) فيما عدا ل : « سلاح الثور » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « ولولا سعته لما خطا » .

مع قِصَر عنقه ، ولذلك قال الأعرابى[1] : « [ومن جَعَل الأوْقَص كالأعْنق والمطبِّق كالضابع[2] » . و] قال الشّاعر فى غَبَبِ الثَّور[3] ، وهو إسحاق ابن حسان الخُرَيمىّ[4] :

وأغلبَ فضفاض جلد اللَّبَانِ يُدافع غَبْغَبَه بالوظِيفِ

وليس يُؤْتَى البَعيرُ فى حُضره[5] مع طول عنقه إلاّ من ضِيقِ جلْده .

والفيلُ ضئيل الصَّوت ، وذلك من أشدِّ عيوبه . والفيل إذا بَلَغَ فى الغلمة أشدَّ المبالغ[6] أشبَهَ الجملَ فى تَرْك الماءِ والعلَف حتى تنضمَّ أيْطلاه ويتورَّم رأسه[7] . وقد وصف الرَّاجزُ الجملَ الهائج فقال :

سامٍ كأنَّ رأسَه فيه وَرَمْ[8] إذْ ضَمَّ إطْليْهِ هَياجٌ وقَطَمْ[9]

* وآضَ بعد البُدْنِ ذَا لحمٍ زِيَمْ[10] *

---

(١) ط : « أعرابى » . وبعد هذه الكلمة موضع بياض فى كل من س ، ه وأصل المطبوعة .

(٢) الأوقص : القصير العنق . والأعنق : الطويلها . والمطبق : الذى يثب فتقع قوائمه بالأرض معا . والضابع : الذى يمد ضبعيه فى سيره ، والضبع : العضد .

(٣) الغبب : الجلد المتدلى تحت الحنك . فيما عدا ل : « عيب الثور » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « بن حبان » تحريف . وكلمة « الخريمى » ساقطة من ل . وهى فى سائر النسخ « الجريمى » ، والصواب ما أثبت . وقد سبقت ترجمة إسحاق الخريمى فى (١ : ٢٢٤ — ٢٢٥) .

(٥) فيما عدا ل : « فى ظهره » .

(٦) ط ، ه : « المبالغة » ، وكلمة « أشد » ساقطة من ل .

(٧) فيما عدا : « وترم رأسه » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « ودم » ، تحريف .

(٩) الإطل ، بكسرتين وبكسرة ، والأيطل أيضا : الخاصرة . والقطم : شهوة الضراب . فيما عدا ل : « أيطلا هياج فقطم » ، تحريف .

(١٠) زيم : متفرق ليس بمجتمع . فيما عدا ل : « ودم » ، تحريف .

ولو لم يكنْ في الفِيَلة من العيب[1] إلا أن عِدَّةَ أيام حملها[2] كعمر بعض البهائم ، لكان ذلك عيباً .

وقد[3] ترك أهلُ المدينة غِراسَ العَجْوة ، لمَّا كانت [لا] تطعِمُ إلَّا بعد أربعين سنة .

(قدرته على حمل الأثقال)

قال : وليس شيءٌ يحمل من عدد الأرطال ما يحمِل الفِيلُ ؛ لأنّ الذى يفضُل [فيما] بين حِمْل الفيل وحِمْل البُخْتيّ أكثرُ مِن قَدْرِ مايفضل بين جسم الفيل على جسم البُخْتي .

وقد قال الأعرابيُّ الذى أُدخِلَ[4] على كِسرى ليَعْجب[5] من جفائه وجَهْله ، حين قال له : أيُّ شيء أبعَدُ صوتاً ؟ قال : الجمل . قال : فأيُّ شيءٍ أطيَبُ لحماً ؟ قال : الجمل . [قال : فأيُّ شيء ينهض بالْحِمل ؟ قال : الجمل] . قال كسرى : كيف يكون الجملُ أبعَدَ صوتًا ونحن نسمَعُ صوتَ الكُرْكيِّ من كذا وكذا ميلاً ؟ قال الأعرابى : ضَعِ الكرْكيَّ فى مكان الجمل ، وضَعِ الجملَ فى مكان الكُركيِّ حتى يُعرفَ[6] أيُّهما أبعَدُ صوتاً . قال : وكيف يكون لحمُ الجملِ أطيبَ من لحم البطّ والدَّجاج والفِراخ

(١) فيما عدا ل : « عيب » .
(٢) فيما عدا ل : « عدد أيام عمرهم » ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « ولو » ، تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « دخل » .
(٥) فيما عدا ل : « ليتعجب » .
(٦) فيما عدا ل : « حتى تعلم » .

والدُّرّاج والنَّوَاهِض والجِداء[1] ؟ قال الأعرابىّ : يُطبَخ لحمُ الدَّجاج بمــاء ومِلح ، ويُطبخ لحم الجملِ بمــاء وملح ، حتى يُعرَف[2] فَضْل مابين اللَّحمَين . قال كِسرى : فكيف تزعُم أنّ الجملَ أحْمَلُ للثِّقْل[3] من الفيل والفيلُ يحمل كذا وكذا رطلا ؟ قال الأعرابىّ : ليبركِ الفِيلُ ويَبركِ الجمل ، وليُحمَل [على] الفيل حِمْل الجْمل ، فإنْ نهض به فهو أحْمَلُ للأثقال . ٥٩

قال القوم : ليس فى استطاعة الجِمال النهوضَ بالأحمال[4] مايوجب لها فضيلةً [على حَمْلِ ماهو أثقل. ولعمرى ، إنَّ للجمل بِلينِ أرساغه وطُول عنقِه لفضيلةً فى] النُّهوض بعد البروك[5] ، فأمَّا نفس الثقل[6] فالذى بَينهما أكثر من أن يقع بينهما الخيار .

قالوا : وبِفارِسَ ثِيرانٌ تحمِل حِمْلَ الجْملِ باركةً ثم تَنهض به[7] . فهذا باب الذمّ .

(مناقب الفيل)

[فأمَّا باب الحَمدِ] فقد حُدِّثنا عن شَرِيكٍ ، عن جَابر الُجعْفى ، قال : رأيت الشعبىَّ خارجاً فقلت له : إلى أينَ[8] ؟ قال : أنظُرُ إلى الفيل .

قال : وسألتُ أبا عبيدةَ فقلتُ : ما لونُ الفيل ؟ قال : جَوْن .

---

(١) الجداء : جمع جدى . وانظر لطيب لحمه مامضى فى (١ : ٢٣٣ / ٢ : ٢٤٩ / ٤ : ٤٥ / ٥ : ٤٨١ — ٨٤٢) . فيما عدا ل : « الجوازل » : جمع جوزل ، وهو فرخ الحمام .

(٢) فيما عدا ل : « حتى تعرف » .

(٣) فيما عدا ل : « للثقيل » .

(٤) فيما عدا ل : « الجمل للنهوض بالأحمال » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « النزول » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « الفيل » .

(٧) فيما عدا ل : « ثم ناهضة » .

(٨) بدله فيما عدا ل : « فقلت له أين تريد » .

(ما يحث به الفيل)

ومن أعاجيب الفيل [أن] سَوطه الذى به يُحَثُّ ويصرَّف[١] ، مِحجَنُ حديدٍ[٢] طرفُه فى جبهته ، والطَّرَف الآخَر فى يد راكبه ، فإذا أراد منه شيئاً غمَزَ تلك الحديدةَ فى لحمه ، على قَدْر إرادته لوجوهِ التصرُّف .

(قصة الفيل)

وقد ذكر [ذلك] أبو قيس بن الأسلت فى الجاهليَّة . وهذا الشِّعر حجَّة فى صَرْفِ الله الفيلَ والطَّيرَ الأبابيل ، وصدِّ أبى يَكسوم[٣] عن البيت . وسنذكر من ذلك طرفاً إن شاء الله تعالى . قال أبو قيس[٤] :

ومِن صُنْعِه يومُ فِيل الُحبو شِ إذْ كلّما بَعثُوه رَزَمْ[٥]

محاجِنُهم تحتَ أقرابِهِ وقد كَلَمُوا أنفه فانْخرَمْ

وقد جعلوا سَوْطَهُ مِعْوَلاً إذا يمَّمُوهُ قَفَاهُ كَلِمْ[٦]

فأرسَلَ من فوقهم حاصِبًا يلفُّهمُ مثلَ لَفِّ القَزَمْ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « ويضرب » .

(٢) ط ، هـ : « بمحجن حديد » ، تحريف .

(٣) أبو يكسوم كنية أبرهة ملك الحبشة الذى وجه الفيل لهدم البيت . انظر ماسبق فى حواشى ص ١٠١ . ل : « وجند الكيسوم » ، تحريف .

(٤) أنشد هذه الأبيات ابن إسحاق فى السيرة ٣٩ جوتنجن . قال ابن هشام : « وهذه الأبيات فى قصيدة له . والقصيدة أيضا تروى لأمية بن أبى الصلت » .

(٥) فى الأصل والسيرة : « كل ما » . ورزم : لم يقدر على النهوض رزاحا وهزالا . فيما عدا ل : « وزم » تحريف .

(٦) ل : « وقد جعلوا وسطه » س : « صوته » ، صوابهما فى ط ، هـ والسيرة .

(٧) ل : « فوقهم صاحبا » فيما عدا ل : « من ربهم حاصب » . وتصح هذه الأخيرة ببناء الفعل للمجهول . وأثبت مافى السيرة . والقزم ، بالتحريك : صغار الغنم . فيما عدا ل : « القرم » ، صوابه فى ل والسيرة .

[و] قال أيضًا صَيْفِيُّ بنُ عامر ، وهو أبو قيس بن الأسلت ، وهو رجلٌ [يمان] من أهل يثرب ، وليس بمكيّ [ولا] تَهامٍ[1] ولا قُرَشِيّ ولا حَلِيفِ قرشيّ ، وهو جاهليّ :

قُومُوا فصلُّوا رَبَّكم وتَعوَّذُوا
بأركان هذا البيتِ بين الأخاشبِ[2]

فعندكمُ منه بَلاءٌ مُصدَّقٌ غداةَ أبي يَكْسُومَ هادِي الكتائبِ

فلمَّا أجازُوا بطن نُعمانَ رَدَّهُم جُنُودُ الإلٰه بين سافٍ وحاصبِ

فولَّوْا سِرَاعًا نادِمِينَ ولم يَؤُب إلى أهله مِلْحُبْشِ غيرُ عصائبِ[3]

ويدلُّ على صحَّة هذا الخبرِ قول طُفيل الغَنَوِيّ ، وهو جاهليّ ، وهذه الأشعارُ صحيحةٌ معروفةٌ لايرتاب بها[4] أحدٌ من الرُّواة ، وإنما قال[5] ذلك طُفيلٌ لأنَّ غَنِيًّا[6] كانت تنزل تِهامة ، فأخرجتها كِنانةُ فيمن أخرجَتْ ، فهو قوله :   ٦٠

تَرْعَى مَذَانِبَ وَسْمِيٍّ أطاعَ له بالجِزْعِ حيثُ عَصَى أصحابَه الفِيلُ[7]

---

(١) تهام ، بالفتح : نسبة إلى تهامة بالكسر . فيما عدا ل : « تهامى » ، وهذه بكسر التاء نسبة قياسية .

(٢) الصلاة هنا : بمعنى الدعاء . والأخاشب ، أراد بهما الأخشبين ، وهما جبلا مكة : أبو قبيس والأحمر . والأبيات فى السيرة ٣٩ — ٤٠ جوتنجن .

(٣) ط ، س : « ملجيش » ، ل : « مل جيش » ، ﻫ : « ملحس » ، والوجه ماأثبت من السيرة .

(٤) فيما عدا ل : « فيها » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وفى ط ، ﻫ : « ذكر » .

(٦) فيما عدا ل : « تحتها » .

(٧) المذانب : جمع مذنب ، وهو مسيل مابين كل تلعتين . فيما عدا ل : «مذالف» ، تحريف . وانظر ديوان طفيل ص ٣٠ .

قال أبو الصَّلت ، واسمه ربيعة ، وهو أبو أميَّة بن أبي الصَّلت ، وهو ثَقَفِيٌّ طائفيٌّ ، وهو جاهليٌّ ، وثقيفٌ يومئذ أضداد بالبلدة وبالمال وبالحدائق والجِنان[١] ، ولهم اللَّاتُ والغَبْغَب[٢] ، وبيتٌ له سَدَنة يضاهِئُون[٣] بذلك قريشا . فقال [مع اجتماع] هذه الأسباب[٤] التي توجب الحسدَ والمنافسة :

إنَّ آياتِ ربِّنا بيِّناتٌ ما يماري فيهنَّ إلاَّ الكَفورُ[٥]

حَبسَ الفيلَ بالمغمَّس حَتَّى ظَلَّ يَحْبُو كأنَّه مَعْقور[٦]

واضعًا حَلْقَةَ الجِرَانِ كما قُطِّـ ـرَ صخرٌ من كَبْكَب محدُورُ

وقال بعضهم[٨] لأبْرَهَةَ الأشرم :

أينَ المفرُّ والإله الطالبْ والأشرمُ المغلوبُ غير الغالبْ

وقال عبد المطَّلب [يوم الفيل] وهو على حِراء :

لاهُمّ إنَّ المـــرءَ يـ ـمنَعُ رَحْلَه فامْنَعْ حِلالَكْ[٩]

---

(١) فيما عدا ل : « وبالجفان » ، تحريف.

(٢) الغبغب ، بتكرار الغين المعجمة ، ويقال أيضا بتكرار المهملة .

(٣) المضاهاة والمضاهأة : المشاكلة والمعارضة . وقرئ (يضاهئون) و(يضاهون) . فيما عدا ل : « يضاهون » .

(٤) فيما عدا ل : « الأشياء » .

(٥) الأبيات مع زيادة في السيرة ٤٠ جوتنجن . وتنسب أيضا إلى أمية بن أبي الصلت كما في السيرة ومعجم البلدان (المغمس) .

(٦) المغمس ، بتشديد الميم المفتوحة : موضع قرب مكة في طريق الطائف ، مات فيه أبو رغال . ل فقط : « ظل يكبو » .

(٧) الجران : باطن عنق البعير . فيما عدا ل : « خلفه الجوار » . قطر : أي ألقى على قطره ، وهو جانبه . فيما عدا ل : « فطر » تحريف . وكبكب : جبل خلف عرفات .

(٨) هو نفيل بن حبيب ، كما في السيرة ٣٦ .

(٩) الحلال : بالكسر : متاع الرحل . فيما عدا ل : « رحالك » ، وما أثبت من ل هو رواية السيرة ٣٥ .

لايغلبنَّ صليبُهُـــمْ وَمِحَالُهُمْ أَبَدًا مِحالَكْ[١]
إنْ كنتَ تاركَهُمْ وَقِبْـــلَتَنا فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ

وقال نُفَيْل بن حَبيب الخثعميّ ، وهو جاهليٌّ شهِدَ الفيلَ وصُنْعَ اللهِ في ذلك اليوم[٢] :

ألاَ رُدِّى جِمالَكِ يارُدَيْنَا نَعِمْنَاكُمْ مع الإصْباحِ عَيْنَا[٣]
فإنَّكِ لو رأيتِ وَلَنْ ترَيْهِ لدى جنْبِ المحصَّبِ مارأيْنَا[٤]
أكلُّ الناسِ يَسْأَلَ عن نُفيل كأنّ عَلَيَّ للحُبْشَانِ دَيْنَا
حَمِدْتُ اللهَ أنْ عاينْتُ طيرًا وحَصْبَ حجارة تُلْـقَى علينا[٥]

وقال المغيرة بنُ عبدِ الله المخزوميّ :

أنتَ حبستَ الفيلَ بالمغمَّسْ حبَسْتَه كأنَّهُ مُكَرْدَسْ
* مُحْتَبَسٌ تزهَقُ فيه الأنفُسْ *

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ[٦] . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ . وأنزل هذه السورة وقريشٌ يومئذٍ مُجْلبون[٧] فى الردِّ على النبي صلى الله عليه وسلم ، وما شيءٌ ٦١

(١) س ، ل : « جهلا وما جمعوا شالك » .
(٢) فيما عدا ل : « ومنع الله عز وجل فى ذلك اليوم » .
(٣) الجمال : جمع جمل . ل ، س : « حمالك » بالمهملة ، جمع حمل . ورواية السيرة ٣٦ ، ومعجم البلدان (٨ : ١٥٤) : « ألا حييت عنا ياردينا » . « نعمناكم » قال السهيل فى الروض الأنف ٤٦ : « دعاء ، أى نعمنا بكم ، فعدى الفعل لما حذف حرف الجر . وهذا كما تقول : أنعم الله بك عينا » .
(٤) فيما عدا ل : « إلى جنب المحصب » .
(٥) ل : « وخصب » تحريف . وفى السيرة ومعجم البلدان : « وخفت » .
(٦) بعدها فيما عدا ل : « إلى آخر السورة » .
(٧) ط ، ه : « مجلية » ، تحريف . وفى س : « مجلبة » ، وأثبت ما فى ل .

أحبُّ إليهم مِن أن يَرَوْا له سَقطةً أو عَثْرَةً أو كِذْبة ، أو بعضَ مايتعلَّقُ به مثلُهم ، فلولا أنّه كان أذكَرَهُم أمراً لايتدافعونه[1] ولا يستطيع العدوُّ إنكارَه ، للذى يُرى من إطباق الجميع عليه ، لوجدوا أكبرَ المقال[2] . فهذا بابٌ يكثر الكلام فيه ، وقد أتينا عليه فى (كتاب الحُجَّة) .

وقال[3] : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ مثل قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ وقال ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ . وهذا كلُّه ليس من رؤية العين لنا .

(استطراد لغوى)

وباب آخَرُ من هذا ، وهو قوله : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . ويقول الرجُل : رأيتُ الرجلَ قال كذا وكذا ، وسمعتُ الله قال كذا وكذا ، وفلانٌ يرى السّيف ، وفلان يرَى رأىَ أبى حنيفة ، وقد رأيت عَقْلَهُ حسنا . وقال ابن مُقبل :

سَلِ الدَّارَ مِنْ جَنْبَىْ حِبِرٍّ فَوَاهِبٍ　　بِحَيْثُ يَرَى هَضْبَ القَليبِ المضيَّحُ[4]

---

(١) فيما عدا ل : « يتدافعون » .

(٢) فيما عدا ل « أكثر المقال » .

(٣) الكلام من هنا إلى نهاية قول الكميت فى ص ٢٠١ : « خطاف ومسحة والأجدل » موضعه فيما عدا ل بعد كلمة « تصرف يدى الفيل » الواردة فى ص ٢٠٨ س ٦ . وورد قبلها فيما عدا ل : « يوصل هذا الموضع بالباب الذى فيه ألم تر كيف فعل ربك » وهى عبارة إلحاق لمسودة الأصل .

(٤) فيما عدا ل : « حين جبير براهب » ، تحريف . وقد سبق البيت فى (٢ : ٢٥٣) .

وإذا قابل الجبلُ الجبلَ فهو يراهُ ، إذْ قام منـه مقام الناظر الذى ينظر إليه .

وتقول العرب : دارُ فلانٍ تَنْظر إلى دار فلان ، ودُورُ بنى فلان تتناظر[1] .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا برىءٌ من كلّ مسلمٍ مع مشرك » قيل : ولم يارسول الله ؟ قال : « لاتتراءى ناراهما[2] » .

ويقولون : إذا استقمت[3] تلقاءَ وجهك فنظَرَ إليك الجبلُ فَخُذْ عن يمينك . وقال الكميت :

وفى ضِبْنِ حِقْفٍ يَرَى حِقْفَهُ خَطافٍ وسَرْحَةَ والأَحْدَلُ[4]

(جسامة الفيل)

قال أبو عثمان : خرجتُ يومَ عيدٍ ، فلما صِرت بعيساباذ[5] إذَا بتَلٍّ مُجَلَّلٍ بقطوع ومقطَّعات[6] ، وإذا رِجالٌ جلوسٌ ، عليهم أسلحَتهم[7]

---

(١) فى الأصل : « ودور فلان تتناظر » تحريف ، وفى (٢ : ٢٥٤) : « ودورنا تتناظر » .

(٢) سبق الحديث فى (٢ : ٢٥٣) .

(٣) فيما عدا ل : « استقبلت » .

(٤) سبق البيت فى (٢ : ٢١) . وهذا البيت فى ل فقط وليس فى سائر النسخ . والضبن ، بالكسر : الناحية ، يقال أخذ فى ضبن من الطريق ، أى ناحية منه . وفى الأصل : « ضين » تحريف . والحقف ، بالكسر : مااعوج من الرمل ، جمعه أحقاف . والأحدل ، بالحاء المهملة : اسم كلب ، كما فى القاموس (حدل) ، وفى الأصل : « الأجدل » تحريف .

(٥) عيساباذ : محلة كانت بشرقى بغداد ، منسوبة إلى عيسى بن المهدى ، ومعنى « باذ » بالفارسية العمارة . ط ، س : « بقساد » هـ : « بمساد » ، صوابهما فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « وإذا فيل مجلل بمقطوع ومقطعات » ، تحريف . وفى اللسان (١٠ : ١٥٦) : « والمقطع — يعنى بالكسر — : ضرب من الثياب الموشاة ، والجمع قطوع . والمقطعات : برود عليها وشى مقطع » .

(٧) فيما عدا ل : « الأسلحة » .

فسألتُ بعضَ مَن يشهَدُ العِيد[١] فقلتُ : مابال هذه المَسْلَحةِ فى هذا المكان وقد أحاطَ النّاس[٢] بذلك التّلّ ؟ فقال [لى] : هذا الفيلُ ! فقصدتُ نحوَه ومالى هَمٌّ إلاّ النّظرُ إلى أذنيه [فرجعتُ عنه بعد طول تأمُّل وأنا أتوهّم عامَّةَ أعضائه بل جميعَ أعضائه إلّا أذنَيه] ، وما كانت لى فى ذلك عِلّةٌ إلّا شَغْلَ قلبى بكلِّ شيءٍ هجمتُ عليه منه ، وكلُّه كان شاغلاً [لى] عن أذنه التى إليها كان قَصْدى ، فذاكرتُ فى ذلك سَهيل بنَ هارون ، فذكر لى أنّه ابتُلِىَ بمثلها ، وأنشد [نى] فى ذلك بيتين من شعره ، وهما قوله :

أتيتُ الفيل محتسِبا بقَصْدى ... لأُبصِرَ أُذنَه وَيطولَ فِكْرِى

فلم أرَ أذْنَه ورأيتُ خَلْقاً ... يقرِّب بين نِسيانى وذِكرِى

(أعجب الأشياء)

قال : وقال رجلٌ مرَّة : أخزى الله الفيل [فما أقبحه] . فقال بكر ابن عبد الله [المزَنىّ] : لاتشتم شيئًا جعلَه الله آيةً فى الجاهليّة ، وإرهاصاً للنبوَّة .

وقال سعدان الأعمَى النحوى[٣] : قلتُ للأصمعىّ : أىُّ شىءٍ رأيت أعجبُ ؟ قال[٤] : الفيل .

---

(١) فيما عدا ل : « من شهد العيد » .

(٢) فيما عدا ل : « اختلط الناس »

(٣) هو أبو عثمان سعدان بن المبارك الضرير ، كان مولى عاتكة مولاة المهدى ، وكان من رواة العلم والأدب البغداديين ، يروى عن أبى عبيدة . انظر نزهة الألباء وبغية الوعاة وتاريخ بغداد ٤٧٨١ .

(٤) فيما عدا ل : « فقال » ، وكذا زيدت الفاء على « قال » فيما عدا ل فى سائر هذه المجموعة من الأخبار .

وقيل لابن الجهم(١) : أيُّ أمورِ الدنيا أعجب ؟ قالَ : الشمّ .

وقيل لإبراهيم النظّام : أيُّ أمور الدُّنيا أعجب(٢) ؟ قال : الرُّوح .

وقيل لأبى عقيل بن دُرُسْت : أيُّ أمورِ الدُّنيا أعجب ؟ قال : النَّوْم واليقَظة .

وقيل لأبى شمر : أيُّ أمورِ الدُّنيا أعجب ؟ قال : النِّسْيان والذِّكر .

وقيل لسلم الخلاَّل(٣) : أيُّ أمور الدُّنيا أعجب ؟ قال : النار .

وقيل لبَطْلَيْمُوس : أيُّ أمور الدنيا أعجب ؟ قال : بَدَنُ الفلك(٤) .

وقال مرَّة أخرى : الضِّياء .

وقيل لأبى [علىٍّ] عمرو بن فائدٍ الأُسْوارىّ(٥) : أىّ شىءٍ [ممّا رأيت] أعجب ؟ قال : الآجال والأرزاق .

وكان إبراهيم بن سيَّارٍ النَّظامُ شديدَ التعجُّب من الفيل(٦) .

وكان مَعْبَدُ بنُ عُمَر(٧) يقول : إنَّ السرطان والنعامة أكثر عجائبَ من الفيل . وهذا [كله] تفسير(٨) .

---

(١) هو محمد بن الجهم البرمكى ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٢٦) . فيما عدا ل : « لأبى الفيل » .

(٢) الكلام بعد كلمة « أعجب » الأولى ، إلى هنا ساقط من ل .

(٣) فيما عدا ل : « لسالم الخلال » .

(٤) فيما عدا ل : « بطن الفلك » .

(٥) سبقت ترجمته فى (٦ : ١٩١) . فيما عدا ل : « عمرو بن فايل » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « فى الفيل » .

(٧) فيما عدا ل : « سعيد بن عمرو » .

(٨) فيما عدا ل : « وهذا تفسير » .

(قول الخضر فى بعض الدواب)

أبو عقيل السوّاق ، عن مُقاتل بن سليمان ، قال : قال موسى للخضر[١] : أى الدوابِّ أحبُّ إليك ، وأيُّها أبغَض ؟ قال : أُحِبُّ الفرسَ والحمارَ والبعيرَ ؛ لأنّها [من] مراكب الأنبياء ، وأُبغِض [الفيل و[٢]] الجاموسَ والثَّور . ٦٢

فأمّا البعير فمركب هُودٍ وصالحٍ وشَعيب والنبيِّين عليهم السلام . وأما الفرَس فمركب أُولِى العزْم من الرُّسل وكلِّ من أمرَه الله بحمل السِّلاح وقتالِ الكفّار . وأمّا الحِمار فركب عيسى بنِ مَريم وعُزَير وبَلعَم[٣] . وكيف لا أحبُّ شيئاً أحياه الله بعدَ موته قبل الحشْر[٤] .

قال : ولمّا نظر الفضلُ بن عيسى الرَّقاشىُّ إلى سَلْم بن قُتيبة[٥] على حمارٍ يريد المسجد قال : قِعْدة نَبِىٍّ وبِذْلة جبّار[٦] .

وأُبغض الفيل لأنّه أبو الخنزير[٧] ، وأبغض الثَّور لأنّه يشبه الجاموس ، وأبغض الجاموسَ لأنّه يشبه الفيل .

وأنشد [نى] فى هذا المعنى جَعفرُ ابنُ أختِ واصل ، فى منزل الفضل ابن عاصم الباخَرزىّ[٨] :

---

(١) الخضر النبى صاحب موسى الذى التقى معه بمجمع البحرين . وهو بفتح فكسر . وفى اللسان : « يجوز فى العربية الخضر — أى بالكسر — كما يقال كبد وكبد . قال الجوهرى : « وهو أفصح » .

(٢) هذه التكملة من ل ، س .

(٣) ل : « بعلوم » .

(٤) إشارة إلى قصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، فأماته الله هو وحماره مائة عام ثم بعثهما . انظر التفاسير للآية ٢٥٩ من سورة البقرة .

(٥) فيما عدا ل : « مسلم بن قتيبة » ، تحريف . وانظر البيان (١ : ٣٠٧) .

(٦) البذلة و بالكسر ، هو من الثياب مايلبس ويمتهن ولا يصان .

(٧) ط ، هـ : « الخنازير » .

(٨) فيما عدا ل : « الناجورى » .

ما أَبْغَضَ الحَضرُ فيلاً منذُ كان ولا ... أحبَّ عيرًا وذاكم غايةُ الكَذبِ

[وكيف يُبغِض شيئاً فيه مُعتَبرٌ ... وكان فى الفُلك فَرَّاجًا من الكُرَبِ]

والفيلُ أَقْبَلُ شىء لو تُلقِّنُه ... حاجاتِ نفسِك مِن جِدٍّ ومن لعِبِ

ولو تَتَوَّجَ فينا واحِدٌ فرأى ... زىّ الملوكِ لقد أوْفَى على الرُّكبِ[1]

يُغْضِى ويَرْكَعُ تعظيماً لهيبته ... وليس يعدِلُه النَّشْوَانُ فى الطربِ[2]

[وليس يَجْذَل إلّا كلُّ ذِى فَخَرٍ ... حُرٍّ ومَنبِته مِن خالص الذَّهبِ

مثل الزُّنوج فإنّ الله فضَّلهم ... بالجود . . . والتَّطويل فى الخطب]

قال : أنشدنيها يونس لابن رباح الشارزنجىّ[3] . فمدَحَ الفيل[4] كما ترى بالطَّرب والحِكاية ، وأنّه قد أُدِّب وعُلِّم السجودَ للملوك .

(سجود الفيل الملك)

وزعموا أنّ أوَّلَ شىءٍ يؤدّبونَه بهِ السجُودُ للملك[5] ؛ قالوا : خرج كِسرى أبرويز[6] ذات يومٍ لبعض الأعياد ، وقد صَفُّوا له ألفَ

---

(١) ط ، س : « منها » ، وفيما عدا ل : « واحد لرأى رأى الملوك ولو أوفى » . وفى ل : « عن الركب » . يقول : إذا توج أحدنا فرأى الفيل عليه زى الملوك وشارة السلطان أوفى الفيل على ركبه ساجدا ، وذلك أن الفيلة قد علمت السجود للملوك .

(٢) فيما عدا ل : « النسوان » .

(٣) فيما عدا ل : « أنشدنيها يونس بن رياح » تحريف . وقد سبق بعض تحقيق هذا العلم فى (١ : ٢٧٠) . وقد اختلف فى اسمه ، فقيل سنيح بن رباح ، كما سبق فى الجزء الأول . وقيل رياح بن سنيح كما فى الكامل ٤١٥ ليبسك ، وقيل رياح بن سبيح ، وسبيح بن رياح كما فى اللسان (طول) . وقال ابن الأثير فى الكامل (٤ : ١٦١) فى ذكر فتنة الزنج أيام مصعب بن الزبير : « وجعلوا عليهم رجلا اسمه رباح ، ويلقب شيرزنجى ، يعنى أسد الزنج » .

(٤) فيما عدا ل : « وهو يمدح الفيل » .

(٥) فيما عدا ل : « أن أول شىء يؤذنونه بالسجود للملك الفيل » .

(٦) ل : « أبرواز » . انظر ماسبق من التنبيه فى ص ١٨١ .

فيل(١) ، وقد أحدق(٢) [به و] بها ثلاثونَ ألفَ فارِس ، فلما بصُرَتْ به الفِيَلةُ سجدتْ له ، فما رفعَتْ رأسَها حتى جُذِبَت بالمحاجن وراطَنَها الفيَّالون. وقد شهد ذلك المشهدَ جميعُ أصناف الدوابِّ : الخيلُ فما دونها(٣) ، وليس فيها شيءٌ يفصِل بين الملوكِ والرعيَّة(٤) ، فلما رأى ذلك كسرى قال : ليت أنَّ الفيلَ كان فارسيًّا ولم يكن هنديًّا ، انظُروا إليها وإلى سائر الدوابّ ، وفضِّلوها بقدر ماترَون من فَهْمها وأدبها .

وأما ماذَكَرَ بِهِ الزِّنجَ(٥) من طول الخُطب فكذلك همْ فى بلادهم وعند نوائبهم ، ولكنَّ معانيَهم لاترتفع عن أقدار الدوابّ إلّا بما لايذكر(٦) .

(ما قيل فى تعظيم شأن الفيل)

وأنشدوا(٧) فى تعظيم شأن الفيل وصحة نظره وجَودة تحديقه وتأمُّله ، وسكونِ طرْفه ، [والشِّعر لبعض المتكلّمين] :

إذا مارأيت الفيل ينظر قاصداً   ظننت بأنّ الفيلَ يلزمُه الفَرْضُ(٨)

[وقد قيل إن الشِّعر لسهل بن هارون] .

---

(١) فيما عدا ل : « وقد وضعوا له ألف فيل » .

(٢) ل : « أحدقت » .

(٣) فيما عدا ل : « والخيل فما دونها » بزيادة واو .

(٤) يفصل : أى يميز ويعرف الملوك من غيرهم . فيما عدا ل : « الملك » .

(٥) إشارة إلى البيت الذى سبق فى ص ٢٠٥ س٧ . ل : « ماذكره الزنج » ، وفيما عدا ل : « ماذكرته الزنج » ، والوجه ما أثبت .

(٦) فيما عدا ل : « إلا مالا يذكر » .

(٧) فيما عدا ل : « وأنشدنا » .

(٨) سبق البيت فى ص ١٨٢ .

(مثل النون والضب)

وقال عبد الأعلى [القاصّ[1] : يقال] في المثل : إنّ النون قال للضبّ[2] حينَ رأى إنساناً في الأرض : إني قد رأيتُ عجبًا . قال : وماهو ؟ قال : رأيتُ خَلْقًا يمشي على رجليه ، ويتناول الطعام بيديه [فَيُهْوِي به] إلى فيه. قال : إنْ كان ماتقولُ حقا فإنّه سيُخرجُني من قعر البحر ويُنزِلُك من وَكْرك من [رأس] الجبل .

٦٣

(تناول الفيل والقرد طعامه)

والفيل أعجَبُ منه ، لأنَّ أنفَه[3] ، وأيدي البهائمِ والسِّباع على حال عاملة شيئًا[4] ، والقِردُ يأكل بيديه ويَنْقِي الجَوزة[5] ويتفلَّى ويَفْلِي أُنثاه[6] . وليس شيءٌ يكرَع بأنفه ويُوصِلُ الطعامَ إلى فيه بأنفه غير الفيل .

(إطعام الدب ولدها)

والدب الأنثى تُقيم أولادَها تحت شَجرةِ الجوز ، ثم تصعَد الشّجرة فتجمَع الجوزَ في كفِّها ، ثم تضرب باليمنى على اليسرى فتحطم ذلك الجوز فترمى به إلى أولادها ، فلا تزال كذلك حتى إذا شبعْنَ نزلَتْ .

---

(١) في الأصل — وهو هنا ل — : « القاضي » تحريف . وقد سبق بعض خبره في (١ : ١٠٧ / ٥ : ٢٢٥) .

(٢) كذا . والوجه « قال له الضب » .

(٣) فيما عدا ل : « لأن يده فمه » ، تحريف .

(٤) كذا في ل . وفيما عدا ل : « على ذلك عاملة شيئا » .

(٥) ينقيها : يستخرج لبها من القشر ، يقال نقى العظم نقيا : استخرج نقيه . فيما عدا ل : « الجوز » .

(٦) بدله فيما عدا ل : « ويفلي ثيابه » ، تحريف .

وربّما قطع الدّبُّ من الشجرة الغُصْن [العَبْل] الضّخمَ الذى لايقطعه صاحب الفأس إلّا بالجهد [الشّديد] ، ثم يشدّ به على الفارس قابضاً عليه[1] فى موضع مقبض العصا[2] فلا يصيبُ شيئاً إلّا هتَكه .

(كثرة تصرف يدى الفيل)

قال صاحب المنطق : ليس شىءٌ من ذوات الأربع إلاّ وتصرُّف يديهِ فى الجهات أقلُّ من تصرُّف يَدَى الفيل[3] .

(شعر فى وصف جلد الفيل والجاموس)

وقال أبو عثمان : ويوصف جِلدُ الفيل و [جلدُ] الجاموس بالقوّة ، قال جميل :

إذا ماعلَتْ نَشْزًا تمدُّ زِمامَها كما امتدّ نِهىُ الأصْلَفِ المترقرقِ[4]

وما يبتغِى مِنّى العُداةُ تفاقدوا ومِن جِلدِ جاموسٍ سمين مطرَّقِ[5]

وأبيضَ مِن ماءِ الحديدِ اصطفيتُه له بعد إخلاص الضريبة رَوْنَقُ[6]

---

(١) فيما عدا ل : « عليها » ، محرف .

(٢) فيما عدا ل : « قبض العلماء » ، تحريف .

(٣) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل عبارة مقحمة تبتدئ من (ألم تر كيف فعل ربك) . وتنتهى إلى « فخذ عن يمينك » . وقبلها إشارة إلحاق نصها : « نوصل هذا الموضوع بالباب الذى فيه . . » وقد تنبه كاتب نسخة كوبريلى إلى هذه الإشارة فرد هذه العبارة إلى موضعها فيما سبق . انظر ص ٢٠٠ — ٢٠١ .

(٤) النهى ، بالكسر : الغدير وكل موضع يجتمع فيه الماء . والأصلف : ما اشتد من الأرض وصلب . فيما عدا ل : « جلد الأصلف » ، تحريف .

(٥) تفاقدوا : دعاء عليهم ؛ أى فقد بعضهم بعضا . المطرق ، عنى به الغليظ ، كأنه طراق فوق طراق . ل : « جاموس بسبتين مطرق » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « من ماء الحديد مهند له بعض إخلاص ضريبة رونق » . و « ضريبة رونق » تحريف ، صوابه فى ل مع مافيه من الإقواء .

(شعر فيه ذكر الفيل)

وقال كعبُ بن زهير فى اعتذارِه إلى النبى صلى الله عليه وسلم :

قد أقوم مقامًا لو يقوم به أرى وأسمعُ ما لو يَسْمَعُ الفيلُ[١]

لظَلَّ يُرعَدُ إلاّ أن يكون له مِن الرّسول بأمرِ الله تنويل[٢]

وذكر أمية بن أبى الصلت سفينةَ نوح فقال :

تصرخ الطّيرُ والبريّة فيها مَعْ قوىّ السِّباعِ والأفيالِ

[حينَ فيها من كلِّ ماعاشَ زوجٌ بين ظَهرَىْ غوارب كالجبالِ]

وقال أميّة أيضاً :

خَلَقَ النَّخْلَ مُعْصِرَاتٍ تَرَاها تَعْصِفُ اليابسات والمخْضُورا[٣]

والتماسيحِ والثيَاتِلِ والأيِّ لَ شَتّى والرِّئمَ واليعفورا[٤]

وصُِوارًا من النَّواشط عِيناً ونعَامًا خواضباً وحَميرا[٥]

(١) أنظر توجيه ابن هشام لإعراب هذا البيت فى شرح بانت سعاد ٧٦ . فيما عدا ل : « مايقوم به » ، تحريف . وفى ل : « مالا يسمع الفيل » : محرف .

(٢) فى بانت سعاد : « بإذن الله تنويل » والتنويل : العطية . ل : «بإذن الله تنزيل» ، وهذه الكلمة الأخيرة محرفة .

(٣) فى اللسان : « الخضر والمخضور : اسمان للرخص من النبات » ط ، ه : « والمحظورا » صوابه فى ل ، س .

(٤) الثياتل : جمع ثيتل ، وهو الوعل . ط ، ه : « والرثائل » س : « والسنابيل » صوابهما فى ل . والرئم : الظبى الخالص البياض . واليعفور : الظبى الذى لونه كلون العفر ، وهو التراب . فيما عدا ل : « والمصفورا » ، تحريف . وقد ورد البيت محرفا فى اللسان (ثتل) .

(٥) الصوار ، بالكسر والضم : القطيع من البقر . والنواشط : جمع ناشط ، وهو الثور الوحشى يخرج من أرض إلى أرض . والخواضب : جمع خاضب ، وهو الظليم قد احمرت ساقاه . ط ، س : « ضواحيا » ه : «صواحبا» ، صوابه فى ل .

وأسـوداً عوادِيا وفُيولاً وسِباعاً والنَّمرَ والخِنزيرا[١]

(طيب عرق الفيل)

وتزعم الهند أنّ جبهة الفيل فى بعض الزمان تَعرق[٢] عرَقًا غليظاً غيرَ سائل ، يكون أطيبَ رائحة من المِسْك . وهذا شىءٌ يعتريه كلَّ عامٍ . وموضعُ ذلك الينبوعِ فى جَبْهته .

(فأرة المسك والإبل)

والنّاسُ يجِدُون رِيحَ المسك فى بيوتهم فى بعض الأحايين ، وهى ريح فارةٍ يقال لها فارة المِسْك . [والذى يكون فى ناحية خراسان الذى يقال له فأر المسك] ليسَ بالفأر[٣] ، وهو بالخِشْف حين تضَعُه الظّبيةُ أشبَه .

وتقول العرب فى فارةِ الإبلِ صادرةً : إنَّ أَرَجَ ذلك العرقِ أطيبُ من المسك الأذْفَر فى ذلك الزمان ، وفى ذلك الوقت من اللّيل والنّهار .

قال الراعى :

لها فارةٌ ذَفْرَاءُ كلَّ عشيَّةٍ كمَا فَتَقَ الـكافورَ بالمسكِ فاتقُه

قال الأصمعىّ : قلت لأبى مهدية[٤] ، [أو قيل لأبى مهدية] : كيف تقول لاطِيب إلا المسك ؟ [قال : فأين أنت عن البان . قال : فقيل له :

---

(١) عواديا : من العدو أو من العدوان . ط : « عواريا » ، تحريف . فيما عدا ل : « والنمل » بدل « والنمر » ، تحريف .

(٢) ط ، س : « بهيمة الفيل فى بعض الزمان يعرق » ، صوابه فى ل ، س .

(٣) فيما عدا ل : « وليس به » .

(٤) فى الأصل : « لابن مهدية » ، تحريف . وانظر ماسبق فى (٥ : ٣٠٩) .

فقل : لاطيب إلا المساك والبان . قال : فأين أنت عن أدهانٍ بَحَجْر . قالوا له : فقل : لاطيبَ إلّا المسك] والبانُ وأدهانٌ بَحَجْر . قال : فأين أنتم عن فارة الإبل صادرة ؟

قالوا : وربّما وجَدَ النّاسُ فى بيوتهم الجُرذَ يضرب إلى السَّوَاد ، يجدونَ من بدَنه إذا عَدا إلى جُحْره رائحةً تشبه رائحةَ المسك ، وبعضُ النّاس يزعم أنّ هذا الجنسَ هو الذى يَخْبأ الدّنانير والدراهمَ والحُلِىّ ، كما يصنع العَقْعق والغُرَابُ . وهذا الجرذُ غير فأرة المسك التى تكون بخُراسان ، وتلك بالخِشْف الصَّغير أشبه ، وإنما يأخذون سُرَّته وهى ملأى[1] من دمٍ عَبيط .

(الآية فى الفيل)

قالوا : وقد جعل الله الفيلَ من أكبر الآيات وأعظم البُرْهانات للبيت الحرام ولقِبْلة الإسلام ، وتأسيساً لنبوَّة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وتعظيماً لشأنه ولما أجْرَى[2] من ذلك على يَدَىْ جدّه عبد المطلب ، حين غدَت الحبشةُ لِتهدمَ البيتَ الحرام وتُذِلَّ العرب[3] ، فلم يذكر اللهُ منهم ملِكًا ولا سُوقةً باسمٍ ولا نسَب ولا لقب[4] وذكرَ الفيلَ باسمه المعروف ، وأضاف السورةَ التى ذكر فيها[5] [الفيل إلى الفيل] ، وجعل فيه[6] من الآية أنهم ٦٥

---

(١) فيما عدا ل : « ملآنة » ، وهما صحيحتان ، يقال ملآنة وملأى .
(٢) فيما عدا ل : « وما أجرى » .
(٣) ل : « حين غزت الحبشة لهدم البيت الحرام وإذلال العرب » .
(٤) فيما عدا ل : « نعت » .
(٥) ط فقط : « وأضاف إليه السورة التى ذكره فيها » .
(٦) فيما عدا ل : « فيها » .

[كانوا] إذا قصدُوا به نحوَ البيت تعَاصَى وبَرَك[1] ، وإذا خلَّوه وسَوْمَه[2] صَدَّ عنه وصَدَف . وفى أضعاف ذلك التقَمَ أذنَه نُفيل بن حَبِيب ، وقال : « ابْرُكْ محمود[3] » ، وكان ذلك اسمَه .

(الطعن فى قصة الفيل)

وقد طعن فى ذلك ناسٌ فقالوا : قد يستقيم أن ينصرف عنه ويَحْرِدَ[4] دونَه ، كلّ ذلك بتصريف الله له[5] . وكيف يجوز أن يَفْهَمَ كلامَ العرب ويعرفَ معنى قول نُفيل ؟ فإن قلتم[6] : [قد] يفهم الفيل عن الفيّال جميعَ الأدب والتقويم ، وجميعَ مايريد منه[7] عنــد الحَطِّ والرَّحيل ، والمُقام والمسير . قلنا : قد يَفهم بالهنديّة كما يعرف الـكلبُ اسمَه ، ويعرفُ قولهم اخسَا . وقد يعرِف السّنورُ اسمَه ويعرف الدُّعاءَ والزَّجْر ، وكذلك الطِّفلُ والمجنون ، وكذلك الحمارُ والفرس إذا كنَّ قد عُوِّدْن تلك الإشارة ، وسماعَ تلك الألفاظ . فأمّا الفيل وهو هنــديٌّ جلبَه[8] إلى تلك البلْدة حبشيٌّ ، فخرجَ من عُجْمة إلى عجمة ، كيف يفهمُ مع ذلك لسانَ العرب[9] وسِرار نُفَيل بن حَبيب بالعربيّة ؟

---

(١) ل : « تعصى وبرك » يقال ، تعصى الأمر اعتاص .

(٢) يقال خلاه وسومه ، أى تركه وما يريد . فيما عدا ل : « وشأنه » .

(٣) ط ، س : « جمهور » هـ : « حهور » ، والصواب ماأثبت من ل مطابقا مافى السيرة ٣٥ جوتنجن .

(٤) يحرد : يتنحى . س ، هـ : « يحرر » ، تحريف . ل : « يحزن » صواب هذه « يحرن » .

(٥) ل : « بتعريف الله له » .

(٦) ط ، س : « قلت » فقط ، تحريف . هـ : « قال قلتم » ، الصواب فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « مايراد منه » .

(٨) فيما عدا ل : « جاء به » .

(٩) ط فقط : « كلام العرب » .

قلنا : قد يستقيم أن يكون قال له كلامًا بالهنديّة كان قد تعوَّدَ سَماعه من الفيّالين ، فيكونَ ترجمتُه بالعربيّة هذا الكلامَ الذى حكَوْه ، وقد يكون الذى أنطقَ الذِّئبَ لأُهبانَ بنِ أوس، وجعل عود المنبر يحنّ[1] إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، أن يصوِّر لوهم الفيل إرادةَ نُفَيل بن حبيب . وقد يستقيم مع لَقَن الفيل وذكائه وحكايته[2] ومُؤاتاته ، أن يعرف ذلك كلَّه وأكثرَ منه ، لطول مُقامِه فى أرض الحبَشة واليمن ، وليس يبعُد أن يكون بأرض الحبشة جماعةٌ كثيرةٌ من العرب من وافد وباغٍ وتاجر ، وغيرِ ذلك من الأصناف ، فيسمع ذلك منهم الفيلُ [فيعرفه] ، وليس هذا المقدار بمستنكَرٍ من الفيل ، مع الذى قد أجمَعُوا عليه من فَهم الفيل ومَعرفته .

وكان منكه المتطبّب[3] الهندىّ صحيح الإسلام ، وكان إسلامُه بعد المناظرة والاستقصاء والتثبُّت ، قالوا : فسمع مَرَّةً من رجل[4] [وهو] يقرأ : ﴿أفلاَ يَنْظُرُونَ إلَى الإبِل كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ، وسمع بعضَ الجهال يقول : فكيف لو رأى الفيل ؟ فعذلَه قوم ، فقال منكه : لاتَعْذُلُوه فإنّه لاشكَّ أنَّ خَلْقَ الفيل أعجَبُ ، فقيل له : فكيف[5] لم يضرب به الله تعالى المثلَ دونَ البعير ؟ فقال [أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام : فقلت له : ليس الفيلُ بأعجبَ من البعير . واجعَلْه يعجِّب من البعير . وهو[6]]

(١) فيما عدا ل : « عود الهيثم يجىء »، تحريف .

(٢) ط ، هـ : « وحكاياته » .

(٣) فيما عدا ل : « الطبيب » . ومنكه هذا أحد أطباء الهند الذين اجتلبهم يحيى بن خالد . انظر البيان (١ : ٩٢) .

(٤) فيما عدا ل : « رجلا » .

(٥) فيما عدا ل : « قيل له كيف » .

(٦) هذه الكلمة من ل ، س هـ ، والكلام قبلها تكملة من ل .

٦٦ إنما خاطب العرب ، وهم الحجةُ على جميع [أهل] اللغات ، ثم تصير [تلك] المخاطبةُ لجميع الأمم بعد الترجمة على ألسنة هؤلاء العرب ، الذين بهم بَدَأت المخاطبة لجميع الأمم[1] . وكيف يجوز أن يعجِّب جماعةَ الأمم من شيءٍ لم يروْه قطّ ، ولا كانَ على ظهرها يوم نزلَتْ هذه السورة رجلٌ واحد [كان] قد شهد الفيلَ والحبشة[2] . وعلى أنَّ الفيلَ وافَى مكَّةَ وما بها أحدٌ إلاّ عبدُ المطلب فى نفير[3] من بقيَّة النَّاس ، ولا كانوا حيث يتأمّلون [الفيل] .

و [قد] قال ناسٌ : كان النَّاسُ رَجلين[4] ، رجلٌ قد سمِع بهذا الخبر من رِجالات قريش الذين يجترُّون إلى أنفسهم[5] بذلك التَّعظيم ، كما كانت السَّدنةُ تكذِب للأوثان[6] والأصنام [والأنصاب] ، لتجترَّ بذلك المنافع[7] ، ورجلٌ لم يكن عندَه علمٌ بأنّ هذا الخبرَ باطل فلم يتقدَّم[8] على إنكار ذلك الخبر ، وجميعُ قريش تثبِّته .

قيل لهم : إنَّ مكَّة لم تَزَل دارَ خُزاعة[9] وبقايا جُرهم[10] [وبقايا

---

(١) لجميع الأمم : ليست فى ل .
(٢) فيما عدا ل : « الفيل من الحبشة » ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « نفر » .
(٤) فيما عدا ل : « كرجلين » ، تحريف .
(٥) فيما عدا ل : « يحقرون أنفسهم » ، محرف .
(٦) فيما عدا ل : « تكذب الأوثان » ، محرف .
(٧) فيما عدا ل : « لتحقر بذلك التابع » ، تحريف .
(٨) فيما عدا ل : « ولم يتقدم » .
(٩) فيما عدا ل : « لم تزل وإن خزاعة » ، محرف .
(١٠) فيما عدا ل : « وبقايا جرهم بها » .

الأمم البائدة ، وكانت كنانة منها النَّسَأة ، وكانت مرّ بن أدّ من رهط صُوفة والرَّبِيط[1] منها أصحاب المزدلفة ، وإليهم كانت السِّدانة ، وكانت عَدْوان وأبو سيّارة عَمِيلة بن أعزَل ، تدفع بالنّاس] ، وقد كان بين خزاعة وبقايا جرهم ما كان[2] حتى انتزعوا البيت منهم[3] ، وقد كان بين ثقيف وقُريش لقُرب الدار والمصاهرة ، والتَّشابه فى الثروة[4] والمشاكَلة فى المجاورة[5] تحاسدٌ وتنافر[6] ، وقد كان هنالك فيهم الموالى والحُلفاء والقطّان[7] والنازلة ، ومَن يحجُّ فى كلِّ عام ، وكان البيت مَزُوراً على وجْه الدهر ، يأتونه رجالاً ورُكبانا وعلى كل ضامرٍ يأتينَ من كلِّ فجٍّ عميق ، وبشِقِّ الأنفس ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ ﴾ ، وكانوا[8] بقرب سُوق عُكاظ وذى المجاز ، وهما سوقان معروفانِ ، وما زالتا قائمتين حتى جاء الإسلام ، فلا يجوز أن يكون السَّالب والمسلوب ، والمفتخر [به والمفتخرَ] عليه ، و [الحاسد و] المحسود ، والمتديِّن به والمنكر له ، مع

---

(١) صوفة : أبو حى من مضر ، وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة ، كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج فى الجاهلية ، أى يفيضون بهم من عرفات . وكان أحدهم يقوم فيقول : أجيزى صوفة . فإذا أجازت قال : أجيزى خندف ، فإذا أجازت أذن الناس كلهم فى الإجازة . وأما الربيط ، فلقب الغوث أيضا ، كما فى القاموس (ربط) ، قالوا : سمى بذلك لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش هذا لتربطن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة .

(٢) فيما عدا ل : « وقد كان بينهم ما كان » .

(٣) ط ، هـ : « بينهم » ، وأثبت ما فى ل ، س .

(٤) فيما عدا ل : « والمشابهة والثروة » .

(٥) أى مجاورة البيت . فيما عدا ل : « التجارة » .

(٦) فيما عدا ل : « وتصاقب » .

(٧) ط ، هـ : « وقد كان بينهم هنالك أموال والحلفاء والسكان » ، تحريف . س : « وقد كان بينهم هنالك أموال والحلفاء والسكان » ، وأثبت ما فى ل .

(٨) فيما عدا ل : « وكان » .

اختلاف الطبائع وكَثْرة العلل ، يُجْمِعُون كلهم على قَبول هـذه [الآية] وتصديق هذه السُّورة ، وكلهم مُطْبِقٌ[1] على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ، والكُفْر به .

والمحِلُّون من العرب ممَّن كان لايرى للحَرَم ولا للشَّهر الحرام حُرمةً : طيِّئٌ كلها ، وخثعمٌ كلُّها ، وكثيرٌ من أحياء قُضاعة ويَشْكُرَ والحارثِ ابن كعب ، [و] هؤلاء كلُّهم أعداءٌ [فى] الدِّين والنَّسَب . هذا مع[2] ما كان فى العرب من النَّصارى[3] الذين يخالفون دِينَ مُشركى العرب كلَّ الخلاف ، كتغلبَ ، وشيبانَ ، وعبدِ القيس ، وقضاعةَ ، وغسَّان ، وسَليح[4] ، والعِباد ، وتَنوخَ ، وعاملةَ ، ولخمٍ ، وجُذَامَ ، وكثيرٍ من بَلحارث بن كعب ؛ وهم خُلَطاء وأعْداء ، يُغاوِرون[5] ويَسبُون ، ويُسْبَى منهم ، وفيهم الثُّؤور[6] والأوتار والطوائل ، وهى العربُ[7] وألسنتُها الحِداد ، وأشعارُها التى [إنما] هى مَياسم[8] ، وَهِمَمُها البعيدة[9] ، وطلبُها للطَّوائل ، وذمُّها لكلِّ دقيقٍ وجليل من الحسَن والقبيح ، فى الأشعار

---

(١) فيما عدا ل : « وهم مطبقون » .

(٢) فيما عدا ل : « إلى » .

(٣) فيما عدا ل : « فى العرب والنصارى » ، تحريف .

(٤) سليح بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، كما فى الاشتقاق ٣٦٤ . وفى القاموس (سلح) : « وكجريح قبيلة باليمن » . وفى العمدة (٢ : ١٧٧) : « سليح ، وهم من غسان ، وقيل من قضاعة » . فيما عدا ل : « وسليم » ، تحريف .

(٥) المغاورة : أن يغير بعضهم على بعض . ط ، س : « يغارون » ، تحريف .

(٦) الثؤور : جمع ثأر . فيما عدا ل : « الشرور » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وهم العرب » .

(٨) ل : « ميسم » .

(٩) ط ، س : « همها البعيدة » ه : « وهمها البعيده » ، صوابهما فى ل .

والأوجاز [والأسجاع] ، والمزدوِج والمنثور ، فهل سمعْنا[١] [بأحد] من جميع هؤلاء الذين ذكرْنا[٢] أنكرَ[٣] شأنَ الفيلِ ، أو عَرَضَ[٤] فيه ٦٧ بحرف واحد .

(كلام الفيل والذئب)

ورَزِينٌ العَروضىُّ — وهو أبو زهير[٥] — لم أر قطُّ أطيبَ منه احتجاجاً ، ولا أطيب عبارة قال فى شعرٍ له يهجو ولدَ عقبةَ بنِ جعفر[٦] ، فكان فى احتجاجه عليهم وتقريعِه لهم[٧] أن قال :

تِهتُمْ علينا بأنَّ الذِّئبَ كلّمكمْ فقد لعمرى أبُوكُم كَلَّمَ الذيبا
فكيفَ لو كلمَ اللّيث الهصورَ ، إذاً تركتمُ الناس مأكولا ومَشرُوبا
هذا السُّنَيدىُّ لا أصلُ ولا طرف يكلّم الفيلَ تصعيداً وتَصويبا

ولو كان ولد أُهبان بن أوسٍ ادَّعَوا أنّ أباهم كلم الذئب ، كانوا مجانين . وإنما ادَّعوا أنّ الذئبَ كلّمَ أباهم ، وأنّه ذُكِرَ ذلك للنبىِّ صلى الله عليه وسلم وأنّه صَدَّقه .

والفيلُ ليس يكلِّم السندىّ ، ولم يدَّعِ ذلك السندىّ قطُّ ، وربَّما كان السِّنْدِىُّ[٨] هو المكلّم له ، والفيل هو الفَهِمَ عنه[٩]

---

(١) فيما عدا ل : « فما سمعنا » .
(٢) فيما عدا ل : « ذكرنا أحدا » .
(٣) ل : « إنكار » ، ولا يلتئم بما بعده .
(٤) فيما عدا ل : « أو عرف » ، تحريف .
(٥) فيما عدا ل : « أبو وهب » .
(٦) فيما عدا ل : « عتبة بن جعفر »
(٧) فيما عدا ل : « وتمرينه لهم » .
(٨) فى ثمار القلوب ٣١٠ نقلا عن الحيوان : « وإنما السندى » .
(٩) فيما عدا ل : « المتفهم عنه » .

فذهب رَزِين العَرُوضىُّ من الغَلَط[1] فى كل مذهب .

(ما يكلَّم من ضروب الحيوان)

والنَّاس [قد] يكلِّمون الطيرَ والبهائم والكلابَ والسَّنانير والمَرَاكب[2] ، وكلَّ ما كان تحتَهم من أصناف الحيوان للتى قد خوِّلوها وسُخِّرَتْ لهم ، وربَّما رأيتَ القرَّادَ يكلم القِرد بكلِّ ضرب من الكلام ، ويُطيعه القِرد فى [جميع] ذلك ، وكذلك ربَّما رأيتَه يلقِّن الببغاء ضروباً من الكلام ، والبَبْغاء تحكيه ، وإنّ فى غراب البَيْنِ لَعَجَباً[3] ، وكذلك كلامهم للدب [والكلب] والشاة المكِّيَّة ، وهذه الأصنافِ التى تَلْقَن وَتَحْكِى .

(تكليم الأنبياء للحيوان)

وقد رَوَى الناسُ عن النبى صلى الله عليه وسلم فى كلام السِّباع والإبل ضروباً ، ولم يذهبوا إلى أنها نطقَتْ بحروفٍ مقطّعة ، ولكنّ النبى صلى الله عليه وسلم إما أن يكون [الله] أوحَى إليه بحاجاتها ، وإمَّا أن تكون فِراسته وحِسّه وتثبُّته فى الأمور ، مع مايُحْضِرُهُ الله[4] من التوفيق ، بَيَّنَ له معانيهَا وجَلاَّها له ، واستدلَّ بظاهرٍ على باطنٍ ، وبهيئةٍ[5] وحركةٍ على

(١) هـ ، ط : « التغليط » محرف ، إذ التغليط أن تقول لصاحبك : غلطت .

(٢) أى مايركب من الدواب .

(٣) فيما عدا ل : « تعجبا » ، تحريف .

(٤) ط فقط : « يحضر الله » .

(٥) فيما عدا ل : « ونبهه » ، تحريف .

موضع الحاجة ، وإمّا أن يكون الله ألهه ذلك إلهاماً : وأمّا جِهةُ سليمان ابن داود ، صلى الله على نبينا وعليه ، فى المعرفة بمنطق الطير ومَنطِق كلّ شيء ، فلا ينبغى أن يكون ذلك إلاّ أن يقوم منها فى الفهم عنها مَقامَ بعضِها من بعض ، إذ كان الله قد خصَّه بهذا الاسم ، وأبانَه بهذه الدّلالة . وأعلام الرُّسُل لا يكثُر عددُها ، ولا تَعظم أقدارها[١] على أقدار فضائل الأنبياء[٢] ؛ [لأن أكثر الأنبياء] فوقَ سليمان بن داود ، وأدنى ذلك أنّ داود فَوْقه ، لأن الحكم فى الوارث والمورِّث ، والخليفة والذى استخلفه ، أن يكون الموروثُ أعلى ، والمستخلِف أرفَعَ . كذلك ظاهر هذا الحكم حتى يخصّ ذلك برهانٌ حادث . وإنما تكثُر العلامات وتعظُم على قدْر طبائع أهل الزمان ، وعلى قدر الأسباب التى تتّفق وتهيَّأ لقومٍ دون قوم ، وهو أن يكونوا جبابرةً عُتاةً ، أو أغبياءَ مَنقوصين ، أو علماءَ معاندين ، أو فلاسفةً محتالين ، أو قوماً [قد] شملهم من العادات السيِّئة وتراكَمَ على قلوبهم من الإلف للأمور المرْدية[٣] ، [مع طول] لبثِ ذلك فى قلوبهم ، أو تكون[٤] نِحْلتهم وملتهم ودَعوتهم تحتمل من الأسْباب والاحتيالات[٥] أكثَرَ ممَّا يحتملُ غيرها من ذلك ، فإنّ[٦] من الكفر ما يكون عند المسألة ، والجواب أسرَع انتشاراً وأظهرَ انتقاضاً ، ومنه ما يكون أمْتَنَ[٧]

٦١

(١) فيما عدا ل : « ولا يعظم قدرها » .
(٢) فيما عدا ل : « فضل الأنبياء » .
(٣) المردية : المهلكة . وفى ل : « الردية » .
(٤) فيما عدا ل : « أن تكون » .
(٥) فيما عدا ل : « والأحساب » .
(٦) فيما عدا ل : « إن » .
(٧) فيما عدا ل : « أمتن شيئا » .

شيئاً ، وإن كانَ مصيرُ الجميع إلى الانتقاض وإلى الفساد . ومنه شيء يحتاج من المعالجة إلى أكثَرَ وأطولَ ، وإنما يتفاضَلُ العلماءُ عند هذه الحال ، وقد يكون أن ينقدح[1] فى قلوب الناس عداواتٌ وأضغانٌ سَبَبُها التَّحاسُد[2] الذى يقع[3] بين [الجيران و] المتفقين فى الصِّناعة[4] ، وربما كانت العداوةُ من جهة العصبيَّة ، فإنَّ عامَّةَ مَن ارتاب بالإسلام إنما كان [أوَّل] ذلك رأى الشُّعوبية والتمادى [فيه] ، وطول الجدال المؤدِّى إلى القتال ، فإذا أبغض شيئاً أبغضَ أهلَه ، وإنْ أبغَضَ تلك اللغةَ أبغض تلكَ الجزيرةَ ، [وإذا أبغض تلك الجزيرةَ أحبَّ مَن أبغض تلك الجزيرة] . فلا تزال الحالاتُ تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام ؛ إذ كانت العرب هى التى جاءت به ، وكانوا السَّلف [والقدوة] .

(أثر الغُلمة فى الجسم والعمر)

وتزعم الهندُ أنّ شِدّةَ غلْمة الفيل وطولَ أيّامه فيها[5] وهجرانَه الطَّعامَ والشرَابَ ، وبقيَّة تلك الطبيعة ، وعملَ ذلك العرقِ السَّارى ، هو الذى يمنع الفيل أن يصير فى جسمه مَرَّتَين ، لأنّ ذلك مِن أمتن أسباب الهُزَال . وإذا تقادَمَ ذلك فى بدن وغَبَّ فيه[6] ، عمِل فى العظْم والعصَب ،

---

(١) ل : « ينقدم » .
(٢) ط ، ه : « شبيها بالتحاسد » س : « شبيهات بالتحاسد » ، صوابهما فى ل .
(٣) فيما عدا ل : « يكون » .
(٤) فيما عدا ل : « الصناعات » .
(٥) فيما عدا ل : « وطول إقامته فيها » .
(٦) فيما عدا ل : « فى بدنه » وفى الأصل : « وعب فيه » . والوجه ما أثبت .

بعْدَ الشَّحم[١] واللّحم . وإذا كان[٢] رفعُ الصوت والصِّياحُ وكثرةُ الكلام والغضبُ والحدّة ، [إنما صار] يورثُ الهُزال لأنّ البدن يسخُن عن ذلك ، [و] إذا شاعَت فيه الحرارة أحرقَتْ وأكلَتْ وشربت ، ولذلك صار الخصىُّ من الدُّيوكِ والأنعامِ أسمَنَ .

وزعَمُوا أنّه ليس [فيما] يعايش الناس من [أصناف] الحيوان أقصرُ عمراً من العصفور ، ولا أطْوَلُ عمراً من البغل . وللأمور[٣] أسبابٌ ، فليس يقع الظنُّ إلاّ على قلّة سِفاد البغل وكثرة سفاد العُصفور .

قالوا : ونجد العمرَ الطَّويلَ خاصا فى الرُّهبان ، فنظنّ أيضاً [أنّ] تركها الجِْماعَ من أسباب ذلك .

قالوا : وإذا اغتلم الذكرُ من الحيوان فهو أخبَث ما يكون لحماً ، وإذا كثُر سِفادُه تضاعَفَ فيه ذلك ، وصار لحمه أيبَسَ ودمُه أقلَّ[٤] . ٦٩

قال الشاعر :

أُحِبُّ أنْ أصطادَ ضَبًّا سَحْبَلاَ أو جُرَذًا يرعى رَبيعاً أرْمَلاَ[٥]

فجعله أرْمَلَ لازوجةَ له ليكون[٦] أسمَنَ له ؛ لأنَّ كثرةَ السفاد [مما] يورث الهزال[٧] ، ولا يكثر سفاده إلاّ من شدَّة غلْمته .

---

(١) ط : « ونفذ فى الشحم » ، س : « ونفد الشحم » ، ﻫ : « ونهد الشحم » ، محرفات .
(٢) ط ، ﻫ : « وإن كان » .
(٣) فيما عدا ل : « وللبغل » .
(٤) فيما عدا ل : « أيبس منه » فقط .
(٥) فيما عدا ل : « ظبيا سحبلا » تحريف . وفى اللسان (رمل) :
* رعى الربيع والشتاء أرملا *
(٦) فيما عدا ل : « فيكون » .
(٧) فيما عدا ل : « يورثه الهزال » ، تحريف .

وهجا أعرابىٌّ صاحبَه حين أكل لحمَ سَوْءٍ غَثٍّ[1] فقال:

أكلته من غَرَثٍ ومن قَرَمْ[2] كالورد السافد يَغْنَى بالنَّسَمْ[3]

لأنّ [لَحْمَ] الورلِ [لا] يشبه لحم الضبّ، وهم لا يرغبون فى أكله[4] لأنه عَضِلٌ مَسِيخٌ[5]، ولأنهم كثيراً ما يجدون فى جوفه الحيَّاتِ والأفاعى. وله ذنبٌ سمينٌ، وذلك [عامٌّ فى الأذناب، وإنْ رأيتَها فى العين كأنها عَضَل. فإذا كان لحمُها كذلك، ثم كان فى زمن هيجه وسِفاده كان] شرًّا له[6].

وللورَل فى السِّفاد ما يجوز به حَدَّ الجملِ والخنزير[7].

قال: والنسم هو النَّسيم فى هذا المكان[8].

وقالت [أمُّ] فَرْوَة القرنية[9]:

نفى نَسَمُ الرِّيح القَذَى عن مُتونِه فما إنْ به عيبٌ تراه لشاربِ

وأنا أعلمُ أنى لو فسَّرْتُ لك معانىَ هذه الأشعار وغريبَها، لكان أتمَّ للكتاب وأنفعَ لمن قرأ هذه الأبواب، ولكنى أعرف مَلالَة الناس للكتاب إذا طال. قال الشاعر[10] يهجو من قَرَاه لحمَ كلب[11]:

---

(١) فيما عدا ل: «سوعث»، محرف.

(٢) الغرث: الجوع. فيما عدا ل: «من عوث»، تحريف.

(٣) فيما عدا ل: «يغرى»، محرف.

(٤) فيما عدا ل: «فيه».

(٥) ط، س: «متشنج» وفى هـ: «متسيح»، تحريف، وأثبت ما فى ل.

(٦) ط فقط: «شر له».

(٧) هـ: «غذا الجمل والخنزير»، محرفة. وفى ل: «حال الجمل والخنزير».

(٨) فيما عدا ل: «والنسم والنسيم فى هذا الموضع واحد».

(٩) هذه الكلمة ساقطة من ل. وقد سبق فى (٣ : ٥٤): «الغطفانية» حيث أنشد الشعر. وقد أعاده ثانية فى (٥ : ١٤٢).

(١٠) هو اللعين المنقرى كما سبق فى (١ : ٢٦٦).

(١١) كذا، وقد سبق قول الجاحظ فيما مضى: «وقال اللعين فى بعض أضيافه يخبر أنه قراه لحم كلب. وقد قال ابن الأعرابى: إنما وصف تيسا».

فجاءَ بِخَرْشَاوَىْ شَـعيرٍ عليهما   كَرَادِيسُ من أوصالِ أعقدَ سافِدِ[١]

فلم يرضَ أنْ جعله كلباً حتى جعله سافداً . فأمّا ابنُ الأعرابيِّ فزعم أنّه إنما عَنَى تيساً . وقد أبطَلَ ، وعلى أنَّ المعنى فيهما سواء[٢] .

(أثر الخصاء فى اللحم)

قالوا : وإنمـا صار الخصىُّ من كلّ جنسٍ[٣] أسمنَ لأنّه لا يَسْفَد ولا يَهِيج .

(السقنقور)

قالوا[٤] : والسقنقور إنما ينفَعُ أكلُه إذا اصطادوه فى أيام هَيْجه وسِفاده ؛ لأنَّ العاجز عن النِّساء[٥] يتعالج بأكل لحمه ، فصار لحمُ الهائج[٦] أهْيَج له .

---

(١) الخرشاء : كل شيء أجوف فيه انتفاخ وخروق وتفتق . فيما عدا ل : « بخرشاوى » تحريف . والكراديس : جمع كردوس ، وهو كل عظم تام ضخم . والأعقد : الملتوى الذنب . ط ، هـ : « أعقر » س : « أعفر » ، صوابهما فى ل . وأول البيت فى (١ : ٢٦٦ ، ٣١٩) : « فجاءا » على التثنية ، لأن قبله :

فقلت لعبدى اقتلا داء بطنه   وأعفاجه اللائى لهن زوائد

(٢) فيما عدا ل : « واحد » .

(٣) فيما عدا ل : « كل شيء » .

(٤) فيما عدا ل : « قال » .

(٥) فيما عدا ل : « السفاد » .

(٦) فيما عدا ل : « الهياج » .

(أبو نواس والحرامِيُّ)

أقبل أبو نواسٍ ومعه الحرامِيّ[1] الكاتب ، وكان أطْيَبَ الخَلْق ، وقد كانا قبل ذلك [قد] نظرا إلى الفيلة فأبصرا[2] غُرمولَ فيل منها وعلم الحَرَامِيّ[1] أنّ غُرمولَ الفيلِ يُوصَفُ بالجَعْبة ، فوصف لنا غرمولَه ، وأنشدنا فيه شعراً لنفسه :

كأنّه لمَّا بَدَا للسفْدِ[3] جَعْبةُ تُرْكِيٍّ عليها لِبْدُ

قلنا له : أقْوَيْتَ واجتلبتَ ذِكر اللِّبد عن غير حاجة[4] ، قال : فإنى قد قلتُ غيرَ هذا . قلنا : فأنشِدْنا . فقال :

كأنه لمَّا دنا للشدِّ[5] شمعةُ قَيلٍ لُفِّفَتْ فى لِبْدِ[6]

قلنا : فلا نرى لك بُدًّا من اللِّبد على حال ؟ قال : قال أبو نواس: فإنى أقولُ عنك بيتين . قال : فهاتِهما[7] . فقال :

كأنه لما دَنَا للوثْبَه[8] أُيورُ أعيارٍ جمعن ضَرْبَهْ

---

(١) فيما عدا ل : « الخزامى » ، وفى البخلاء ٤٧ : « الحزامى » . ولم أعرف له ترجمة إلا ما ذكر الجاحظ فى البخلاء أن اسمه عبد الله بن كاسب ، كاتب مؤنس ، وكاتب داود ابن أبى داود . وإن صحت نسبته فهى إلى بنى حرام : خطة كبيرة بالبصرة منها أبو محمد قاسم بن على الحريرى الحرامى صاحب المقامات » .

(٢) ط ، ﻫ : « وقد كان قبل ذلك نظر إلى الفيلة فأبصر » ، بالإفراد .

(٣) ل : « للعد » .

(٤) فيما عدا ل : « وأجريت ذكر اللبد على غير حاجة » .

(٥) فيما عدا ل : « بدا للسفد » .

(٦) فيما عدا ل : « جعبة فيل » .

(٧) فيما عدا ل : « هاتهما » .

(٨) فيما عدا ل : « لما بدا الوثبه » .

قال الحَرَامى[1] لأبى نواس : هَبهُما لى على أن لاتدَّعيهما ، فعسى [أن] أنتحِلَهما . قلت له[2] : وما ترجو من هذا الضَّرب [من الأشعار] ؟ قال : قد رأيتُ غُرمولَه ، فما عُذْرى عند الفيل إنْ لم أقُلْ فيه شيئاً .

(فهم الفيل الهندية)

وحدَّثنى صديقٌ لى قال : رأيتُ الفيَّالينَ على ظهر فيلٍ من هذه الفِيَلة ، وأقبل[3] صبىٌّ يريد السِّندىَّ الرّاكب ، فكلَّمَ الفيلَ بالهنديَّة فوقف ، ثم كلَّمه فمدّ يدَه رافِعَها[4] فى الهواء حتى رَكِبَها الغلامُ ، ثم رفع يدَه حتى مدَّ السندىُّ يدَه ، فأخذ بيد الصبىِّ .

(أخلاف الحيوان وأطْباؤه)

وللبقر والجواميس أربعةُ أخْلافٍ فى مُؤخّر بُطونها ، وللشاة خِلفان ، وللناقة أربعة فى مؤخّر البطن[5] . وللمرأة والرّجُل والفيل ثديانِ فى الصدر ، وثَدْىُ الفيل يصغُر جدًّا إذا قرنته إلى بدنه[6] . وللسِّنَّور ثمانيةُ أطْباءٍ ، وكذلك الكلْبةُ فى جميع بطونها[7] . والخنزيرة كثيرةُ الأطْباء . وللفَهدةِ

(١) فيما عدا ل : « الخزامى » . وانظر ماسبق فى ص ٢٢٤ .
(٢) فيما عدا ل : « قال » فقط .
(٣) فيما عدا ل : « فأقبل » .
(٤) فيما عدا ل : « رافعا » .
(٥) فيما عدا ل : « مواخر البطن » .
(٦) فيما عدا ل : « إلى الفيل » .
(٧) فيما عدا ل : « بطنها » .

فى بطنها أربعةَ أطْباء[٢] . وللّبؤة[٢] طبْيانِ لايصغُران عن مقدار بَدَنِها؛ والبقرة والأتان[٣] والرَّمَكة والحِجْر فى ذلك سواءٌ إلاّ أنّها من الحافر أطْباء ، ومن الظّلْف أخلاف . والسِّباعُ فى ذلك والحافرُ[٤] سواءٌ .

(عضو الفيل)

وقال صاحبُ المنطق : غُرمول الفِيل يصغُر عن مقدار بَدَنِه ، وخُصيتُه لاحقةٌ بكُلْيته لاتُرَى ، ولذلك يكونُ سريع السِّفاد .

وزعم الهندىُّ صاحبُ (كتاب الباهِ) أنَّ أعظمَ الأُيور أيْرُ الفِيل ، وأصغرها أير الظّبى .

(الفيل فى كتاب الحيوان)

وما أعجَبَ ما قرأتَ فى كتاب الحيوان لصاحب المنطق[٥] ، وجدتُه قد ذكر [رأس الفيل و] قِصَر عنقه ، ولم يذكر انقلابَ لسانه . وذلك أعجَبُ مافيه ، ولم يذكر[٦] فى كم يَضَعُ ، ولا مقدار وزن أعظم الأنياب[٧] وكيف يخرج من بطن أمّه نابت الأسنان .

---

(١) الكلام من « وكذلك » إلى هنا ساقط من س .

(٢) فيما عدا ل : « والمرأة » ، تحريف .

(٣) ط فقط : « والإنسان » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « والحوافر » .

(٥) فيما عدا ل : « لصاحب الحيوان فى كتاب المنطق » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « ينظر » .

(٧) فيما عدا ل : « ولا مقدار مدة حمله » ، فيكون تكراراً لما سبق .

(خصائص الفيلة)

والفِيَلةَ لاتلِد التؤام . قال : وهى تفِذُّ وتُفْرِد . قال : وقال بعضُ العلماء : لايقال أفذّت ولا أفرَدَت إلاّ لما يجوز أن يُتْئِم .

قال : وأمراضُها أقلُّ من أمراضِ غيرها ، إلاّ أنّ النّفْخَ والرِّياحَ يعرِضُ لها كثيراً ويُؤْذِيها أذًى شديداً ، وعامَّةُ أمراضِها من ذلك ، [حتى ربَّما مَنَعها البولَ وغير ذلك . قال : وإذا أكلت التُّراب ضرَّها ذلك] ، ولا سيَّما إذا أكثرَتْ منه فعاودَتْه .

(علاج الفيلة)

قال : وربَّما ابتلعت [منه] الحجارة . قال : وإذا أصابَها استطلاقٌ سُقِيت الماءَ الحارَّ وعُلِفَت الحشيشَ المعْسول[1] . وإذا أتْعَبُوها اعتراها السَّهر ، فتعالجَ عند ذلك بأنْ تُدْلَكَ أكتافُها بزيتٍ [وماءٍ حار . قال] : وبعضها يشرب الزّيتَ شُرْباً ذَريعاً .

(تذليل الفيل)

٧١ قال : وإذا تصعَّب الفيل وكانَ فى حِدْثان مااقتطعُوه من الوحْش فإنهم يُنْزُون عليه فِيلاً مثلَه ، ويحتالون له فى ذلك ؛ فما أكثرَ مايَجِدُونه بعد ذلك قد لانَ .

قال : وهو مادامَ راكبُه عليه فهو ألينُ من كلِّ ذى أربع ، وأحسَنُ طاعة ، ولكن لبعضها صعوبةٌ عند نزُوله عنه ، فإذا شدُّوا مقاديمَ قوائمها بالحبال شَدًّا قويًّا لانتْ .

(١) المعسول : المخلوط بالعسل . وفى الأصل : « المغسول » .

قال : وهى على صعوبتها تأنَسُ سريعاً وتَلقَنُ سريعاً ، فأوَّلُ مايعلَّم السُّجودُ للملك ، فإذا عَرَفَه فكلما رآه سجَدَ له .

(صدق حس الفيل)

فأمَّا صِدْقُ الحسّ فهو يفوقُ فى ذلك جميعَ الحيوان ، وهو والجمل سواءٌ إذا علِما ، لأنّ الأنثى إذا لَقِحت لم يعاوِدَاها للضِّراب . فهذه فضيلةٌ مذكورة فى حسِّ الجمل ، وقد شاركهُ الفيلُ فيها وبايَنَه فى خصالٍ أخر .

(بعض خصائص الفيل)

وإناثُ الفِيَلة وذكورُها متقاربة فى السنّ[1] ، وكذلك النِّساء والرِّجال ، وهو بحرىّ الطِّباع ، ونَشأ فى الدِّفاء[2] ، وهو[3] أجردُ الجلد ، فلذلك يشتدُّ جزعه منَ البرْد . فإنْ كان أجْرَدَ الجلدِ ، فما قولهم فى أحاديثهم : طلبوا من الملك الفيلَ الأبيضَ والفِيلَ الأبقَع ، وجاء فلانٌ على الفيل الأسود .

(حقد الفيل)

[قال] : وأخبرَنى رجلٌ من البَحْرِيِّين لم أر فيهم أقْصَد ولاَ أسدّ ولا أقلَّ تكلُّفا منه ، قال : لم أجدْهم يشُكُّون أنَّ فيَّالاً ضربَ فِيلاً فأوجعَه فألحَّ عليه ، وأنَّهم عند ذلك نَهَوْه وخوّفوه وقالوا : لاتَنَمْ حيثُ

(١) فيما عدا ل : « السمن » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « فى الريف » .

(٣) فيما عدا ل : « فهو » .

ينالك ؛ فإنه من الحيوان الذى يَحقِد ويُطالِب . ولمَّا أراد ذلك السائسُ القاتلةَ شدَّه إلى أصل شجرةٍ وأحكم وَثاقَه ، ثم تنحَّى عنه بمقدارِ ذراعٍ ونام ، ولذلك السائس جُمَّة . [قال] : فتناولَ الفيلُ بخُرطومه غصناً كان مطروحاً ، فوطِئ على طَرَفه حتى تشعَّث ، ثم أخذَه بخرطومه ، فوضع ذلك الطَّرَف على جُمَّة الهندى ، ثم لواها بخُرْطومه ، فلما ظنَّ أنها [قد] تشبَّكت به وانعقدَت ، جذَبَ العود جَذبةً فإذا الهندىُّ تحت قوائمه[١] ، فخبطه خبطة كانت نَفْسُه فيها .

فإنْ كان الحديثُ حقًّا فى أصل مخرَجه فكفاك بالفيل معرفةً ومكيدةً . وإنْ كان باطلاً فإنهم لم يَنْحَلُوا الفيلَ هذه النِّحْلة[٢] دونَ غيره من الدوابّ إلاّ وفيه عندهم مايحتمل ذلك[٣] ويليق به .

(طيب عرق الفيل)

قال : والعرَق الذى يسل من جَبْهته فى زمنٍ من الزّمان يضارِع المِسْكَ فى طيبه ، [و] لايعرِض له وهو فى غير بلاده .

(أثر المدن فى روائح الأشياء)

وقد علمنا أنّ لرائحة الطِّيب فضيلةً إذا كان بالمدينة ، وأنّ الناسَ إذا وجَدُوا ريح النَّوى المنقَعِ[٤] بالعِراق هرَبوا منه . وأشراف أهل المدينة[٥]

(١) فيما عدا ل : « جذب الهندى فإذا هو تحت رجليه » .

(٢) ل : « مثل هذه الحيل » .

(٣) فيما عدا ل : « يحتمل عليه » .

(٤) فيما عدا ل : « النقيع » وهما بمعنى .

(٥) فيما عدا ل : « وإن أهل المدينة » .

يتنابُون المواضِعَ التى يكون فيها ذلك ، التماساً لِطيب تلك الرائحة .

ويزعم تُجّار التُّبَّتِ ممن قد دخل الصين والزَّابِج[١] ، وقلَّب تلك الجزائر ، ونقّب فى البلاد ، أنّ كلَّ من أقام بقصبة تُبَّت اعتراه سُرورٌ لايدرى ماسببُه ، ولا يزال مبتسما ضاحكا من غير عَجَب حتى يخرجَ منها .

٧٢

ويزعمون[٢] أنّ شِيرازَ من بين[٣] قُرى فارس ، لها فغمَةٌ[٤] طيِّبة . ومَن مَشَى واختلف فى طُرقات مدينة الرَّسول صلى الله عليه وسلم ، وجَدَ منها عَرْفاً طيِّباً وَبَنّةً عجيبَة[٥] لاتخفَى على أحدٍ ، ولا يستطيع أنْ يسمّيَها .

ولو أدخلتَ كلَّ غالية وكلَّ عطر ، من المعجونات وغير المعجونات ، قَصبة الأهواز أو قصبة أنطاكِية[٦] لوجدتَه قد تغيَّر وفسَد ، إذا أقام فيها[٧] الشَّهرين والثَّلاثة .

(أثر بعض التمر فى العرق)

وأجمَعَ أهلُ البَحْرين أنَّ لهمْ تمراً يسمى النَّابجِىَّ[٨] ، وأنّ مَن

---

(١) الزابج ، بفتح الباء وكسرها : جزيرة فى أقصى بلاد الهند ، وراء بحر هركند فى حدود الصين . وفى الأصل : « الزانج » ، تحريف . وقبلها فيما عدا ل : « قد حصل الصين » .

(٢) فيما عدا ل : « وزعموا » .

(٣) فيما عدا ل : « جميع » .

(٤) فى اللسان : « وفغمة الطيب رائحته » . ط ، هـ : « نبته » س : « نية » صوابهما فى ل .

(٥) البنة ، بالفتح : الرائحة الطيبة . فيما عدا ل : « نبتة » محرفة .

(٦) فيما عدا ل : « بقصبة الأهواز وقصبة أنطاكية » .

(٧) فيما عدا ل : « فيه » ، تحريف .

(٨) النابجى ، كذا وردت فى ل . وفيما عدا ل : « الماتحى » ، ولم أجد لأحدهما ذكرا فى كتب اللغة .

نَضَحَه وجعله نبيذاً ثمّ شربه وعليه ثوبٌ أبيض ، صبغَهُ عرقه ، حتى كأنه ثوب أتحميٌّ[١] .

(استعمال الفيلة)

وزعم لى بعضُ البحريِّين أنها بالهند تكون نَقّالةً وعواملَ كعوامل البقر والإبل[٢] . والنّقالة التى تكون فى الكَلاَّءِ والسُّوق[٣] . وأنها تذلّ لذلك] وتُسامِح وتُطاوع ، وأنّ [لها] غلاّتٍ[٤] من هذا الوجه .

وزعم لى أنَّ أحَدَ هذه الفِيَلَةِ التى رأيناها بُسرَّ من رأى ، أنّه كان لقَصّارٍ بأرض سَنْدان[٥] ، يحملُ عليه الثِّيابَ إلى الموضع الذى يغسلُها فيه[٦] . ولا أعلَمُه إلا الفيلَ الذى بعثَ به ماهانُ أو زكريا بن عطية[٧] .

(العاج)

قالوا : وعظامُ الفيل كلها عاجٌ ، إلاّ أنّ جوهَرَ النّاب أثمنُ وأكرم . وأكثَرُ ماترَى[٨] من العاج الذى فى القِباب والحِجال والفُلْك والمَداهن إنما هو من عظام الفيل[٩] ، يعرَفُ ذلك بالرَّزانة والملاسة .

---

(١) فى ل : « سحمى » . وفيما عدا ل : « سخمى » بالخاء المعجمة ، صوابهما ماأثبت . والأتحمى من البرود هو الأحمر .

(٢) ل : « كعوامل الإبل » فقط .

(٣) الكلاء ، كشداد : مرفأ السفن . وفى الأصل : « الكلا » . وفى ل : « والنوق » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « وأنها غلات » .

(٥) سندان ، بالفتح : مدينة فى ملاصقة السند ، وبينها وبين الديبل والمنصورة نحو عشر مراحل .

(٦) فيما عدا ل : « المواضع التى يغسلها فيه » .

(٧) ل : « أو بكر بن عطية » .

(٨) فيما عدا ل : « مايرى » .

(٩) فى الأصل : « الإبل » .

والعاجُ مَتْجر كبير ، [و] يتصرّف فى وجوهٍ كثيرة ، ولولا قَدْرُهُ لما فخر الأحنفُ بن قيس فيما فخر به على أهل الكوفة ، حيث قال : « نحن أكثرُ منكم عاجاً وساجاً ، وديباجاً وخراجاً » . ويقال إنّه من كلام خالد بن صفوان ، ويقال إنه من كلام أبى بكر الهذلى .

(موت الذباب)

[وإذا خفق بأذنه الفيلُ فأصاب ذُباباً أو يعسوباً أو زنبوراً لم يُفلِحْ] . والفرسُ الكريم تقعُ الذُّبابة على مُوقَىْ عينيه ، فيَصْفِق[1] بأحَدِ جفنَيه ، فتخرُّ الذُّبابة ميّتة . وقال ابن مُقْبل :

كأنّ اصطفاقَ مَأْقِيَيْهِ بِطرْفِهِ … صِفاق أديمٍ بالأديم يُقابِله[2]

ويصيح الحمار فتصعق [منه] الذبابة فتموت . قال العَبْشَمِىّ[3] :

مِنَ الحمير صَعِقاً ذِبّانُهُ … بكلِّ مَيْثاء كتغريد المغَنّْ[4]

وقال عُقبة بن مكدَّم التَّغلبى[5] :

وتَرَى طَرْفَها حديداً بعيداً … أعْوَجيًّا يُطِنُّ رأسَ الذُّباب[6]

---

(١) صفق عينه : غمضها . فيما عدا ل : « بإحدى جفنيه » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « مآقيه بطرفته » ، وبه يختل الوزن .

(٣) فيما عدا ل : « العبسى » .

(٤) فيما عدا ل : « صعق ذبابه » .

(٥) هو المعروف بابن مكبرة الجهدى ، ومكبرة أمه . وهو عقبة بن مكدم بن عامر بن مالك ابن عبد الله بن جعدة . ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ١٦٢ . ومكدم ، بفتح الدال المشددة . وفيما عدا ل : « مكرم » تحريف .

(٦) يقال أطن ذراعه بالسيف فطنت : ضربها به فأسرع قطعها . وفيما عدا ل : « الطن » محرف .

٧٣

وقال ابن مُقبل :

ترى النُّعَرَاتِ الخُضْرَ تحتَ لَبَانِهِ   فرَادَى وشَتَّى أصعقَتْهَا صواهِلُه[1]

وقال[2] فى غير هذا الباب :

وإنِّى لقاضٍ بين شيبان وائل   وَيَشْكُرَ إنِّى بالقضاء بصيرُ[3]

[وجدنا بنى شيبانَ خُرطوم وائل   ويَشْكُرُ خنزيرٌ أدَنُّ قصيرُ[4]

وليس هذا موضع هذين البيتين . وأنشد :

أمسى المَضَاءُ ورهطُهُ فى غِبطةٍ   ليسُوا كما كان المَضَاءُ يقولُ[5]

لا تَخْرَأُ الذِّبان فوقَ رؤُوسِهم   فاليومَ تَخرَأُ فوقَها وتبولُ

(قول زياد فى بناء داره)

أبو الحسن قال : قال زياد ودخلَ دارَه[6] ، وكان بناها [له] فيلٌ مولاهُ ، فلم يرضَ بناءَها ، فقال : ادعُوا [لى] فيلا . فلم يجِدُوه . فقال : ليتَها فى بطن فيل ، وفيلٌ فى البحر .

(قصة فيل مولى زياد)

وكان فيلٌ مولى زيادٍ شديدَ اللُّكْنة ، وأهدى بعضُهم إلى زيادٍ حمارَ وحش ، فقال فيل : أصلح الله الأمير ، [قد] أهدَوْا لنا هِمارَ وَهْش !

(١) النعرات : جمع نعرة كهمزة : وهى ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها . وفيما عدا ل : « البعرات » ، تحريف . والرواية فى اللسان (نعر) : « أحاد ومثنى » .

(٢) فيما عدا ل : « وأنشد » .

(٣) ل : « إنى لقاض » بالخرم .

(٤) الأدن : الذى يداه قصيرتان وعنقه قريبة من الأرض . وفى الأصل وهو هنا ل : « أذب » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « أمسى المضاء وأهله » .

(٦) فيما عدا ل : « وقال أبو الحسن قال دخل زياد داره » ، تحريف

فقال : أيَّ شيءٍ تقول ويْلَكَ ؟ قال : أهْدَوْا لنا أيراً . يريد عيراً[1] فقال زياد : الأوّل أمثل .

(العيثوم)

وكان أبو مالكٍ يقول : العيثُوم الفيلُ الأنثى . وذهب إلى قول الشاعر :

* وطِئتْ عليك بخُفِّها العيثومُ *

ويدلّ[3] قولُ علقمةَ بن عَبْدَة على أنّ العيثومَ من صفات الفيل [العظيم الضَّخْم] . وقال :

تَتْبعُ جُوناً إذا ماهيِّجَتْ زَجَلَتْ ... كأنّ دُفًّا عَلَى العَلياءِ مَهزُوم[4]

إذا تزغَّمَ من حافاتها رُبَعٌ ... حَنَّت شعاميمُ من أوساطها كُومُ[5]

يَهْدِى بها أسْجَحُ الخدَّين مُخْتَبرٌ ... من الجمال شديدُ الخلْق عَيْثُومُ[6]

---

(١) فيما عدا ل : « يعنى أيرا » . والقصة فى البيان والتبيين (٢ : ٣١٢) .

(٢) من بيتين للأخطل فى اللسان (عثم) لم يرويا فى ديوانه . وصدر الأول :

* وملحب خضل النبات كأنما *

وصدر الثانى : * تركوا أسامة فى اللقاء كأنما *

(٣) فى الأصل : « فدل » . وإنما يعنى الجاحظ الأبيات التالية وهى فى ديوانه ١٣١ والمفضليات ٤٠٤ .

(٤) ط ، س : « يقبع » ط ، س : « حدبا » هـ : « حوبا » ، وفيما عدا ل : « كأن رفا » والصواب فى ل والديوان والمفضليات . أى تتبع هذه الفرس الإبل لتسقى من ألبانها ، وهذه الإبل إذا هيجت للورد سمت لها صوتا عاليا لكثرتها كأنه صوت دف مشقوق على مكان مرتفع .

(٥) تزغم : حن حنينا خفيا . ط ، س : « ترعم » هـ « نزعم » ، والصواب فى ل والديوان والمفضليات . والشماميم : المسان التوام . وفيما عدا ل : « سماميم » صوابه فى ل . وفى المفضليات : « شغاميم » وهى بالغين المعجمة لغة فى الشماميم .

(٦) الأسجح : السهل الطويل القليل اللحم . وفى المفضليات والديوان : « أكلف الخدين » . والمختبر ، بكسر الباء : المجرب ، وبفتحها المعروف بالنجابة .

(ضرب المثل ببعد ما بين الجنسين)

وقد أكثروا فى ضرب المثل ببُعدِ مابين الجِنْسين . وقال عبد الرحمن ابن الحكم[1] :

أتغضَبُ أن يقالَ أبوك عَفٌّ ... وتَرْضَى أنْ يقال أبوك زَانِى

وأشهدُ أنْ رحمك من زيادٍ ... كرحم الفيلِ من ولد الأتانِ[2]

فجعل معاويةَ من نسل الفيل لشرفه ، وجعل زياداً من نسل الحمار لَضَعَتِه[3] .

ولعمرى لقد باعد ؛ [لأنّ الغنم وإن كانت من النعَم من ذوات الجِرّة والكروش فإنّ مابين الغنم والإبل بعيد] .

وكذلك قول الكميت :

وما خِلتُ الضِّبابَ معطَّفاتٍ ... على الحيتان من شَبَهِ الْحُسُولِ[4]

قال : فهذا أبْعَد وأبعد ، لأنه وإن [ذهب إلى أنّ] ولدَ نزارٍ عربٌ فهم فى معنى الضِّباب[5] وساكنى الصَّحارَى ، وأولئك عَجَم ، فجعلهم كالسَّمك ٧٤

---

(١) وكذا وردت هذه النسبة فى الحيوان (١ : ١٤٦) والخزانة (٢ : ٥١٨) . ونسب أيضا إلى يزيد بن مفرغ كما فى الشعراء ٧٩ والموشح ٢٧٣ . وإلى عبد الرحمن بن حسان ، كما فى العقد (٤ : ١٨٢) . وقد رسم فى شفاء الغليل ١٧٣ « كرحم الفيل من ولد الأتان » . وقال : « هذا فى شعر للكميت » .

(٢) فيما عدا ل : « أن آلك من قريش كآل » . وهى تحريف رواية : « إلك من قريش كإل » . قال الخفاجى فى شفاء الغليل : « وأصله كما فى كتاب أفعل لابن حبيب ، أن فيلا أتى واديا فرأى به حمارا فطرده ، فقال له : لم تطردنى وبينى وبينك رحم ؟ فقال : ماهى ؟ فقال : إن غرمولى يشبه خرطومك . فصدقه . وهذا مما يحكى على ألسنة الحيوانات لضرب المثل » .

(٣) فيما عدا ل : « لضعفه » تحريف .

(٤) فى الأصل : « وما خلت » ، صوابه مما سبق فى (٦ : ١٣٣) . وفى س ، ط : « على الحيات » ، صوابه فى ل ، هـ وما سبق .

(٥) فيما عدا ل : « الذئاب » محرف .

الذى يعيش فى الماء . ألا ترى أنّ معاويةَ بنَ أبى سفيانَ بن يزيد ابن معاوية[١] ، لمّا قتلَتْه ضبّةُ دسَّت فى آسته سَمَكة .

وقال جرير :

ما بين تيم وإسماعيلَ مِن نَسبٍ إلاّ قرابةُ بَيْنِ الزِّنْجِ والرُّوم[٢]

فقال قطرب : الصَّقالبة أبعد . قيل له : إنّ جريراً لايفْصِلُ[٣] بين الصَّقالبة والرُّوم .

وعلى معنى الكميت قال الآخر[٤] :

* حتى يؤلفَ بين الضّبّ والنّونِ[٥] *

وتقول العرب : « لايكون ذاك[٦] حتى يجمع بين الأروَى والنَّعام » لأنّ الأرْوَى جبليَّة والنعامَ سُهْلية . و [قد] قال الكميت :

يؤلِّف بين ضِفْدِعَة وضَبٍّ ويعجبُ أنْ نبرَّ بنى أبينا[٧]

وهذا هو معناه الأوَّل . وأبعَدُ من هذا قولُ الشاعر :

* حَتّى يؤلّف بين الثَّلجِ والنَّارِ *

---

(١) فى الأصل : « بن معاوية بن يزيد » وليس لمعاوية بن يزيد بن معاوية عقب ؛ كما فى المعارف ١٥٤ . والذى له عقب هو أبوه يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . وقد ذكر ابن قتيبة فى أولاد يزيد بن معاوية « أبا سفيان بن يزيد بن معاوية » .

(٢) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٤٨٨ يهجو بها التيم .

(٣) ط فقط : « يفضل » ، تحريف .

(٤) بدله فيما عدا ل : « إنما هو على معنى قول الكميت » ، محرف . وانظر ماسبق فى (٦ : ١٣٣) .

(٥) نظيره لحارثة بن بدر فى البيان (٤ : ٦٦) :

لاتحسبن فؤادى طائرا فزعا إذا تحالف ضب البر والنون

(٦) فيما عدا ل : « ذلك » ، وقد سبق المثل ونظائره فى (٥ : ٥٢٨) .

(٧) مضى البيت فى (٥ : ٥٢٩ / ٦ : ١٣٣) .

(قصة الجارية وأمها)

وقال أبو الحسن المدائنى[(١)] : قال أبو دهمان الغلاّبى عن الوقّاصى[(٢)] قال وحدثنى بذلك الغَيْدَاقىّ عن الوقّاصى قال : قالت جارية لأمّها ليلةَ زَفافها : يا أُمَّهْ ، إن كان أيرُ زوجى مثلَ أير الفيل كيف أحتال حتى أنتفع به ؟ قال : فقالت الأم : أى بُنَيّة قد سألتُ عن هذه المسألة أمىّ فذكرتْ أنّها سألتْ عنها أمَّها فقالت : لايجوز إلا أن يجعلَكِ اللهُ مثلَ امرأةِ الفيل . قال : فسكتَتْ حولاً ثم قالتْ لأمّها : يا أمّه ، فإنِّى إنْ سألتُ ربِّى أن يجعلَنى مثلَ امرأةِ الفيل أتطمعين[(٣)] أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : يابُنَيَّة ، قد سألتُ عن هذه المسأله أمِّى فذكرَتْ أنها سألَتْ عنها أمَّها فقالت : لايجوز [ذلك] إلا أن يجعلَ اللهُ جميعَ نساءِ الرِّجال مثلَ نساءِ الفيلة . قال : فسكتَتْ عنها حولاً ثم قالت : فإن سألتُ ربِّى أن يَجْعَلَ نساءَ جميعِ الرِّجالِ مثـلَ نساء الفيلة أتطمعين[(٣)] أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : يابنَيَّة ، قد سألتُ عن مثل هذه أمِّى فذكرت أنها سألَتْ أمَّها عنها فقالت : لايجوز [ذلك] إلا أن يجعلَ اللهُ جميعَ رجال النساء مثلَ رجالِ نساء الفيلة . قال : فسكتَتْ عنها حولاً ثم قالت : فإنْ سألتُ

---

(١) فيما عدا ل : « المدينى » ، تحريف .

(٢) ل : « قلت لأبى دهمان للغلابى عن الوقاصى » ، وفيما عدا ل : « قال أبو البرهان العلائى ثم الوقاصى » ، وقد جمعت منهما الصواب . وأنشد الجاحظ فى البيان (٢ : ٢٩١) لأبى دهمان الغلابى :

لئن مصر فاتتنى بما كنت أرتجى ... وأخلفنى منها الذى كنت آمل
فمـا كل مايخشى الفتى بمصيبه ... وما كل ما يرجو الفتى هو نائل
فمـا كان بينى لو لقيتك سالما ... وبين الغنى إلا ليـال قلائل

(٣) فيما عدا ل : « أتطمعى » .

ربِّى أنْ يجعلَ جميعَ رجالِ النساء مثلَ جميع نســاء الفِيَلة أتطمعين أن يَفْعَل ذلك ؟ قالت : يا بُنيَّة ، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّى فذكرَتْ أنَّها [قد] سألَتْ أمَّها عنها ، وأنّها قالت : يا بُنَيّة ، إنّ الله إنْ جعلَ جميع النّاسِ فِيلةً لم تجد امرأةُ الفيل مع عِظَمِ بدنها من اللّذة إلا مثلَ ماتجدين أنتِ اليومَ مع زوجك من اللذّة ، ثم تذهب عنك لذّةُ الشّمِّ والتّقبيل والضمّ [والتقليب] ، والعِطْر والصِّبْغ ، والحَلْى والمِشطة[1] والعِتاب والتفدية وجميع مالكِ اليومَ . [قال] : فسكتَت حَولاً ثم قالت : يا أمَّهْ ، إنْ سألتُ ربِّى أن يجعلَ أير الفِيل أعظمَ أتطمعينَ أن يفعلَ ذلك ؟ قالت الأمّ : أىْ بُنيَّة ، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّى فذكرَتْ أنها سألَتْ عنها أمَّها ، وأنها قالت : أىْ بُنيَّة ، إنّ الله إنْ جعَل أير الفيل أعظمَ ، جعل[2] حِرَ امرأةِ الفيل أوسَع وأعظمَ ، فيعودُ الأمرُ كلُّه إلى الأمر الأوّل . قال : فسكتَتْ [عنها] حولاً ثم قالت : يا أمّه ، فإنْ سألتُ ربِّى أن يجعل أَير الفيل أشدَّ غلْمة[3] فيصير عددُ أكوامه أكثرَ أتطمَعين أن يفعل [ذلك] ؟ قالت : أى بُنَية ، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّى فذكرَتْ أنها سألَتْ أمَّها عنها ، وأنها قالت : أىْ بُنَية سَلِى اللهَ أن يجعل زوجَك أشدَّ غُلْمةً مما هو عليه ، ولكن لاتسأليه ذلك حتى تسأليه أن يزيدك[4] فى غلمتك . قالت : يا أُمَّه ، فإن سألْتُ رَبِّى أن يجعله فى غُلْمة

[1] المشطة ، بالكسر : الضرب من الامتشاط ، فيما عدا ل : « الممشطة » وهو مصدر ميمى .

[2] فيما عدا ل : « وجعل » . وإنما هو جواب « إن » .

[3] فيما عدا ل : « أعظم غلمة » .

[4] فيما عدا ل : « يزيد » .

التيس أتطمعين أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : أيْ بُنَيَّة ، قد سألتَ عن مثل هذه المسألة أُمِّى فذكرَتْ أنها سألت عنها أُمَّها ، وأنها قالت : لايجوز أن يجعلَه فى غُلمة التِّيس حتى يجعلَه تَيساً ، قالت : يا أُمَّه فإنْ سألتُ ربِّى أن يجعله تيساً [أتطمعين فى ذلك . قالت : أى بنيَّة ، إنه لايجعله تيساً حتى يجعلَك عَنْزاً . قالت : أىْ أُمَّه ، فإنْ سألتُه أن يجعله تيساً] ويجعلنى عنزاً أتطمعين أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : أىْ بنيّة قد سألتُ عن هذه المسألة أُمِّى فذكرَتْ أنها زارَتْ أُمَّها لتسألها عن هذه المسألة فوجدَتْها فى آخِرِ يومٍ من الدّنيا وأوّلِ يومٍ من الآخرة ، وما أشكُّ أن يَوْمى قد دنا[١] .

فلم تلبثِ [الأمُّ] إلا أياماً حتى ماتت[٢] .

باب الظلف

وهى الظِّباء وهى مَعْزٌ ، والمعزُ أجناسٌ . والبقرُ الوحشىُّ ذاتُ أظلاف وهى بالمعْز أشبَهُ منها بالبقر الأهلىّ ، و [هى] فى ذلك تسمَّى نعاجا . وليس بينها وبين الظِّباء ،وإن كانت ذواتِ جرّةٍ وكرُوشٍ وقُرونٍ وأظلافٍ تَسافدٌ ولا تلاقح . وهى تُشْبهها فى الشعَر ، وفى عَدَم السّنام .

ومن الظِّلْف الوَعِل ، والثَّيتَل ، والتَّامور[٣] ، والأيِّل . جبَليات كلُّها ، لا أدرى كيفَ التّسافد والتلاقح منها .

---

(١) ل : « أن أجلى قد دنا » .

(٢) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « معناها فى تسويف اللذة ودفعها بالحيلة » ، ولا إخالها من كلام الجاحظ .

(٣) فى اللسان (أمر) : « التامور جنس من الأوعال أو شبيه بها ، له قرن واحد متشعب فى وسط رأسه » . فيما عدا ل : « النامور » ، محرف .

ومن الظّلف الخنازيرُ وهى بلا كَرِشٍ ولا جِرّة ولا قَرْنٍ [١] . وليس بينهما موافقةٌ إلا فى الظّلف .

وفى الخنازير ما ليس ظِلفه بمنشقٍّ ، فذاك [٢] هو المخالفُ بالنّاب وبعدم [٣] [هذه] الأشياءِ كلِّها .

وتُشاكلُ [٤] المعزَ والبقرَ والظباءَ بالشّعَر وقِصَر الذّنب ، وتُخالف [٥] البقر والجواميسَ فى طول الذّنَب ، وفى عدد أيّام الحَمْل .

٧٦

ومن الظلف الضأنُ والمَعْز ، وقد يكون بينهما [٦] تسافدٌ وتلاقح إلا أنها تُلقيه مَلِيطاً قبل أن يُشْعِر [٧] ، وذلك أقلُّ من القليل .

ومن الظلف البقر الأهليُّ ، والجواميس ، وهى أهليةٌ أبداً ، وهى موافقةٌ للضأن فى القرن [٨] وفى عدم النّاب ، و[فى] الجرَّة والكَرش . وتخالف الضأنَ فى الصُّوف والسنام [٩] وتوافق المعز فى الشعر وتخالف [فى] السنام [٩] ، وتخالف جميعَ الغنم فى الحَمْل ؛ لأن الغنمَ تضع لخمسة أشهر . والبقر تضَعُ كما تضعُ المرأةُ فى تسعة أشهر . وليس تُشْبه المرأة فى غير ذلك ، إلا مايذكرون من الغَبَب ونُتُوٍّ الكاهل ، فإنهما ربما كانا فى بعض النساء ، وأكثر ذلك فى نساء الدّهاقين .

---

(١) فيما عدا ل : « وهى لا كرش ولا جرة ولا قرون » ، محرف .

(٢) فيما عدا ل : « فيقال » .

(٣) فيما عدا ل « وتقدر » ، محرف .

(٤) أى الخنازير . وفى ل : « تتشاكل » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « ويخالف » ، محرف .

(٦) ل : « بينها » .

(٧) المليط : الذى لا شعر عليه . ويقال أشعر الجنين فى بطن أمه ، وشعر بالتشديد ، واستشعر ، أى نبت عليه الشعر .

(٨) فيما عدا ل : القرون » .

(٩) كذا وردت هذه الكلمة .

(القول فى الزرافة)

قالوا : وللزَّرافة تكون فى أرض النُّوبة فقط . قالوا : وهى تسمَّى بالفارسية أُشترْ كَاوْ بلنك[1] كأنه قال : بعير ، بقرة ، نمر[2] . لأنّ كاوْ هو البقرة ، وأُشتُر [هو[3]] الجمل ، وبلنك هو النَّمر[4] .

فزعموا أنّ الزرافةَ ولدُ النمرة[5] من الجمل . فلو زعمتم أَنّ الجملَ يكوم الضَّبُعَ ويكوم [بعض] ماله ظِلفٌ ما كان إلا كذلك . والمسافدةُ فى أجناس المخلب والخُفّ والحافر أعمُّ ، فلو جعلوا الفحلَ هو النمر ، والأنثى هى الناقة ، كان ذلك أقربَ فى الوهم .

وليس كل ذكر يكومُ[6] أنثى يُلقِحُها . وقد يكومُ الإنسانُ الدابَّةَ بشهوةٍ منهما جميعاً ولا يكون تَلاقُح كما اتّفقا فى المسافدة . وإنّ الرّاعىَ يكومُ الغنمَ وغيرَ الغنم .

وانظرْ ، كم مِنْ ضَرْبٍ ادَّعَوْا ممّا لا يُعرَف : فواحدةٌ أنّ بهيمةً[7]

---

(١) أشتر ، بضم الهمزة والتاء . وفى ط ، هـ : « شتر » وهى صحيحة أيضا ، تقال بضم الشين والتاء . وبلنك ، هى فى الفارسية بالباء المفخمة .

(٢) ط ، س : « كأنه يعنى بقرة » هـ : « كأنه يعنى بقرة جمل » ، وأثبت النص كاملا من ل .

(٣) هذه من هـ فقط .

(٤) الذى فى ل بعد كلمة « نمر » السابقة : « لأن بلنك نمر » . وكلمة « النمر » هى فيما عدا ل : « الضبع » وهو يوافق ما مضى فى (١ : ١٤٣) ، والصواب ما أثبت . أما الضبع بالفارسية فهى « كفتار » كما سبق التحقيق فى (٦ : ٤٥٢) .

(٥) فيما عدا ل : « النمر » .

(٦) الكوم : الضراب . ط فقط : « يكون » ، محرف .

(٧) فيما عدا ل : « بهيما » ، تحريف .

ذكراً اشتهى سبعاً أنثى ، وهو من أصعب السِّباع . ثم الثانية أنه ألقح[1] . والثالثة أنّ أرحامَ النمور لا تتّسع لأولاد الإبل .

قالوا : نمورُهم عِظامٌ وإبلُهم لِطاف . وقد تتّسع أرحامُ القِلاص العربيَّة لفوالج[2] كِرْمان ، فتجيء بهذه الجَمَّازات[3] . ولولا أنه فسَّرَ[4] لجازَ أن يكونَ النَّمِرُ يكومُ النّاقةَ فتتّسع أرحامُها لذلك .

قالوا : وفى أعالى بلاد النُّوبة تجتمع سباعٌ ووحوشٌ ودوابٌّ كثيرة ، فى حَمَارَّةِ القَيظ إلى شرائعِ المياه ، فتتسافَدُ هناك فيَلْقَح منها ما يَلْقَح ، ويمتنعَ ما يمتنع ، فيجيءُ من ذلك خلقٌ كثيرٌ[5] مختلفُ الصُّورة والشكل والقَدْر ، منها الزَّرَافة .

وللزَّرافةُ خَطْمُ الجمل ، والجِلد للنَّمِر[6] ، والأظلاف والقرن للأيِّل[7] ، والذَّنَب للظَّبْى ، والأسنان للبقَر ، فإنْ كانت أمُّها ناقة فقد كامَها نمِرٌ وظبىٌ وأيِّل فى تلك الشرائع . وهذا القولُ يدلُّ على جَهْلٍ شديد .

والزَّرافة طويلةُ الرِّجْلين ، منحنية إلى مآخيرها[8] ، وليس لرجلَيْها ركبتان ، وإنما الرُّكبتانِ ليديها ؛ وكذلك البهائم كلُّها . وعَسَاهُ إنما أرادَ ٧٧

---

(١) ط فقط : « أن ألقح » .

(٢) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين . فيما عدا ل : « للواقح » ، محرف .

(٣) الجمازات : جمع جمازة ، وهى التى تجمز ، أى تسرع فى عدوها . وانظر (١ : ٨٣ — ٨٤ / ٥ : ٤٥٩) . وفيما عدا ل : « الجبارات » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « ولولا أنه سبع » .

(٥) ل : « عظيم » .

(٦) أى جلد الزرافة يمت إلى النمر بسبب وشيه .

(٧) بدلها فى ل : « والرأس والأظلاف للأيل » ، والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٨) فيما عدا ل : « إلى أواخرها » .

الثفِنات(١) . والإنسانُ رُكبتاه فى رجلَيه .

ويقولون : « أُشْتُرْ مُرْك(٢) » للنَّعامة ، على التَّشبيه بالبعير والطَّائر ، يريدون تشابُهَ الخلق ، لا على الولادة .

ويقولون للجاموس « كاوماش(٣) » على أن الجاموس يُشْبِه الكبشَ والثَّوْر ، لا على الولادة ، لأنّ كاو بقرة ، وماش(٤) [اسمٌ للضأن .

وقال آخر : تضع أمُّ الزَّرافة ولدَها من بعض السِّباع ، ولا يشعرُ النَّاسُ بذلك الذَّكر . قالوا : كاوماش] على شَبَه الجواميس بالضّأن ، لأنَّ البقرَ والضأنَ لا يقع بينهما تلاقحٌ . والتّفليس(٥) الذى فى الزَّرافة لا يُشْبِه الذى فى النَّمر ، وهو بالبَبْر(٦) أشبَه ، وما النمرُ بأحقَّ به(٧) من هذا الوجه من الفَهْد .

(تسافد الأجناس المختلفة)

وقد يمكن أن تُسْمِحَ الضَّبعُ للذّئب(٨) ، [والذِّئبة للذِّيخ] ، والكلبةُ للذِّئبِ وكذلكَ الثعلبُ والهرَّةُ ، وكذلِكَ الطَّيْرُ وأجْناس الحمامِ كالوَرْدَانىِّ

(١) كذا وردت هذه العبارة فى ل . وبدلها فى ط : « وعصاها إن أرادت القيام » ، وفى س ، هـ : « وعصاها إذا أرادت القيام » لكن فى س : « فمساها » وهاتان عبارتان مقحمتان ، وأما ماجاء فى ل فهو إما دليل على سقط قبله ، أو هو دخيل على الكتاب من تعليق قارئ أو ناسخ .

(٢) مرك ، والأصح فيه « مرغ » بضم الميم وآخره غين معجمة كما فى معجم استينجاس ١٢١٦ ، وكما سبق (١ : ١٤٣ / ٤ : ٣٢١) . لكن سبق نظير هذا التساهل فى النطق فى ص ١٢٠ وقد نبهت عليه . وفيما عدا ل : « اشترمك » محرف .

(٣) فيما عدا ل : « كاوماس » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ماس » ، تحريف .

(٥) التفليس : أراد به اللمع التى تشبه الفلوس .

(٦) فيما عدا ل : « بالليث » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وما الليث أحق به » ، محرف .

(٨) فيما عدا ل : « للأرنب » ، تحريف .

والوَرَشان والحمام ، وكالشِّهرىّ من بين الحِجْر والبِرْذَوْن ، والرَّمَكة والفَرَس ، والبغلِ من بين الرَّمَكة والحمار .

فأمَّا بُروك الجَمل على النَّمرة ، والجَملُ لابدَّ أنْ تكون طَرُوقتُه باركةً ، فكيف تبركُ النَّمرة للجمل ، والسِّباع إنما تتسافد وتتلاقح قائمةً ، وكذلك الظِّلف والحافر ، والمِخْلَب ، والخُفّ . والإنسانُ والتِّمْساح يتبطَّنان الأنثى . والطيرُ كلُّه إنما يتسافَدُ ويتلاقح بالأستاه من خلف[١] وهى قائمة .

(شواذ السفاد)

وزعموا أنَّ الغرابَ يُزَاقُّ[٢] . والحُمَّرُ والقَبَج ربّما ألقحا الإناث[٣] إذا كانا على عُلاَوَة الرِّيح[٤] . ولا تكونُ الولادةُ إلاّ فى موضع[٥] إلقاء النُّطفة [والشىءِ الذى يلقح منه] .

وأمَّا السَّمكةُ فقد عايَن[٦] قومٌ مُعارضَةَ الذكر للأُنْثَى ، فإذا سَبَح الذكَرُ إلى جنب الأنثى عَقَفَ ذنبَه وعقفَتْ ذَنَبها ، فيلتقى المبالان[٧] فتكونُ الولادة [من] حيث يكون التلقيح ، لا يجوزُ غير ذلك .

والذين يزعمون[٨] أن الحجَلةَ تلقَحُ من الحجَل إذا كانَتْ فى سُفَالة

---

(١) هاتان الكلمتان ليستا فى ل .
(٢) أى يكون لقاحه الأنثى بالتزاق . انظر لهذا المعنى ماسبق فى (٣ : ١٧٧) .
(٣) فيما عدا ل : « الحجل و القبج فربما ألقحا الإناث » ، تحريف .
(٤) علاوة الريح بالضم : أعلاها ، ويقابلها السفالة بالضم أيضا .
(٥) فيما عدا ل : « مواضع » .
(٦) فيما عدا ل : « باين » ، محرفة .
(٧) فيما عدا ل : « الحياءان » .
(٨) فيما عدا ل : « زعموا » .

الرِّيح ، من شيءٍ ينفصل من الذَّكر[1] . فإنما شبَّهوا الحجَل بالنَّخْل ، فإن[2] النخلةَ ربما لقِحَتْ من ريح كافورِ الفُحَّالِ[3] إذا كانت تحتَ الرِّيح .

(المخايرة بين ذوات القرون والجم)

[قال] : وسئل الشَّرْقيّ عن مخايرةِ[4] مابين [ذوات] القرون والُجمّ فقال : الإبل والخيل من [الخفّ و] الحافر . والبرثُن والِمخْلب والقدَم التي هي للإنسان[5] . [قال] : فمن خصال ذى القرن أنَّ منه [وإليه ينسب] ذو القرنين[6] الملكُ المذكورُ فى القرآن ، ويزعم بعضُهم أنه الإسكَنْدَر . وقال أميَّة بن أبى الصَّلْت :

رَجُلٌ وثَوْرٌ تحتَ رجل يمينهِ والنَّسْرُ للأُخْرى ولَيْثٌ مُرْصَدُ[7]

(استطراد لغوى)

وَيقالُ ضَرَبه على قَرْنه . وقَرْنٌ من دم ، كما يقال قرنٌ من عرَقٍ[8] . والقَرْن : أمَّة بعد أمَّة . والقَرْنُ[9] : شيءٌ يصيب فُروج النساء يُشْبِه العَفَلة[10] .

---

(١) ط : « فى شىء لنقصان منى الذكر » س ، هـ : « فى شىء لنقصان من الذكر » صوابهما فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « وإن » .

(٣) الفحال ، بالضم : ذكر النخل . فيما عدا ل : « النخال » ، محرفة .

(٤) فيما عدا ل : « محاجزة » ، تحريف .

(٥) كذا وردت هذه العبارة .

(٦) فيما عدا ل : « ذا القرنين » .

(٧) سبق البيت والكلام عليه فى (٦ : ٢٢٢) .

(٨) القرن : الدفعة من العرق ، يقال عصرنا الفرس قرنا أو قرنين . قال زهير :

تضمر بالأصائل كل يوم تسن على سنابكها القرون

(٩) هو بسكون الراء اسم العفلة ، وبفتحها اسم العيب .

(١٠) العفلة ، بالتحريك هى للنساء شبه الأدرة التى للرجال فى الخصية . قالوا : والعفل =

(ذوات القرون)

٧٨ والفيل من ذوات القرون ، وفى الحيَّات والأفاعِى مالها قرون ، وإنما ذلك الذى تسمع أنه[١] قرن إنما هو شىءٌ يقولونه على التَّشبيه ، لأنّه من جنس الجِلْد والغضروف . ولو كان من جنس القُرون لكانت الحيّة صلبةَ الرأس ، والحية أضعفُ خَلق الله رأسًا[٢] ، ورأسُه هو مَقْتَلُه ؛ لأن كلَّ شىءٍ له قرنٌ فرأسُه أصْلَب ، وسلاحُه أتمّ . والقَرْنُ[٣] سلاحٌ عَتِيدٌ غير مُجْتَلَبٍ[٤] ولا مصنوع ، وهو لذَوات القُرون فى الرؤوس . وللكرْكدَّن قرنٌ فى جبهته ، والجاموس أوثق بقَرْنِه من الأسد بمخْلبه ونابه .

وتقول المجوس : يجىء شُوتَن[٥] على بقرةٍ ذاتِ قُرون .

وظهرت الآية فى شأن داودَ وطالوتَ فى القَرْن . وشَبُّورُ اليَهود من قَرْن[٦] . والبُوق فى الُحروب مُذ كانت الَحرْب[٧] إنما كان قرناً .

= لايكون فى الأبكار ، ولا يصيب المرأة إلا بعد ماتلد . ط : « يشبه بالعقلة » س : « لشقه بالعفلة » ، هـ : « لشفه بالعفلة » ، والوجه ماأثبت من ل .

(١) ط ، هـ : « سمع به » ل ، س : « تسمع به » والوجه ماأثبت .

(٢) فيما عدا ل : « أضعف شىء رأسا » .

(٣) فيما عدا ل : « والقرون » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « غير مختلف » ، تحريف .

(٥) ل : « بشوتن » وفيما عدا ل : « سرقين » . وانظر ماسبق فى (٦ : ٤٧٧) واستدراكات الجزء السادس .

(٦) انظر للشبور ما مضى فى (٤ : ٥٢٥) .

(٧) فيما عدا ل : « التى منها كانت الحرب » ، تحريف .

[وبُوق الرَّحَى قرنٌ . والأيِّل يَنْصُل قَرنُه فى كلّ عامٍ . وكان سِنان رُمح الفارس فى الجاهليَّة رَوقَ ثَور] .

(مايسمى بروق)

ويسمَّى الرَّجلُ بِرَوق ، والرَّوْق كالشيء يعاقب الشيء[1] . وقال بشّار فى التَّعَاقُب[2] :

أعقَبَتْه الجَنُوبُ رَوْقاً من الأزْيَبِ [3]

وفى العرَب رَوْق وأبو رَوْقٍ[4] . وقال ابن مَيّادة :

دَانَ له الرَّوقانِ من وائلٍ وَقَبْلَهُ دَانَتْ له حِمْـيَرُ [5]

الرَّوْقانِ : بكرٌ وتَغلِب[6] .

(استطراد لغوى)

ويقال قَرْنُ الضُّحى ، وقَرْنُ الشّمس ، [وقُرون الشَّعَر] ، وقَرْنُ الكَلأ[7] ، وقرون السُّنْبل ، وأطرافُ عذوق النّخْل وأطراف عروق الحَلْفاء[8] وإبرةُ العقرب كلُّها قُرون .

---

(١) فيما عدا ل : « كل شيء يضاف إلى شيء » .

(٢) فيما عدا ل : « اليعاقيب » تحريف .

(٣) كذا ورد البيت منقوصا . وفيما عدا ل : « أعقبه » . والأزيب : النكباء التى تجرى بين الصبا والجنوب . ط ، س « الأريب » وفى ل ، هـ : « الأرنب » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) وردت هذه الجملة فى ل قبل « وقال بشار » .

(٥) فيما عدا ل : « دان له حمير » .

(٦) كذا . وقد ذكر المحبى فى جنى الجنتين ٥٦ أنهما مالك وجشم ابنا بكر بن حبيب ، وقال فى ٥٣ : « الرأسان مالك وجشم ابنا بكر بن حبيب ، وهما الروقان أيضا » .

(٧) ط فقط : « قرن الكلام » ، محرف . وفى اللسان : « وقرن الكلأ أنفه الذى لم يوطأ ، وقيل خيره ، وقيل آخره . وأصاب قرن الكلأ ، إذا أصاب مالا وافرا » .

(٨) ل : « عروق » فى الموضعين . وفيما عدا ل : « عذوق » فى الموضعين . ولعل الوجه فيما أثبت .

(علاقة القرون واللحى بالذكور)

والأجناس التى [تكون] لها القرون تكون قرونُها فى الذُّكور منها . وقد يكون الفحلُ أجمَّ ، كما أن اللِّحَى عامٌّ فى الرِّجال . وقد يكون فيهم السِّناط[1] .

(أنواع القرون)

وقد تَتَشعَّبُ[2] قرونُ الظباء إذا أسنَّتْ .

وقرونُ الظِّباء وبقَرِ الوحْش شِدادٌ جدًّا ، وإنّما تعتمد الأوعالُ فى الوُثوب[3] وفى القذْف بأنفسها مِن أعالى الجبال على القُرون . والأغلب على القُرون أن تكون اثنَيْن اثنَين[4] . وقد يكون لبعض الغنم قرون عِدّة .

(استخدام القرون)

والجواميسُ تمنَعُ أنفسَها وأولادَها من الأُسْد بالقُرون ، وبقَر الوحش تمنَع أنفسَها وأولادَها من كِلاب القُنَّاص ومن السِّباع التى تُطيف بها ، بالقُرون . قال الطِّرِمَّاح :

أكَلَ السَّبْعُ طَلاَها فما ... تَسْأَلُ الأشباحَ غيرَ انهزامْ[5]

---

(١) السناط ، بكسر السين وضمها . ويقال أيضا « السنوط » كعصبور : الذى لا لحية له . ط : « السنباط » صوابه فى س ، هـ . وفى ل : « السوط » صواب هذه « السنوط » . وكلمة « فيهم » هى فيما عدا ل : « منهم » .

(٢) فيما عدا ل : « تشعب » .

(٣) فيما عدا ل : « وإنما تعتمد الأوعال فى السلاح والوثوب » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « اثنتين اثنتين » ، محرف .

(٥) البيت فى ديوان الطرماح ١٠٧ . فيما عدا ل : « فما نسل الإسلام » صوابه =

(قصة فى سفاد الخنزير)

وقال ابن النُّوشَجانىّ[1] : أقبلت من خراسان فى [بعض] طُرُق الجِبال[2] فرأيتُ أكثرَ من مِيلَين [متّصلين] فى مواضعَ كثيرةٍ من الأرض ، أثر ستِّ أرجل ، [فقلت فى نفسى : ما أعرف دابّة لها ستُّ أرجُل] ! فاضطرَّنى الأمر[3] إلى أنْ سألتُ المُكارِىَ ، فزعَم أنّ الخنزيرَ الذّكرَ فى زمان الهَيْج يركب الخنزيرة وهى ترتَع أو تذهَبُ نحوَ مَبيتِها ، فلا يَقْطعُ سفادَه أميالاً ، ويداه على ظَهْرها ورجلاهُ خَلْف رجليها ، فمَنْ رأى تلك الآثار[4] ، رأى ستَّ أرجل ، لايدرى كيفَ ذلك . ٧٩

(مايعرف بطول السفاد)

قال : فالخنزير فى ذلك على شَبيهٍ[5] [بحال] الذباب [الذكر] إذا سقط[6] على ظهر الأنثى ، فى طول السِّفاد .

وإنّ الجملَ فى ذلك لعجيب الشّأن ، فأمّا العدد فالعصفور[7] ، ويُحكَى أنَّ للورَل فى ذلك ما ليس لشىءٍ ، يعنى فى القوة ، وأنشد أبو عبيدةَ :

= فى ل والديوان . وفى شرح الديوان : « هذا مثل . يقول : لاتسأل الأشباح عما بها من الفزع ... غير انهزام : غير أنها تغدو وهى منهزمة » .

(١) النوشجانى : نسبة إلى نوشجان ، بضم النون وفتح الشين ، وهى مدينة بفارس . وفى ط ، س : « النوسجار » ، وفى هـ : « البرسحار » ، صوابهما ماأثبت من ل وكتاب البغال ص ٣١٧ من رسائل الجاحظ .

(٢) فيما عدا ل : « طروف الجبال » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « فاضطرنى ذلك » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « ذلك الأثر » .

(٥) فيما عدا ل : « شبه » .

(٦) فيما عدا ل : « سقطت » ، تحريف

(٧) فيما عدا ل : « والعدد فى العصفور » .

فى عُظْمِ أيرِ الفيل فى رَهْز الفرَسْ[1]
وطولِ عَيْسٍ جَمَــل إذا دَحَسْ[2]

(فرس المـاء)

قال عَمْرُو بنُ سعيد : فرس الماء يأكل التمساح . قال : ويكون فى النِّيل خُيول ، وفى تلك البحور – يعنى تلك الخُلْجان – مثلُ خيول البرّ ، وهى تأكل التماسيح أكلاً شديداً[3] ، وليس للتماسيح فى وسط الماء سلطان[4] شديد[5] إلاّ على ما احتمَلَه بذنَبه من الشَّريعة .

قال : وفرس الماء[6] يؤْذِن بطلوع النِّيل ، بأثر وطْء حافره ، فحيث وجدَ أهلُ مِصرَ أثرَ تلك الأرجل عرَفُوا أنّ [ماء] النيل سيَنتهى[7] فى طلوعه إلى ذلك المـكان .

وهذا الفَرَس ربّما رعَى الزُّرُوع[8] ، وليس يبدأُ إذا رَعَى فى أدْنَى الزَّرْع إليه ، ولـكنّه يحزِرُ منه قدْرَ ما يأكل[9] ، فيبدَأُ بأكله[10] من

(١) ط : س : « الفيل وهو قوس » ، ﻫ : « وهو موس » ، وأثبت ما فى ل . وفى كتاب البغال ٣١٥ : « أير البغل » .
(٢) العيس ، بالفتح : الضراب . وفيما عدا ل : « وطول حبس إذا حبس » .
(٣) فيما عدا ل : « التمساح أكلا ذريعا » .
(٤) هذه الجملة ساقطة من ﻫ . وفيما عدا ل : « ولا للتمساح فى وسط المـاء سلطان » ، تحريف .
(٥) هذه الـكلمة ساقطة من س . وبدلها فى ط ، ﻫ : « يظهر » .
(٦) فيما عدا ل : « وفرس البحر » .
(٧) فيما عدا ل : « ينتهى » .
(٨) فيما عدا ل : « الزرع » .
(٩) الحزر : تقدير الشىء بالحدس والظن . فيما عدا ل : « يحرز منه بقدر ما يأكل » تحريف .
(١٠) ط ، ﻫ : « يبدأ فيأكل بأكله » س : « فيبدأ فيأكل بأكله » ، ووجهه ما أثبت من ل .

أقصاه ، فيرعى مُقْبِلا إلى النِّيل ، وربَّما شرب [هذا الفرس] من الماء ، بعد المَرْعَى[(١)] ثم قاءه فى المكان الذى رَعَى فيه[(٢)] ، فينبت أيضاً .

والطَّير عندنا يأكلُ التُّوت ويَذرُقه[(٣)] ، فينبت من ذَرْقه شجَر التُّوت .

قالوا : وإذا أصابُوا من هذه الخيل فِلْوًا صغيراً[(٤)] ربّوه مع نسائهم وصبيانهم فى البيوت ، ولم يزِدْ على هذا الكلام [شيئا] .

قال : وفى سنّ من أسنانه شفاءٌ من وجع المَعِدة .

(التداوى بفرس الماء وبنات عرس)

قال : والنُّوبةُ وناسٌ من الحبَشة يأكلون الحيتان[(٥)] نِيَّةً بغير نار ، ويشربون الماءَ العكر فيمرَضُون[(٦)] ، فإذا علّقوا سنّ هذا [الفرس] أفاقوا ، قال : وأعفاج هذا الفرس تُبرِئ من الجنون والصَّرْع الذى يعترِى مع الأهلَّة[(٧)] .

قال : وكذلك لحومُ بنات عِرْسٍ صالحة لِمَنْ به هذه العِلّة .

---

(١) فيما عدا ل : « بعد الرى » ، تحريف .

(٢) ط ، هـ : « ثم قاء » . وفيما عدا ل : « يرعى فيه »

(٣) فيما عدا ل : « تأكل التوت وتذرقه » والأمثل ما كتبت من ل .

(٤) الفلو : الجحش والمهر إذا افتلى وفطم . يقال بكسر الفاء ، وبضمها مع اللام وتشديد الواو ، وبفتحها مع ضم اللام وتشديد الواو .

(٥) فيما عدا ل : « الحية » .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفيما عدا ل : « الماء العطن » .

(٧) انظر لهذا ماسبق فى ص ١٣٨ .

(صيد الذئب للإنسان)

قال : وإنما يكونُ الإنسان من مصايد الذِّئب إذا لقيه والأرض ثَلْجاء[١] ، فإنّه عند ذلك يَحْفِش وجْهَ الأرض[٢] ويجمعُه، ويضرب وجهَ الرجل[٣] فارساً كان أو راجلاً . قال : ودُقاق[٤] الثَّلج وغُباره إذا صَكَّ وجهَ الفارس سَدِرَ واستَرْخَى وتحيَّر بَصَرُه ، فإذا رأى ماقد حلَّ به فربَّما بَعَجَ بطنَ الدَّابَّة ، وربما عضَّها ، فيقبضُ على الفارس فيصرعُه ولا حَرَاكَ به ، فيأكله كيف شاء ، إلا أن يكون الفارس مجرباً ماهراً ، فيشدُّ عليه عند ذلك بالسِّلاح ، وهو فى ذلك يَسيرُ ويقطعُ المفازةَ ، ولا يدعَه[٥] حينئذٍ يتمكَّن من النفر عليه .

(تعليم الذئب وتأليفه)

وزَعَم عبويه أنَّ الحصىّ العبدى الفقيه من أهل هَمَدان ، السودانىّ[٦]، ٨٠ الجَبَلِّى ، وهو رجل من العرب قد ولدته حليمةُ ظئرُ النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، وهو من بنى سعد بن بكر ، فزعَم أنَّ السُّودانى أشبَهُ خلْق الله بجارحةٍ ، وأحكمُهمْ بتدبير ذئبٍ وكلبٍ وَأسدٍ ونَمر ، وتعليم وتثقيف ، وأنّه

(١) لم أجد هذا الوصف فيما لدى من المعاجم .
(٢) يحفشه : يقشره . ط : « يخفش » ، صوابه بالحاء كما أثبت من س . وفى هـ : « يحنش » تحريف .
(٣) ط فقط : « وجه الأرض » تحريف .
(٤) الدقاق ، بالضم . ط ، هـ : « دقائق » .
(٥) الكلام بعد هذا اللفظ إلى « منحتكم المودة من فؤادى » التى ستأتى فى ص ٢٥٦ لم أعثر على موضعها فى نسخة ل .
(٦) انظر ماسبق فى حواشى (٦ : ٢٦) .

بلغَ مِن حذقه ورِفقه أنّه ضَرّى ذئباً وعلّمه، حتى اصطاد له الظِّباء والثّعالبَ وغيرَ ذلك من الوحوش ، وأنّ هذا الذئبَ بعينه سَرَّحَه فرجَع إليه من ثلاثين فرسخا ، وذكر أنّ هذا الذئبَ اليومَ بالعسكر ، وحدّثنى بهذا الحديث فى الأيام التى قام بها أميرُ المؤمنين المتوكِّلُ على الله ، وذكر أنّه ضَرَّى أسداً حتى ألِف وصار أهليًّا صَيُوداً ، حتى اصطادَ الحميرَ والبقرَ وعِظامَ الوحش صيداً ذريعا ، إلا أنَّ الأسَد بعد هذا كله وثَب على ولدٍ له فأكلَه ، فقتَلهُ السودانى .

والذى عندنا فى الذِّئب أنه يألف . ولو أخذ إنسانٌ جرواً صغيراً من جرائه ثمَّ ربَّاه ، لما نَزَعَ إلا وحشيًّا غَدُورًا مُفْسداً . ولذلك قال الأعرابى :

أكلْتَ شُوَيهَتى ونَشَأْت فينا فمن أنباك أنَّ أباكَ ذيبُ[1]

فالذى حكى عبويه من شأن هذا الذِّئب والأسد من غريب الغريب .

(مصارعة كلبة لثعلب)

وأخبرنى عبويه صاحب ياسر الخادم قال : أرسلتُ كلبة لى فحاصرَتْ ثعلبا ، فوالله إنْ زالا كذلك حتى خرَّا ميِّتين ، قال : فقلت : أكرِمْ بهما صيداً ومَصيداً ، وطالبا ومطلوبا .

(من خصائص الكبار والفلاسفة)

قال : وإذا أسنَّ القرشىُّ رَحَل إلى الحجاز .

وقال : ما احتنَك رجلٌ قطُّ إلا أحبَّ الخلوة ، وقالوا : مافكَّر فيلسوفٌ قط إلا رأى الغُربةَ أجمَعَ لهمِّه وأجوَدَ لخواطره .

---

(١) سبق البيت والخبر وتخريجهما فى ١٨٧ .

(قول بكر المزنى فى الأرَضَة)

قال : وشتم رجلٌ الأرَضَة فقال بكر بن عبد الله المُزَنى : « مَهْ ، فهى التى أكلَتْ جميع الصَّحيفةِ التى تعاقَدَ المشركون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ذِكرَ رسول الله ، وبها تبيَّنت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيبَ ما لبثوا فى العذاب المهين ، وبها تـكشَّف أمرُها عند العوّام بعد الفتنة العظيمة عندهم ، وكان على الخاصّة من ذلك أعظم المحن » .

(طول ذماء الضب)

وخبّرَنى رجلٌ من بنى هاشمٍ كان منهوماً بالصَّيدِ لَهِجاً به ، أنَّه ضَرَبَ وَسَطَ ضَبٍّ بالسَّيفِ فقطعه نِصْفَين ، فتحرَّك كلٌّ واحدٍ منهما على حِيالِه ساعةً من نهار ثمَّ سَكَنا .

(الورل والضب)

وأخبرنى أنهم كانوا يُهارِشون بين الضَّبِّ والورَل ، فيُلْغِبُه الورلُ حتى يقتله[1] .

وحكَى أنَّ الورلَ يقتل الضبّ على معنى الصائد والطالب ، وأن الضبّ يقاتل على معنى المُحْرَج ، وأنّه هارَشَ بين الورَل والحيَّة فوجد الورَلَ يقتل الحيّة ويأكلها ، ويقتل الضبّ ولا يأكله ولـكن حُسُوله[2] .

٨١

---

(١) ألغبه : أنصبه وأتعبه . واللغوب : التعب والإعياء . س ، هـ : « فيغلبه » تحريف صوابه فى ط .

(٢) الحسول : جمع حسل ، وهو ولد الضب . وفى الأصل : « ولـكنه » .

(علة عدم قتل الأعراب للورل والقنفذ)

وزعم أنّه وجَدَ مشايخَ الأعرابِ لايقتلون وَرَلاً ولا قنفُذًا ولا يدَعُون أحداً يصطادهما ، لأنهما يقتلان الأفاعىَ ، ويُريحانِ الناسَ منها .

(نوادر من الشعر والخبر)

وأنشد أبو عبيدة لأبي ذؤيب :

وسَوَّدَ ماءُ المَرْدِ فاها فلَونُه ... كلَوْنِ النَّؤُورِ وهى بيضاءُ سَارُها[1]

وأنشد شبيها به للنابغة :

يَتَحَلَّبُ اليعضيد من أشداقها ... صفرًا مَناخِرُها من[الجرجار][2]

وأنشد شبيها بذلك لإبراهيم بن هَرْمة :

كأنَّها إذْ خُضِبت حِنًّا وَدَمْ[3] ... والُحرض والعـ..ن والهَرْم العُصَمْ[4]

وأنشد أيضاً :

تعلّم الأكل أولاد الظباء بها ... فما يحسّ بها سِيدٌ ولا أسَدُ

---

(١) المرد : الغض من ثمر الأراك . ط ، س : « المزن » صوابه فى ﻫ . وفى الأصل : « منها » بدل « فاها » صوابه فى ديوان أبى ذؤيب ٢٤ . وسارها ، أراد سائرها . ورواية الديوان « أدماء سارها » .

(٢) اليعضيد : بقلة زهرها أشد صفرة من الورس . وفى الأصل : « يتجلب » ، تحريف . وفى ط ، س : « ليصيد » ﻫ : « التعصيد » ، صوابهما ماأثبت من الديوان ٣٨ واللسان (عضد ، جرر) . وكلمة « الجرجار » ساقطة من الأصل ، كما أن كلمة « من » قبلها ثابتة فى س فقط .

(٣) ط : « حنا ورم » ، س : « بحنا ورم » ، ﻫ : « بحنا أودم » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ط ، ﻫ : «من حرص» ، وأثبت ما فى س والكلمة التى بعدها ساقطة من ط ، وبدلهما بياض فى ﻫ ، لكن هكذا وردت مبتورة فى س . والحرض : الأشنان تغسل به الأيدى على أثر الطعام . والهرم ، بالفتح : البقلة الحمقاء ، أو ضرب من الحمض فيه ملوحة . والعصم : جمع أعصم .

وأنشد :

ذكرتُكِ ذِكْرةً فاصطدت ظبياً   وكُنْتُ إذا ذكرتُكِ لا أخِيبُ

منحتُكم المودَّة مِن فؤادِى   ومالى فى مودَّتكم نصيب

وقال ابن مُقبل :

وكم من عَدُوٍّ قد شققنا قميصَهُ   بأسمَرَ عَسَّالٍ إذا هُزَّ عاملُهْ [١]

وقال أيضاً :

ولم أصطبِح صهباءَ صافية القَذَى   بأكْدَرَ من ماءِ اللِّهابة والعَجْب [٢]

ولم أسْرِ فى قومٍ كرامٍ أعِزَّةٍ   غَطارفةٍ شُمِّ العَرانِين من كلْبِ

اللِّهابة [٣] والعَجْب : ماءان من مياه كلب موصوفانِ بالعُذوبة ، وهى فى ذلك كَدِرة . وأنشد ابن مَزْرُوع [٤] لعدىِّ بن غُطيفٍ [٥] الكلبىّ ، وكان جاهليًّا :

أهلكَنا اللّيلُ والنهارُ مَعا   والدَّهر يَعدُو علَى الفَتَى جَذَعا [٦]

والشَّمسُ فى رأسِ فُلْكةٍ نُصِبَتْ   رَفَّعها فى السماء مَن رَفَعا

أمرٌ بلِيطِ السماءِ مُكْتَتَمٌ   والنَّاسُ فى الأرض فُرِّقوا شِيَعا [٧]

---

(١) فيما عدا ل : « شققت » . والعسال : الرمح المضطرب اللدن . ط ، س : « عزال » هـ : « عنآل » ، صوابه فى ل .

(٢) صافية القذى ، أى قد صفت من القذى . واللهابة ، بالكسر . فيما عدا ل : « اللهاة » تحريف . والعجب ، هنا بالفتح .

(٣) فيما عدا ل : « اللهاة » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ابن مروع » .

(٥) فيما عدا ل : « عطيف » ، تحريف . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ص ٢٥٢ .

(٦) فيما عدا ل : « أكلن الليل » ، تحريف . والدهر يسمى جذعا لأنه أبدا جديد ، كأنه فتى لم يسن . وفى الأصل : « جزعا » ، تحريف . انظر اللسان (جذع ٣٩٤ — ٣٩٥) .

(٧) أصل الليط ليط العود ، وهو القشر الذى تحت القشر الأعلى .

كما سَطا بالآرامِ عادٌ وبالحِجْـ ر وأرْكَى لتُبَّعٍ تبعــا(١)

فليس ممّــا أصابنى عجب إن كنت شَيباً أنكرتَ أو صَلَعا(٢)

قال : هو عاد بن عُوص بن إرم(٣) . وسَطَا بالحِجْر ، أى بأهل الحِجْر(٤) .
وأرْكَى أى أخّر . والإركاء(٥) : التأخير .

٨٢

وقال كعبُ بنُ زهير :

فَعْمٍ مُقلَّدُها عَبْلٍ مقيَّدُها في خَلْقِها عن بَناتِ الفَحْل تَفضِيلُ(٦)

حَرْفٌ أخوها أبوها من مُهَجَّنةٍ وعمُّها خالُها قَوداءُ شِمْليــلُ(٧)

[وكما قال ذو الرّمّة :

* أخوها أبوها والضَّوَى لا يضيرُها(٨) *]

(١) فى القاموس (أرم) : « وذو آرام : حزن به آرام جمعتها عاد » . فيما عدا ل : « بالأنام » تحريف . وأركى : أخر . وفى اللسان « أركيت الدين ، أى أخرته » . فيما عدا ل : « أرجا » بالجيم فى البيت وفى التفسير بعده . وهما بمعنى .
(٢) فيما عدا ل : « إن كنت شيئا أنكرت أو صنما » ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « بن أيد » ، صوابه فى ل والاشتقاق ٥٢ .
(٤) فيما عدا ل : « أى أتى بأهل الحجاز » ، تحريف .
(٥) فيما عدا ل : « والإرجاء » وهما بمعنى ، كما سبق فى التنبيه الأول .
(٦) يروى أيضا : « ضخم مقلدها » . والضخم والفعم بمعنى . انظر شرح بانت سعاد لابن هشام ٥١ .
(٧) قال ابن هشام : « يحتمل لمعنيين : أحدهما التشبيه ، أى إن أخاها يشبه أباها فى الكرم وعمها يشبه خالها فى ذلك . والثانى التحقيق ، وإنها من إبل كرام ، فبعضها يحمل على بعض حفظا للنوع . ولهذا النسب صور ، منها أن فحلا ضرب بنته فأتت ببعيرين فضربها أحدهما فأتت بهذه الناقة . وقال الفارسى فى تذكرته : صورة قوله أخوها أبوها أن أمها أتت بفحل فألقى عليها فأتت بهذه الناقة . وأما عمها خالها فيتجه على النكاح الشرعى : تزوج أبو أبيك بأم أمك فولد لها غلام فهو عمك وخالك إلا أنه عم لأب وخال لأم . صورة أخرى : تزوجت أختك من أمك أخاك من أبيك فولد لها ولد فأنت عم هذا الغلام أخو أبيه وخاله ، لأنك أخو أمه من أمها » . ثم قال ابن هشام : « ولا ينطبق تفسير أبى على رحمه الله على ما ذكرت فى البيت ، لأن الشاعر لم يصف الناقة بأحد النسبين بل بهما معا » .
(٨) عجزه كما فى ديوان ذى الرمة ١٧٥ . * وساق أبيها أمها اعتقرت عقرا *

وقال سالم بن دارة :

حَدَوْتُ بهم حتّى كأنّ رِقابَهُمْ

من السَّير فى الظّلماء خيطان خِرْوَعِ

وقال بعض المحدَثين :

وقد شَرِبُوا حتى كأنّ رِقابَهُمْ من اللِّين لم تُخلق لهنّ عظامُ

وقال آخر[٢] :

كأنّ هامَهُمُ والنَّوْمُ واضِعُها على المناكِبِ لم تُعْمَدْ بأعناقِ

وقال الكميت :

وفى اللَّزَباتِ إذا ما السِّنُو نَ أُلْقِىَ مِن بَرْكِها كلكل[٣]

لعامٍ يقولُ له المُؤْلِفُو نَ هذا المُعِيمُ لنا المُرْجِلُ[٤]

وقال أيضاً :

الطّيِّبُو تُرْبِ المَغَارِ سِ والمنابتِ والمكَاسِرْ[٥]

والساحبــــون اللاحفُو نَ الأرضَ هُدّابَ المآزِرْ[٦]

---

(١) ل : « وقال آخر » .

(٢) ل : « وقال بعض المحدثين » .

(٣) اللزبات : الشدائد من السنين . والبرك : الإبل الكثيرة . وفى الأصل : « برقها » .

(٤) المؤلفون ، لعله عنى بهم أصحاب الإيلاف ، وهم هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل . المعيم : الشديد العيمة ، وهى شهوة اللبن . والمرجل : الذى يجعل القوم لامركوب لهم فيصيرون راجلين . وفى الأصل : « المقيم » صوابه فى السيرة ٣٨ واللسان (عيم) . وفى ط ، س ، هـ : « المرحل » ول : « الموجل » ، صوابهما فى السيرة واللسان .

(٥) المكاسر : جمع مكسر ، وهو من الشجرة أصلها حيث تكسر منه أغصانها . ويقال فلان طيب المكسر إذا كان محمودا عند الخبرة .

(٦) فيما عدا ل : « اللاحقون » ، تحريف . ويلحفون الأرض : يغطونها . ومثله لطرفة :

ثم راحــوا عبق المسك بهم يلحفون الأرض هداب الأزر

والمآزر : جمع مئزر . فيما عدا ل : « المآسر » ، تحريف .

أنتـــم معادِنُ للخلافة كابراً مِن بَعْدِ كابرْ

بالتِّسْعــة المتتابعين خلائفاً وبخير عاشرْ

وقال أيضاً :

ولا يكن قوله إلا لرائدها

أعشَبْتَ فانزِلْ إلى معشوشب العشبِ [1]

ذهب إلى قوله :

مستأسد ذِبَّانُه في غَيطلِ [2] يقُلْنَ للرَّائد أعشَبْتَ انزِلِ

ولكن انظُرْ كمْ بين الدِّيباجتَين . وفي الأوَّل ذَهَبَ إلى قول الأعشى :

إذا الحِبَرَاتُ تَلوَّتْ بهِمْ وجرُّوا أسافِلَ هُدّابِها

قال : كان [3] أصحابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم يقولون «كونوا بُلْهًا كالحمام» ولقد كان الرّجل منهم يدعو لصاحبه يقول : أقلَّ الله فِطْنتَك .

٨٣

قال : وهذا يخالف قول عمرَ رضي الله عنه ، حين قيل له : إنّ فلاناً لايعرف الشَّرّ . قال : ذلك أجْدَرُ أن يقعَ فيه .

وقال النابغة الذبياني :

ولايحسَبونَ الخيرَ لا شَرَّ بَعْدَه ولايحسبون الشَّرَّ ضربةَ لازبِ

---

(١) صدره فيما عدا ل : « مكرم قوله لزائرين له » ، وفي ط : « معلوبة العشب » ، س ، هـ : « مقلوبة » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « مستأسدا » ط : « ذئابه » تحريف . والرجز لأبي النجم من أرجوزة له طويلة نادرة عدد أبياتها ١٩١ وقد نشرت بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٨ : ٤٧٢ - ٤٧٩) سنة ١٩٢٨ . وكان رؤبة يسميها أم الرجز . انظر ماسبق في (٣ : ٣١٤) .

(٣) في الأصل : « فإن » . وانظر مامضى من الكلام على الخبر التالي في حواشي (٣ : ١٨٩) .

وقال الآخر :

ولا تعذِرانى فى الإساءة إنّه شِرَارُ الرجال مَن يسىء فيُعذَرُ[1]

وقالت امرأة ترثى عُمَير[2] بنَ مَعْبَد بن زُرارة :

أعَيْنُ ألا فابكى عُميرَ بن مَعبدٍ وكان ضروباً باليدينِ وباليدِ[3]

تقول : بالسَّيف وبالقداح ، لأنّ القداح تُضرَبُ باليدين جميعاً . وقال ابن مقبل :

وللفؤاد وجيب عند أبهَرِهِ لَدْمَ الوليدِ وراءَ الغيبِ بالحجَرِ

وقال ابن أحمر :

* وفؤادُه زَجِلٌ كعَزفِ الهُدْهُدِ[4] *

وكان حسّان يقول لقائده [إذا شهد طعاماً : « أ] طعامُ يدٍ أم طعام يدين ؟ » . طعام يدين : الشِّواءُ وما أشبه ذلك ، وطعام اليد : الثرائد[6] [وما أشبَهَها] .

وقال بعض السَّلاطين لغلامٍ من غِلمانه وبين يديه أسيرٌ : اضربْ .

(١) سبق البيت فى (٣ : ٤٨٢) .

(٢) ل : « امرأة فى عمير » .

(٣) سبق عجز البيت فى (٦ : ٤٢٤) وأنشده ابن قتيبة فى الميسر والقداح ١٤٠ بدون نسبة ، وبرواية : « عمير بن معمر » .

(٤) صدره كما سبق فى (٣ : ٥٣٣) :

* إذ صبحته طاويا ذا شرة *

وفى اللسان (٤ : ٤٤٦) .

* ثم اقتحمت مناجدا ولزمته *

فيما عدا ل : « وجل » ، تحريف . والزجل : ذو الصوت . والهدهد ، يروى بضم الهاءين ، وهو ذاك الطائر . ويروى بفتحهما ، وهو أصوات الجن ، ولا واحد له .

(٥) سبق الخبر برواية أخرى فى (٦ : ٤٢٤) .

(٦) فيما عدا ل : « الثريد » .

قال : بيدٍ أو يدين ؟ قال : بيَد . فضرَبَه بالسِّياط . قال : اذهبْ فأنتَ حُرٌ[1] . وزوّجَه وأعطاه مالاً .

[وسارَّ رجلاً من الملوك بعضُ السُّعاة بابنٍ له ذكر أنّه بموضع كذا وكذا يشرب الخمر مع أصحابٍ له ، فبعثَ غلاماً له يتعرّف حالَه في الشراب ، فلمّا رجع وجَدَ عنده ناسا فـكرِه التفسير ، فقال له : مَهْيَمْ[2] . قال : كان نَقْـلُه جُبْنا . قال : أنت حُرٌ . لأنَّ مُعاقِرى الخمرِ يتنقلون بالجبن لأسبابٍ كثيرة] .

وكان فرجٌ الحجَّام مملوك جعفر بن سليمان[3] ، إذا حَجَمه أو أخذَ من شَعره[4] لم يتكلَّم ولم يتحرّك ، ولم يأخذ فى شيء من الفضول ؛ فقال جعفر[5] ذاتَ يومٍ : [والله لأمتحننّه ، فإن كان الذى هو فيه من عَقْلٍ لا يَنْتَهُ ، وإن كان كالطَّبيعة والخِلْقة لأحمَدَنّ الله على ذلك . فقال له يوماً] : ما اسمك ياغلام[6] ؟ قال : فرَج . قال : وما كُنْيتُك ؟ قال : لا أكتنِي بحضْرَة الأمير . قال : فهل تحتجِم ؟ قال نعم . قال : مَتَى ؟ قال : عند هيجه[7] . قال : وهل تعرفُ وقتَ الهيج ؟ قال : فى أكثر ذلك . قال : فأىَّ شيءٍ تأكلُ على الحجامة[8] ؟ قال : أما فى الصَّيف فسِكْباجةٌ محمَّضَة

---

(١) فيما عدا ل : « أحسنت فأنت حر » .

(٢) مهيم ، بفتح الميم والياء وسكون الهاء وآخره ميم : كلمة يمانية معناها : ما أمرك وما شأنك . وقد ورد فى أكثر من حديث .

(٣) فيما عدال : « مولى جعفر بن سليمان » .

(٤) فيما عدا ل : « وأخذ من شعره » .

(٥) فيما عدا ل : « فقال له جعفر » ، وكلمة « له » مقحمة .

(٦) فيما عدا ل : « ياحجام » .

(٧) أى عند هيج الدم . وفيما عدا ل : « عند الهيج » .

(٨) فيما عدا ل : « عند الحجامة » .

عذبة[١] ، وأمّا فى الشتاء فديجيراجة[٢] خاثِرةٌ حُلوة . فأعتقه وزَوّجه ، ووهَبَ له مالاً

وكان قاطعَ الشهادة ، ولم يكنْ أحدٌ من مواليه [يطمع] أن يُشهِدَه إلاّ على شيءٍ [لا] يختلف فيه الفقهاء[٣] . وهو الذى ذكره أبو فِرْعون[٤] فقال :

خَلُّوا الطَّريق زَوْجتِي أَمامى   أنا حمِـيمُ فَرَجِ الحجَّام[٥]

وكان أهل المربد[٦] يقولون : لانرى الإنصاف إلا فىحانوتِ فرجِ الحجّام ، لأنّه كان لايلتفت إلى مَن أعطاه الكثيرَ دونَ من أعطاه القليل ، ويقدِّم الأوّل ثم الثانى ثم الثالث أبداً[٧] حتى يأتىَ على آخرهم ، على ذلك يأتيه من يأتيه ، فكان[٨] المؤخَّر لا يغضَب ولا يشكُو .

وقال ابن مَقْروم الضَّبى[٩] :

---

(١) سبق الكلام على السكباجة فى (٢ : ٢٥٠) ، ويقال لها أيضا « الحلية » نسبة إلى الخل . فيما عدا ل : « محضة » تحريف . وقد وردت كلمة « عذبة » فى ط ، ﻫ بعد « سكباجة » .

(٢) فيما عدا ل : « فدا كراجة » . وجاء فى كتاب الطبيخ للبغدادى ص١٢ : « ديكبريكة » وذكر محققه العلامة داود الحلبى أنه يظنه من الآرامية بمعنى الديك المبارك . وكتب البغدادى فى صفته « ومن الناس من يحليه بقليل سكر » .

(٣) فيما عدا ل : « إلا على مايختلف فيه الفقهاء » ، محرف .

(٤) ترجمته سبقت فى (٦ : ٧٨) .

(٥) فيما عدا ل : « أنا حام » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « المدينة » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « ويقدم الأول فالأول » .

(٨) فيما عدا ل : « وكان » .

(٩) هو ربيعة بن مقروم الضبى ، سبقت ترجمته فى (١ : ٤٢٧) . ط ، ﻫ : « ابن مقوم » محرف . والبيت الأول والثانى مضيا فى (٦ : ٤٢٥) . وانظر بعض أبيات قصيدته فى الحماسة (١ : ١٣ – ١٤) والأغانى (١٩ ، ٩٢ – ٩٣) والخزانة (٣ : ٥٦٥ – ٥٦٦) والخيل لأبى عبيدة ١٧٢ .

وإذا تُعلَّل بالسِّياط جِيادُنا أعطاكَ ثائبــةً ولم يتعلّل[١]
فدعَوْا نَزَالِ فـكنتُ أوّلَ نازلٍ وعَلَامَ أركَبُهُ إذا لم أنْزِلِ
ولقد أفَدْتُ المالَ مِن جَمْعِ امرئٍ وظَلفْتُ نفسى عن لئيم المأكلِ[٢]
ودخلتُ أبنيــةَ الملوكِ عليهمُ ولَشَرٌّ قولِ المرءِ مالم يفعَلِ
وشهدتُ مَعْرَكةَ الفُيولِ وحَولَها أبناءُ فارسَ بَيْضُها كالأعْبَلِ[٣]
متَسَرْبِلى حَاقِ الحدِيدِ كأنّهُمْ جُرْبٌ مُقارِفَةٌ عَنِيَّةُ مُهْمِلِ[٤]

تم المصحف السابع من كتاب الحيوان ، وبتمامه تم الـكتاب [بعون الملك الوهاب[٥]] ، والحمد لله على حسن الختام. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الـكرام[٦] .

---

(١) البيت سقط من ل . وفى الأصل : « ثانية » ، تحريف . والثائبة : الدفعة الراجعة من الجرى ، ثاب : رجع .

(٢) ظلفت : منعت وكففت . ط : « وعففت » ه : « وكلفت » س : « وظلقت » صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « عن كريم المأكل » ، تحريف .

(٣) الأعبل والعبلاء : حجارة بيض . وأنشد فى صفة ناب الذئب :

* يبرق نابه كالأعبل *

(٤) العنية : هناء الإبل . والمهمل : الذى يهمل الإبل فى الرعى يخلى بينها وبين نفسها . ط ، ه : « متقاذفة » ، صوابه فى ل ، س . وفى ط ، ه : « الشحم الحنظل » ، وفى س : « بشحم الحنظل » ، صوابهما فى ل .

(٥) هذه من س .

(٦) جاء فى ختام ل : « تم الجزء السابع من كتاب الحيوان بحمد الله ومنه ، وهو آخر الـكتاب » . وفى نهاية ه : « ووافق الفراغ من كتابته يوم الثلاثاء لتسع خلت من شهر رجب الأصم المعظم عام إحدى عشر وثلثمائة وألف من هجرة من له كمال العزة والشرف . على يد كاتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى محمد بن عبد الله الزمرانى غفر الله ذنوبهما ، وستر عيوبهما ، وفعل ذلك بكافة المسلمين والمسلمات . وكتب بالمحروسة العامرة حفظها الله وحرسها . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . آمين » .



الفهارس العامة

لكتاب الحيوان

صنع وترتيب

عبد السلام محمد هارون



الفهرس الأول

فهرس أنواع الحيوان

القصد من هذا الفهرس أن يتمكن القارئ من جمع معارف منظّمة فى كلّ نوع من أنواع الحيوان ، على أسلوب علمى ، بحيث لا يلقى صعوبة فى البحث . وقد وجدت أن أفضل طريقة لتنظيم هذه المعارف أن تكون على الترتيب التالى بقدر الإمكان :

١ — تسمية الحيوان وبيان جنسه وأنواعه وأشباهه .

٢ — الكلام فى أعضائه وتطوراته وألوانه .

٣ — بيان طعامه وشرابه وسلاحه وصوته وصنعته ونفعه وضرره .

٤ — الكلام فى تناسله وطباعه وتعليمه وأمراضه وعمره .

٥ — بيان موطنه وأثر الطبيعة فيه وعلاقته بغيره من الحيوان .

١ - فهرس انواع الحيوان

ا

---

(١) انظر أيضا : (بخت ، بهونية ، جمل ، عراب ، عسجدية ، فالج ، مهرية ، ناقة) .

(١) انظر : (حمار) .

ب

(١) انظر أيضا : (إبل ، جمل) .

ت

ث

ج

(١) انظر أيضا : (إبل) .

(١) انظر أيضا : (شيطان ، عبقرى ، عمار) .

---

(١) انظر أيضا : (أتان) .

(١) انظر أيضا : (دبسى ، راعبى ، ساق حر ، شفنين ، فقيع) .

(١) انظر : (جن) .

(٢) انظر : (إبل) .

(٣) انظر أيضا : (أجدهانى ، أسود ، أصلة ، أفعى ، أيم ، تنين ، ثعبان ، دساس ، شجاع ، عربد ، هندية) .

---

(١) انظر أيضا : (برذون ، فرس) .

د

---

(١) انظر : (جراد) .

(٢) انظر أيضا : (ديك ، فروج) .

---

(١) انظر : (قملة النسر) .
(٢) انظر : (قنفذ) .

---

(١) ذكر استينجاس فى معجمه ٥٣٦ هذا الجنس من البشر وقال ماترجمته : دوال باى . . . اسم لقوم من الهند يقال إن لهم سيقانا دقيقة قابلة للتثنى كأنها السيور المتخذة من الجلد . وهم يتظاهرون بالعرج . فإذا رأوا جماعة من المسافرين طلبوا إليهم أن يحملوهم على ظهورهم فإذا استجابوا لهم أعملوا فيهم الخنق بضم أرجلهم عليهم .

ذ

ر

(١) انظر أيضا : (ضبع) .

س

(١) انظر أيضا : (فيل) .

(١) انظر أيضا (بنى : ربيثاء ، زجر ، شبوط ، شلقة ، صحناء) .

ش

---

(١) انظر أيضا : (ضأن ، غنم) .

---

(١) انظر أيضا : (جن) .

ص

ض

(١) انظر أيضا : (شاة ، غنم)

(١) انظر أيضا : (ذيخ) .

ط

(١) هو ما يسمى بالفارسية : دو برادران

(١) انظر أيضا : (بغاث ، خشاش) .

ظ

ع

---

(١) انظر أيضا : (حمار) .

غ

---

(١) انظر : (ظبى) .
(٢) انظر أيضا : (بنات حذف ، حمل ، شاة ، ضأن ، كبش) .

ف

(١) انظر أيضا : (خيل) .

ق

(١) انظر أيضا : (رباح) .

(١) انظر أيضا : (دلدل) .

(١) انظر أرقام الكلاب السلوقية ثم كلاب الصيد فى نهاية هذا الرسم .

ل

م

ن

(١) انظر أيضا : (ظليم) .

(١) انظر أيضا : (ذر) .

هـ

ى

---

(١) انظر أيضا : (أروى).

الفهرس الثانى

فهرس أعلام الحيوان

أ

ب

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ع

غ

ق

ك

ل

م

ن

و

الفهرس الثالث

فهرس سائر الأعلام

١ – ما وضع من الأعلام بين معقفين فهو مما ورد فى الحواشى فقط .

٢ – ما وضع بإزائه نجم فهو مما ورد فى الشعر فقط .

٣ – الأرقام الكبيرة تدل على مواضع التراجم .

٣ — فهرس سائر الأعلام

ا

ب

ت

(١) هذه رواية الأغانى (١٩ : ١٥٩) . وفى الأصل واللسان (غلل) : « حمزة ابنة نوفل » .

ح

د

ذ

ر

ز

(١) انظر لاستلحاق معاوية زيادا ما فى الخزانة (٢ : ٥١٧ — ٥١٩) .

س

ص

ض

ط

(١) قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٤٩ فى ذكر رجال مجاشع : « ومن رجالهم ضمرة بن ضمرة . وكان من رجال بنى تميم فى الجاهلية لسانا و بيانا ، وكان اسمه شق بن ضمرة فسماه بعض ملوك الحيرة ضمرة ».

ظ

ع

(١) بفتح العين ، انظر حواشى وقعة صفين ١٢٩ .

غ

ف

ق

ك

(١) إذا أطلق كسرى ، أريد به غالبا كسرى أبرويز ، الذى أرسل إليه رسول الله كتابا فمزقه . وقد ملك ثمانيا وثلاثين سنة ، وقتله ابنه شيرويه . وفى المعارف لابن قتيبة ٢٩٣ : « أبرويز بن هرمز ، ويعرف بكسرى ». على أنه قد يطلق ويراد به أى ملك للفرس كان . لذلك آثرت أن أفرد له رسما إلا ماتيقنت أنه كسرى أبرويز فإنى أضفت أرقامه إلى الرسم الآخر .

ل

م

---

(١) المحلق هذا ، أحد الولاة الإسلاميين ، ولاه الحكم بن أيوب الثقفى سفوان . انظر الخزانة (٣ : ٢١٤) . وهو غير المحلق ممدوح الأعشى فى الجاهلية .

(١) فى تاريخ الطبرى (٩ : ٥٦) أنه كان صهرا للأبرش بن الوليد .

(١) هو أبو معقل عبد الله بن عتيبة .

ن

و

ى

الفهرس الرابع

فهرس القبائل والطوائف

٤ ـــ فهرس القبائل والطوائف

أ

خ

(١) انظر فهرس أجناس الحيوان ص ٣١٠ .

(١) فى الأصل : « نمير » ، صوابه من الاشتقاق ١٢٤ .

(١) قال السمعانى فى الأنساب : « والقبيلة المعروفة هى كلاب بن عامر بن صعصعة » .

ن

الفهرس الخامس

فهرس البلدان والمواضع

٥ — فهرس البلدان والمواضع

ج

ح

خ

ش

ص

ض

ط

ع

نهاية الجزء السابع

يتلوه الجزء الثامن وفيه بقية الفهارس العامة